والفتى الأمجد، الحسام المهند، الذي جمع الباس، مع صغر الرأس، وصار وكيلا، وعلى ما يتحصل ويخرج كفيلا، والآخر الذي ما زال يخوض بحار الهلك، حتى تنحى عن خزانة الملك، والذي أفرده الزمان لفخره باللسان، ما لم تعلمه الجوارح، حتى غدا رائح .

ولنذكر ما كان من أمر الشريف[١] ومعشره. واخراجهم إلى بدو البلاد من حضره[٢] ، ومن أوقد ناراً صلي بحرها، ومن أسال دماء / الفتنة أ - ٣٣ غرق في بحرها، وكان حفيده أصلبهم فيها عوداً، وأقبسهم بروقا وأصولهم رعوداً، فلما انجلى ليلها، وتقلص ظلها، وانتشرت الراية وبويع الاجل[٣] ، وعلموا أن ملكهم اضمحل، وان سعدهم قد أفل، فبروا الاولياء[٤] عن عجل، ، فأتي بالأمير[٥] من والي دادا[٦] ، ولم يشعر أللقتل أم للخلاص انقادا ؟ ولما ظفر أمير المؤمنين ببطلهم ومقدامهم، وأخذهم بنواصيهم وأقدامهم وعاقبهم على جرأتهم واقدامهم، جعلهم جميعاً في مركب، ونجاهم اقتحام البحر من العطب، فلما توسطوا لجه، واقتحموا ثبجه[٧] ،

---

١ الشريف: الداي حسن خوجة الشريف .

٢ الضمير يعود على «البلاد» .

٣ في ب: «وبيع» و «الأجل» صفة لمحمد باكداش .

٤ أي: أطاعوهم .

٥ هو الداي حسن خوجة الشريف المخلوع .

٦ أي: من ضريح «والي دادا» المتوفى سنة ٩٦١ هـ (١٥٥٤ م) بالجزائر ودفن بقرب ضريح عبد الرحمن الثعالبي . أصله تركي من مدينة «ازمير» قدم إلى الجزائر زمن قدوم أوائل الأتراك. وما زال ضريحه يزار إلى الآن .

(أ - الحفناوي، محمد. تعريف الخلف، برجال السلف. الجزائر: مطبعة فونتانا. ج: ٢ . ص: ٦٩ .

Klein Henri. Feuillets de G.L. Djazair, Alger, choix, 1937 p. 156-157)

٧ الثبج: - بفتح الثاء والباء-: من كل شيء وسطه ومعظمه ج أثباج وثبوج .

وكسا الليل عاج الموج سبجه[١] . اضطربت الأمواج، واشتاقت النفوس سلوك الفجاج، فألجأهم الريح إلى قرية يقال لها « دلس »[٢] ، وباتوا في ليلهم إلى أن عسعس، فأتت جماعة من البربر بالبنود، وخلّصوهم من القيود، ورفعوهم إلى قرية من قرى زواوة، وارتفعت عنهم الشقاوة، فبقوا هنالك تسعة وثلاثين يوماً / ثم أشرف[٣] ، ودفن ضحوة الخميس أواخر ذي الحجة الحرام سنة ثمانية عشر ومائة وألف[٤]. فانظر كيف كرّ عليه دهره بخطوبه، وسفر[٥] له عن قطوبه، فكدر عيشه بعدما صفا وقلص برده الذي كان ضفا[٦] .وكان – رحمه الله – ظاهر الصواب متى نبس[٧] طاهر الأثواب من كل دنس، معجزاً ببيانه، موجزاً في كل أحيانه، وبقي الحفيد واثنان من الجند في هوان، وستقف على ما جرى فيهم بالعيان، وتمهد الملك وصفا، وبقيت قلوب الحاسدين على شفا، نحمدك يا من جعل قضايا أميرنا هذا وجودية[٨] منتشرة، ورياح نصره مبشرة، ووجوه الدين بها يتيحه الله لملكه المكين مستبشرة، وقدرة عزمه مؤثرة، وصفات كماله على توحيد جلاله متكثرة، ونهار نصره آياته مبصره .

---

١ السبج:- بفتح السين والباء - كساء أسود .

٢ دلس: مدينة صغيرة على البحر الأبيض المتوسط بالقطر الجزائري، أسسها معز الدولة بن صمادح والي الأندلس سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م ، بايعاز الملك المنصور ببجاية (عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: المطبعة العربية، ١٩٥٤ م، ج:١ ، ص: ٣٢٠) .

٣ أي: اشرفت على الموت ودنت منه، والمراد – هنا – أنه قد توفي بالفعل .

٤ الموافقة لسنة ١٧٠٧ م .

٥ سفر : كشف وأبدى .

٦ سبغ، واتسع .

٧ نبس: تكلم، وأغلب كلمة ونبس» تستعمل في سياق النفي، يقال: «ما نبس بكلمة» أي: ما لفظ بها.

٨ وجودية: موجودة وظاهرة للعيان .

المقامة السابعة

في اسمه وأهل مملكته ورسمه / أ - ٣٥

هو أمير المؤمنين محمد بن علي بن محمد، الشريف، الحسني النكداني[١]. ملك رفع للاقمار لواء، وألقى على شمس النهار بهجة وضياء، سارت بمجادته[٢] الاخبار، وحق فيه وفي بداهته الاعتبار، جياد سعوده إلى الغاية القصوى ذات استباق، وأكؤس فتوحه تحثها أيدي اصطباح[٣] واغتباق[٤]، وعقود كرمه ذات انتظام في لبات[٥] العفاة واتساق، وأثر فضله في أقطار البلاد كواكب آفاق، قام سعده، وقعد ضده[٦]

صفته: أبيض اللون طويل القامة، معتدل الهامة، اشهل /[٧] العينين، خفيف الساقين.

---

١ في ب: «النكدلي».

٢ بمجادته: بمجده، وعزه، وشرفه.

٣ الاصطباح: تناول الخمر في الصباح، ويقال لخمرها الصبوح.

٤ الاغتباق: تناول الخمر في العشي، ويقال لخمرها الغبوق.

٥ لبات: جمع لبة، وهي موضع القلادة من الصدر.

٦ الضد: العدو.

٧ أشهل: يشوب سواد عينيه زرقة.

بنوه: من الذكور – الآن – واحد، في سيرته ماجد، ذكي الفهم، حافظ فوق ما يصوره الوهم، ينطق بمخارج الحروف، وبالحياء والندى موصوف، مستعذب المقاطع[١]، كأنما صور من نور ساطع، أبهى من الظبي الخجل، وأحلى من الأمن عند / الخائف الوجل، يهب عاطراً نشره، ولا يغبّ – حياء – بشره، تجتليه بساما، وتنتضيه حساما، ان وافاك أبرم عقد أخائه، وأعفاك من زهوه وانتحائه[٢]، ماء صفائه وارف يكاد يقطر، وسماء احتفائه واكف[٣] – أبدا – يمطر، وله أدب لو نشر لكان بردا محبرا[٤]، أو تنسّم لهب مسكا وعنبرا.

اصهاره: منهم أبو الفتوح حسن[٥]، الحلو البسن[٦]، طويل النجاد[٧] قوي العزم لا يرده عن أمره راد، أكرم الناس عطاء. وأولاهم حياء، لكنه لم يزل في وجوه الوفود بساما، وفي حومة الحروب عبوسا ومن عداته نقاما، وفي أحكامه رئيسا. ولما صاهر شيخ الجلالة وفتاها، ومبدأ الفضائل ومنتهاها، أكرم سريرته، وحشد سيرته، فصار له كرم كانسجام الامطار، وشيم كالنسيم المعطار، وكان[٨] – قبل – قام زمانا على المدامة معتكفا،

---

١ المقاطع: أواخر الكلمات عند النطق.

٢ الانتحاء: العظمة والكبر والفخر.

٣ واكف: سائل ومنهمر.

٤ البرد المحبر: الناعم الموشى.

٥ هو زوج ابنته ووزيره «حسن أوزن».

٦ البسن: يقال ابسن، إذا أحسنت سحنته، والسحنة: الهيئة واللون.

٧ طويل النجاد: كناية عن طول القامة، والنجاد حمائل السيف.

٨ الضمير: من اسم (كان) يعود على الصهر حسن أوزن. وكلمة «أوزن» – بضم أوله – صفة لـ «حسن»، ومعناها – في اللغة التركية –: طويل القامة.

ولثغور البطالة مرتشفا، لا يغدو إلا ثملا، ولا يروح / إلا بنشوة مشتملا، ؛ - ٣٧
ثم فاء عن تلك الساحة، واختار تعب النفس عن تلك الراحة، فراح
حلف خشوع، وأصبح بين سجود وركوع، ولما زوجه ابنته، أشحذ عدته،
وفي ذلك اليوم صرف الزمان عنه صرفه، وغمض عنه الحدثان طرفه،
وزفت إليه المعالي أبكارها، واطلعت عليه شموسها وأقمارها، وهزت إليه
المدام[1] اعطاف ندّامه[2]، وصار السعد من خدامه، وقد نسك وعفّ،
وأمسك عن الشهوات وكفّ، ولم يبق فيه للطرب بقية تقبل أنسا، ولا
تستحسن من أجناس اللهو جنسا، فحياه - يوماً - فتى وسيم بكاس
طمعا، ان يخرق من توبته ما كان له رقعا، وأطعمه بفتور لحظه حسب
أنه يفتنه، وتثور فيه فتنه، فأعرض اعراض زاهد، غير كلف بالمحاسن
ولا واجد، وأما أبو الوفا، السيد مصطفى. فسيرته سيرة النبلاء، وشيمه
شيم الفضلاء، له بدائع مائسة[3] الاعطاف، مستعذبات الجنى والقطاف،
تتنسمها زهر كمام، ويتوسمها بدر تمام، يلقى الناس بابتسام، ويعاملهم
بأحسن المرام، وكانت معاملته مع الفقراء والمساكين، / وقضاء حوائج أ - ٣٨
المسلمين، وكرمه منسجم الغمائم، وهممه السامية منذ نيطت عليه التمائم،
وأما اخدانه[4] الباقون، فهم بالوقار والسكينة موسمون[5]، وأما لقبه فـ «بكداش»

---

١ المدام: المطر الدائم .
٢ الندام: - جمع نادم - وهو الآسف والتائب .
٣ مائسة: متبخترة .
٤ في ب: «احتانه» .
٥ في ب: «مسمون» .

الدال المهملة، معناه – بلغة الفرس –: الذي لا نظير له[١] .

وزراؤه: الأربعة الفضلا، الجالسون بازاء المولى، كل واحد موكل بدفتاره[٢]، على ما يتحصل ويخرج لداره[٣] .

كتابه: الاثنان الفرقدان، اللذان[٤] – خلف الوزرا –، يسطران، بما أمرا .

نقش خاتمه: «الواثق بالله العلي، محمد بكداش بن علي» .

ترجمانه: الأصيل الجليل، السيد أحمد المكنى بابن «آقليل» .

قضاته: الأربعة العاملون، الذين هم بالحق فاصلون، منهم أبو علي حسين فارس المنابر، وأستاذ الأكابر، وقيوم البيان، ورئيس علوم / اللسان،

أ – ٣٩ وعلامة تفسير القرآن، وحجة النحو / المعضودة بالبرهان، تعرض عليه أنظار الزمخشري في البيان، فيزيف واهيها، وينبه من الغفلة ساهيها، ويرد إلى الجد – بحسن الاقتباس – لاهيها، ويشظى[٥] بدرياق[٦] الاشعرية دواهيها، وكل ما يورده من فنون البيان فمحوطة من نحو سيبويه بسياج حصين، مستند من صحة النظر إلى رأي أصيل وعقل رصين،

---

١ قال الجامعي: «وفي بعض الكتب العربية المترجمة من اللغة التركية: ان «بكداش» بمعنى شبيه. (شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٣٠ . مخطوط خاص) .

٢ الدفتار: السجل .

٣ لداره: الضمير يعود على محمد بكداش، والمراد بالدار – هنا – بيت المال ..

٤ في ب: «الذين» .

٥ ويشظى: يفرق، ويبدد، وفي ب: «يشكي» .

٦ الدرياق: لغة في الترياق، وهي مادة تدفع السموم .

محلى من بدائع البديع باسلاك الجواهر ، مبتسماً من ألقابه الحسنة عن مؤنقات أزاهر ، يطرز مجالس أفادته من نوادر الآداب بكل والجة الأذان، دون استئذان .

وكل واقرة في الاسماع، من غير استماع، وكل ثابتة في الصدور ، ملتئمة الاعجاز بالصدور ، وكل ساكنة في القلوب، وافية بالغرض المطلوب، وتمكّن في التظهير لآيات الكتاب العزيز ، وما صدر عن أرباب البلاغة باللفظ الوجيز ، والايضاح لغوامض ما مثل به أهل البديع ، بكل معنى بديع ، من قطعة[1] طائرة بالجناح، / وحديث ثابت المسندات أ - ٠، الصحاح، أو آية موسومة بالاعجاز ، وافية بوعد لا يأتون بمثله بالانجاز ، تتسابق إلى مجلس تدريسه[2] صدور أعلام، وتتضاءل بالنسبة إلى تفهيمه عقول راجحة وأحلام ،وهم يلتقطون فرائده فرادى وأتواما ، ويغتبطون بمجالسة ذاته العلمية اجلالا واعظاما ، ويصابحونه ويماسونه توقيراً واكراماً ، وما منهم إلا من تقفوه لمّة[3] من الطلبة تلتمس فائدته ، وترتقب في المسجد الأعظم ايفادته ، فكان أحق المنهومين في الدرجة الفاضلة بالتقديم ، وأولاهم بالتكميل لغرضه الاشرف والتتميم ، وإذا ارتقى لصهوات المنابر فهو فارسها الصنديد ، وبطلها الكمي غير الهيَّابة ولا الرعديد ، وبحرها الملقى إلى شاطئه بمعجب الجواهر ، وروضها المتحف برونق الأزاهر ، فقلما تخلف عن الاستفادة منه نجيب من الطلبه ، أو مدرك ظفر من البغية

---

١ من قطعة : الشواهد الشعرية .

٢ في ب : «تدريسه» .

٣ لمّة : جماعة .

بما أمله وفاز من الأمنية بما طلبه، وكلهم يمدون إلى كنوز علومه الجمة
أ - ٤١ يدي الافتقار، ويلحظون رتبته / السامية بعين التجلة والوقار، وله في
الآداب غرائب تستجلي، ودرر تستحلى .

ومنهم: أبو زيد عبد الرحمن الأرضي، الشريف المرتضي، وهو ليّن الجانب، محافظ على أداء الواجب، ولي الفتيا، وسلك فيها سبيل أهل العليا، ولم يعدل فيها عما يحمد من مذهبه من الوقار والسكينة، والاستمساك بحبال الديانة المتينة، واجتناب الكبر الذي هو للشريف أكمل الزينه، والتحلي باخلاق المجادة[1] بدورها الثمينة، والاستظهار بالعدالة التي هي ثمرة العقول الرهينة، والجد في مقامات المفاوضة إذا لجـأت النفوس إلى معاقلها الحصينة، وهو في ذلك كله محمود السيرة، متطابق العلنية والسريرة، ميمون السفارة والنقيبة، عائد من الثناء الأجمل بملء الحقيبة، والدول توجب له الحق، وتخوله من حظوتها المستحق. وتجعل متبوأه - يوم الحفل - مشهوداً، وتكرمه غيبة وشهوداً، وتنزله منزلة من آثار الصدق
أ - ٤٢ واليقين. وسلك إلى الله سبيل المتقين . /

ومنهم: ابن عبد الله، محمد، بن محمد، بن محمد، بن محمد، المكنى بـ «ابن آقوجيل» الذي حاز الخصل في حلبة السبق، وتجارى معه قضاة أوانه فسلموا[2] له أنه سبق، وهو مقتدر في الطبع على انشاء الرسائل، وتقرير الادلة والوسائل، ويحسن كرائم الظهائر[3]، وتحرير الخطب

---

١ المجادة: الشرف والمجد .

٢ في ب: «سلما» .

٣ الظهائر: التقارير الرسمية، التي تصدر بأمر من السلطان. وما زالت لفظة «ظهير» تستعمل في المغرب =

التي لا تختفي بها مملوآت السرائر ، يقوم على ذلك كله بطبع سيال ، وخاطر إلى التمسك بالله ميال ، وقريحة قد عتق منها جريال[١] .

ومنهم: قاضي العسكر المنصور ، حامل لواء الشريعة المنشور ، وهو الفقيه الأجل ، اللوذعي[٢] الاعدل ، أبو حفص عمر بن الفقيه العلامة ، الدراكة الفهامة ، أبو عبد الله سيدي محمد ... التونسي الدار والمنشأ فرع المجادة والاصالة ، ووارث السيادة عن كلالة ، ملىء حياء وعلما ، واتقد ذكاء وفهماً ، وضربت الامثال بنباهته ، وسارت الرفاق بظرافته ، إلى فراسة إياسية[٣] ، والمعية إلياسية[٤] . مع أدب بارع ، / وقدم ثنايا المجد أ - ٤٣
فارع ، حتى صار مفيد الحكام ، وتحفة الأحكام ، والمنهل المورود ، والمنهج المقصود ، والجوهرة اليتيمة ، والدرة السليمة ، والكنز الذي لا ينفد ، وملتقى الابحر التي منها يستمد ، وأما أمير المؤمنين فهو الذي بلغت همته في طلب العلم السماء ، وجلت أسرته الظلماء ، له الرتب المكينة ، وعليه الوقار والسكينة ، أخرم يراعه العوالي ، واستخدم الاحرار والموالي ، وأقام بدولة أهل الجزائر وأقعد ، وتبوأ سماكها واقتعد ، فسما به قدرها ، وهمى بسيبه من سماء الفضل قطرها ، وحسنت سيرها ، وأمّنت غيرها ، وحمدت

الأقصى .

١ الجريال ، والجريالة : الخمر ، أو لونها .

٢ اللوذعي واللوذع : الذكي الذهن ، الفصيح اللسان .

٣ إياسية : نسبة إلى إياس بن معاوية قاضي البصرة ، اشتهر بذكائه وعدله حتى ضرب به المثل ، فيقال : «أزكن من إياس» .

٤ إلياسية : نسبة إلى الياس النبي عليه السلام !

أيامها، ووردت جمام[١] الأماني حيامها[٢]، وله أدب غض المقاطف، رطب المعاطف، إن نثر فالنجوم في أفلاكها، أو نظم فالجواهر في أسلاكها، قد أخذ بمجامع القلوب كلمه، وأغذّ في طريق الابداع قلمه، وكيف لا وهو علم البراعة، وقيوم الصناعة، لا اعلم اني لقيت من سن
أ - ٤٤ الطفولة، إلى ما فوق زمان الكهولة أبرع منه في هذه الطريقة، ولا / أقوى شاهداً فيها منه على الحقيقة، جمع النظم والنثر، والخطابة والشعر، مجيداً في طريقيهما، سابقاً لفريقيهما، وقلما اجتمع لأحد الاجادة في الفنين، والارتياح من راح[٣] الدنين[٤]، فاذا نثر وسجع، وردّد الفقر ورجع، وكتب ونكّت، وأجاب وبكت[٥]، وأومأ وأشار، ونبه وأثار، وأقام واقعد، وأبرق وأرعد، وصوب وصعد، ووعد وتوعد، ونمق وحبر، وطبق وعبر، وأوجز وحرر، وأصل وقرر، وأعاد وكرر، أحرز ذوق ابن أبي الخصال الخصل[٦]،

---

١ الجمام: بتثليث الجيم: ما علا راس المكال فوق طفافه، والجمام - بفتح الجيم - الممتلىء من المكاييل، والمراد به - هنا - الاناء الممتلىء ماء.

٢ الحيام: العطش.

٣ الراح: الخمر، سميت بذلك لأن شاربها يرتاح بعد شربها.

٤ الدنين: مفرده دن وهو وعاء للخمر.

٥ بكّت: اسكت خصمه بحجج دامغة.

٦ ابن أبي الخصال: هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن الطيب بن فرج بن أبي الخصال الغافقي وزير الأندلس وشاعرها، ويلقب بذي الوزارتين، ولد سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م بقرية «فرغليط» من قرى «شقورة» ونشأ بقرطبة وغرناطة، وأقام مدة بفاس، وحاز قصب السبق «في الفقه والأدب حتى قيل: «لم ينطلق اسم كاتب الأندلس على أحد كابن أبي الخصال»، له عدة مؤلفات مفيدة جدا، منها: «ظل الغمامة في منقاب بعض الصحابة» و «منهاج المناقب» و «مناقب العشر» ومجموعة ترسله وشعره في خمس مجلدات، ومن شعره الرقيق - عندما وقف بباب بعض القضاة واستأذن عليه، فحجب عنه :

جِئْناكَ لِحَاجَـةِ الْمَمْطُولِ صَاحِبُهَا ... وَأَنْتَ تَنْعَمُ وَالإِخْـوانُ في بُـؤسِ
وَقَدْ وَقَفْنَـا طَوِيلاً عِنْدَ بَابِكُـم ... ثُمَّ انْصَرَفْنَا عَلَى رَأْيِ ابْنِ عَبْدُوسِ -

وشهر في ميدان البلاغة النصل، وإذا ادعى الامامة ادعى الأصل، وإذا خط واستعمل المد والمط، والبَريَ والقط[1]، فالوشي المرقوم، واللؤلؤ المنظوم، والزهر المنضود[2]، والطلح المخضود[3]، والظل الممدود، والحسن لا المحصور ولا المعدود، والابداع الذي لا تقيده الرسوم ولا تحصره الحدود، فافتتنت فيه النواظر، وتهادته الأقلام والمحابر / وتقاصرت عنه اليواقيت والجواهر أ - ٤٥ وسلمت له في الحسن الحدائق اليانعة والأزاهر، ونظرته بعين المقة[4] الشهبان والزواهر، ولولا أن يظن بي الغلو من أولياء غله، ويعتقد في الاغراق في غير محله، لاجدت في أوصافه، على شرط انصافه، ولأغربت في النعوت بحسب نفاسة المنعوت، والأولى الاقتصار على توفية بعض حقوقه، ما لم يؤد إلى عقوقه، والاختصار من التعريف بمقداره، في زمان ابداره[5].

- وابن عبدوس المشار إليه في البيت، هو الوزير أبو عامر بن عبدوس القائل :

لَنــا قَاضٍ لَـهُ خُلُـقٌ أَقَـلُّ ذَمِيمِهِ النَّزَقْ
إذا جِئْنَاهُ يَحْجُبُنَا فَنَلْعَنُـــهُ وَنَفْتَرِقْ

وقد استشهد ابن أبي الخصال في فتنة المصامدة بقرطبة سنة ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م . (أ - أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس، في تاريخ رجال أهل الأندلس . ص: ١٢١ . ب - أحمد المقري، نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، بتحقيق محمد محيي الدين، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٤٩ ، ج: ٤ ، ص: ٢٥٠ - ٢٥١) .

١ القط: قطع رأس القلم عرضا بعد بريه .
٢ المنضود: المضموم بعضه إلى بعض في شكل منسق .
٣ المخضود: المنزوع الأشواك. والطلح: نوع من الأشجار الضخمة لها أشواك ابرية .
٤ المقة: المحبة والمودة .
٥ ابداره: طلوع بدره، وهو كناية عن ارتقائه إلى كرسي الحكم وتسميته دايا .

المقامة الثامنة

في تهنئة الشعراء ومدحهم له ،
وتعريف كل واحد بما سطره او نقله

فأول من راسله بالقصائد السيد يحيى بن أحمد بن أحمد بن محمد ابن أبي القاسم بن أبي راشد وهو العلامة المودود، الكارع في مشرع[1] الفقه لا ممنوع من ذلك ولا مصدود، ولي الكتابة في بني «مولة»، فكانت مطابقة معلولة، مشتركاً في الولاية مع رئيسها سيدي مسعود[2]، مشاطراً له في
أ - ٤٦ الرياسة مع سير - في الرعايا - محمود / ، بعث القصيدة وأجاد في نظامها، وأجال بيد الاغراب[3] عن الاعراب في مراميها، وكشف عن فنون الأدب في الدخول لجامها[4]، وكان له بالشيخ أبي عبد الله محمد المغربي اعتلاق[5] يدعيه، وتلميذاً[6] يزعم - بملازمته له - أن كل ما كان يلقيه له فانه كان يعيه، وان هذه القصيدة من نتائج افادته، ومن

---

١ المشرع: منبع الماء ومورد الشارب .

٢ يوجد ضريحه بـ «المدنيّة» (SALAMBIER) على مقربة جدًّا من محطة «المصعد» (TELEPHERIQUE) وما زال مقامه يزار إلى الآن .

٣ الاغراب: التقصي والامعان في البحث .

٤ الجام: جمع جامات، وأجوام واجؤم، وجوم، وهي الكاس، والكلمة فارسية الأصل .

٥ اعتلاق: هوية ومحبة صادقة. وكانت وفاة محمد المغربي سنة ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م .

٦ تلميذا: خبر لكان المحذوفة مع اسمها، تقديره: وكان السيد يحيى تلميذا .

بدائع ما حصله بين يديه من استفادته، وإليه كان يعزو صوابه .

وإياه كان يسأل ويتلقى جوابه. ومن هذه القصيدة[١] :

كَمُلَ الْهَنَاءُ وَطَارَتِ الأَهْـوَالُ وَأُزِيحَتِ الأَحْـزانُ وَالأَوْجَالُ
وَبَدَتْ بُدُورُ السَّعْدِ وَارْتَفَعَ الشَّقَا وَتَظَاهَـرَ الإِسْعَادُ وَالإِقْبَـالُ
وَالْخَيْرُ عَـمَّ وَالزَّمَـانُ مُسَاعِـدٌ وَدَنَا الْمُنَى وَالْيُمْـنُ وَالإِكْمَالُ
وَالأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ بُـرُوداً حَاكَهَا زَمَنُ الرَّبِيعِ الْوَابِلِ الْهَطَّالُ[٢]
وَتَبَسَّمَتْ ـ فَرَحاً ـ ثُغُورُ أَزَاهِـرٍ[٣] بِمُحَمَّدٍ وَدَنَتْ بِـهِ الأَمَالُ / أ - ٤٧
مَلِكٌ تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ وَلَمْ يَـكُـنْ لِكَمَالِهِ فِي السَّالِفِينَ مِثَـالُ
هَتَفَتْ بِدَوْلَتِهِ الطُّيُورُ وَبُشِّـرَتْ بِسُعُودِهِ الصُّلَحَاءُ[٤] وَالأَبْـدَالُ
كَرُمَتْ عَنَاصِرُهُ وَطَـابَ نِجَارُهُ[٥] وَزَكَتْ لَهُ الأَعْمَالُ وَالأَحْوَالُ
ذُو هَيْبَةٍ مَلأَتْ[٦] قُلُوبَ عُدَاتِهِ[٧] فَعَرَاهُمُ دُونَ الأَنَـامِ سَفَالُ[٨]
دَانَتْ لَـهُ الآنَـامُ[٩] طُرًّا مِثْلَمَـا دَانَتْ لِلَيْثِ الْغَابَـةِ الأَشْبَالُ
خَضَعَتْ لِسَطْوَتِهِ الْمُلُوكُ وَسَلَّمَتْ لِجَلالِهِ الأُمَـرَاءُ وَالأَقْيَـالُ[١٠]

---

١ هذه القصيدة من بحر الكامل، صحيحة العروض مقطوعة الضرب .

٢ الوابل، والهطال: صفتان لـ «زمن الربيع»، و «الهطّال» نعت مقطوع .

٣ أزاهر : صرف لضرورة الوزن .

٤ في ب: «الصلاح» .

٥ النجار - بكسر النون وضمها - الأصل والحسب .

٦ فاعل «ملأت» ضمير يعود على «هبة» .

٧ العداة: مفرده العادي، وهو المعتدي .

٨ السفال: نقيض العلو، والسفالة: النذالة والخساسة، و «الانام» في البيت بقصر الهمزة .

٩ دانت له: مدينة له، و «الانام» بمد الهمزة .

١٠ الاقيال: مفرده قيل - بكسر القاف وفتحها - الرئيس، والأصل فيه هو الملك من ملوك حمير سمي بذلك لأنه إذا قال قولا نفذه ووفّى به .

فَاقَ[١] الْمُلُوكَ الْغالِبِينَ نَدًى كَمَا ... سَارَتْ بِصِدقِ عَزْمِـهِ الأَمْثَالُ
غَيْثٌ إذا مَـا جِئْتَهُ مُسْتَرْفِـداً ... وَافَاكَ مِنْهُ بَشَاشَـةٌ وَنَـوَالُ
تَاهَتْ بِهِ أَرْضُ الْجَزَائِرِ ، وَاغْتَدَتْ ... زَهْواً بِهِ عَنْ غَيْرِهَا تَخْتَـالُ
يَا مَلِكاً فَاقَ الْمُلُوكَ بِأَسْرِهِـم[٢] ... فَلَهُ عَلَيْهِمْ رِفْعَـةٌ وَكَمَـالُ
وَسَمَيْدَعاً[٣] وَرِثَ السِّيَادَةَ وَالنَّدَى ... فَإِلَيْهِ صَارَ الْجُودُ وَالإِفْضَـالُ
أ - ٤٨ أَظْهَرْتَ رَسْمَ الْعَدْلِ فَاتَّضَحَ الْهُدَى ... وَصَلُحْتَ فَانْصَلَحَتْ بِكَ الْعُمَّالُ/[٤]
خُذْهَا إِلَيْكَ عَقِيلَةً أَهْـدَيْتُهَـا ... وَعَلَيْهَا مِنْ حُسْنِ الْبَدِيعِ جَمَالُ[٥]
فَافْتَضَّهَا بِكْراً بَدَتْ مِن خِرْزِهَـا ... فَنِكَاحُ أَبْكَارِ الْقَرِيضِ حَلالُ
دُمْ فِي الإِمَارَةِ ظَافِراً وَمُظَفَّـراً ... وَلِذَا لَكَ التَّعْظِيمُ وَالإِجْـلالُ

وهنأه النحرير الظريف، أبو عبد الله محمد البونصي الشريف - وهو رجل مليء حياء، وقنى[٦] استحياء، وطود سبل ووقار، وروضة يانعة الأزهار، وسمت صفحات المهارق[٧] غرره، وانتظمت بلبات المغارب والمشارق درره، ان نطق رأيت البيان متسربا من لسانه، والاحسان منتسباً لاحسانه، حوى العلوم وحازها، وتحقق حقائق العرب ومجازها، وروى قصائدها وأرجازها، وعلم اطالتها وايجازها وهو في الطب موافق العلاج،

---

١ فاق: في ب: «ظهر» .
٢ في ب: «بأسرها» .
٣ السميدع: ج سمادع، وهو السيد الكريم، والشريف الشجاع، ويطلق أيضاً على السيف الحاد .
٤ العمال: البايات والاغوات. ومن يمت إلى حاشية محمد بكداش .
٥ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .
٦ قنى .. استحياء: يقال قنى الرجل الحياء إذا ألزمه .
٧ المهارق: مفرده مهرق، وهو كل ما يكتب عليه من جلد وغيره ...

واضح المنهاج، وله نظم تزهو به نحور الكعاب، ويستسهل - لدى سماعه - سلوك الصعاب، بقصيدة ان استجليتها استحليتها، وان مقلتها[1]، نقلتها، وهي هذه[2] :

بِشَارَةُ خَيْرٍ قَـد أَتَتْ عَقِبَ الْمَسَا
بِفَرْقَدِ سَعْدٍ فِي السَّعَادَةِ قَـدْ رَسَا / أ - ٤٩
فَهَبَّ نَسِيمُ السَّعْـدِ حِـينَ شُرُوقِـهِ
وَمِنْ حُسْنِهِ أَنْ جَـاء ذَا الحي قَـدْ كَسَا
وَقَـدْ ضَحِكَتْ أَزْهَـارُ رَوْضَةِ حَيِّنَـا
تَأَرُّجُهَـا[3] يَشْفِي الْقُلُـوبَ مِـنَ الأَسَى[4]
رَبَتْ أَرْضُنَا حَتَّى اضْمَحَلَّتْ كِلامُهَـا[5]
/ فَكَمْ مِنْ أَقَـاحٍ / أَنْبَتَتْهَـا ونَرْجِسَا
وَبُلْبُـلُ رَوْضٍ لِابْتِهَـاجٍ مُسَجِّـعٌ[6]
عَـلى دَوْحَـةٍ مِـنْ بَانِهِ[7] مُتَطَوِّسَـا[8]

---

١ مقلتها: أبصرتها بمقلة عينيك .

٢ القصيدة من بحر الطويل، المقبوض العروض والضرب .

٣ تأرج الشيء: فاحت منه رائحة طيبة، فهو أرج .

٤ الأسى: الحزن .

٥ الكلام: مفرده كلم - بفتح ثم سكون - وهو الجرح، ويجمع - أيضاً - على كلوم، فهو كليم ومكلوم .

٦ التسجيع: مدّ الصوت، وترديده .

٧ البان: نوع من الأشجار يشبه به القدود المعتدلة، والضمير فيه يعود على روض .

٨ متطوسا: متشكلا بشكل الطاووس .

عَلَانَـا ابْتِهَـاجٌ مِـنْ سُرورٍ بَـدَا لَنَـا
كَأَنَّا لَبِسْنَا بِالمَسَرَّاتِ سُنْدُسَـا[١]
فنلنا - وَأَيْـمُ اللهِ - كُـلَّ مَسَرَّةٍ
بِصُبْحٍ سَعِيدٍ بِالهَنَـاءِ تَنَفَّسَـا
وَنَـادَى لِسَـانُ الْحَالِ : أَهْلَ «جَزَائِرٍ»
هَنِيئاً لَكُـمْ طِيبُـوا بِـذَا السَّعْدِ أَنْفُسَا
أَيَا طَالِـعَ الإِسْعَادِ يَـوْمَ عَـرُوبَـةٍ[٢]
وِدَادُكُ أَلْقَى فِي الْفُؤَادِ تَـأَنُّسَا
وَيَا يُوسُـفٌ[٣] إِنِّي لَيَعْقُوبُ عَصْرِنَـا
وَقَـدْ فَنَدُونِي[٤] فِي هَـوَاكَ وفِي الأَسَـا[٥]
لَقَـدْ كَـانَ مِـنْ عَهْدِ الصِّبَاءِ[٦] وِدَادُنَا
تَبَوَّأَ[٧] مِنْ صَدْرِي الْحَشَاشَةَ[٨] مَجْلِسَا
نَفَيْتَ بِأَنِّي لَسْتَ أَنْتَ بِخَاطِرِي
فَحَاشَا وَمَـا ظَنِّي مَقَالُكَ مِنْ جَسَا[٩]

---

١ السندس: نوع من الديباج، أو نسيج الحرير، والكلمة فارسية الأصل .

٢ يوم العروبة: - بفتح العين -: يوم الجمعة، وقد وافق هذا اليوم منسلخ ذي القعدة الحرام من سنة ١١١٨ هـ (الموافق لشهر مارس من سنة ١٧٠٧ م)، وهو اليوم الذي تولى فيه محمد بكداش دايا على الجزائر

٣ يوسف: بالتنوين لضرورة الوزن .

٤ فندوني: خطأوني .

٥ في ب: «وقد فندوني من هواك ولأسا» .

٦ الصباء: لغة في «الصبا»، وهو الصغر .

٧ تبوأت: سكنت .

٨ الحشاشة: - بالنصب - مفعول به، وهي بقية الروح في المريض .

٩ جسا: لغة في «جسأ»، بمعنى صلب، وتحجّر، وأعرض، والمراد به - هنا - المعنى الأخير

نَأَيْتَ فَنَاءتْ مِنْ نَوالكَ مَسَرَّتي
وَجِسْمِي كَسَاهُ الْوَجْـدُ بَعْدَكَ أَبْـؤُسَـا / أ - ٥٠
أَبَيْتَ فَأَلْفَيْتَ الْعِـدَا بتَرافَـةَ
فَجَرَّعْتَهُمْ سُمَّ الأَرَاقِـمِ أَكْؤُسَـا
وأَزَحْتَ عَـنْ قَلْـبي سَقَامـاً أَصَابَـهُ
وَعَـادَ لَـهُ ثَوْبُ التَّنَعُّمِ مَلْبَسَا
فَلَمَّا حَوَانَا عَرْشُ مَجْدٍ حَلَلْتَهُ
وَأَحْسَنَ مَثْوَانَـا الإِلَـهُ تَقَدَّسَـا
تَنَفَّسَتِ الصَّعْدَاءَ[1] قَوْمٌ أَذَلَّهُمْ
بقَهْره ذُو الْبَطْش الشَّدِيـدِ وَأَبْلَسَـا [2]
فَقُلْنَا لَهُمْ : «مُوتُوا - كَمَا قَالَ رَبُّنَا -
بِغيظِكُمُ» فَالْفَضْلُ عَنَّا تَبَجَّسَـا
فَـلا زَلْـتَ تَسْمُو وَالزَّمَـانُ مُسَاعِـدٌ
وَنَجْمُـكَ مِـنْ سَعْدِ السُّـعودِ تَأَسَّـسَا
أَيا صَائِلاً فِي الْمَلْحَمَاتِ غَضَنْفَـراً [3]
فَمَـا أَسَدٌ يَلْقَاكَ إِلَّا تَبَرْبَسا[4]

---

١ الصعداء: - بفتح الصاد وسكون العين - المشقة، والتعب، ولعله يريد «الصعداء» - بضم الصاد وفتح العين - وهو التنفس الطويل من ازاحة همّ أو تعب .
٢ ابلس: قل خيره، وكثر شره، والضمير في «ابلس» يعود على ذي «البطش الشديد» .
٣ غضنفراً: أسداً .
٤ تبربسا: مشى مِشيةَ الكلب

لَكَ النَّصْرُ والتَّأْيِيدُ وَالْعِزُّ وَالعُلا
وَكُلُّ شُجَاعٍ إنْ رَآكَ تَأَوَّسَا [١]
لِبَخْشَاكَ كِسْرَى فِي الْمُلُوكِ وَقَيْصَرٌ
وَتَعْلُوهُمَا بَعْدَ الْجَلالِ [٢] تَبَعْنُسَا [٣]
وَمُنْذُ حَلَلْتَ الْمُلْكَ زَالَ عَنَاؤُنَا
فَلَمْ نَشْكُ - مَا دُمْتَ - الْكَآبَةَ والأَسَى
أَيَا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ نِلْتَ عَرِيكَةً
وَيَا قَمَراً إنْ جَنَّ لَيْلٌ وَعَسْعَسَا
وَيَا سَيِّدَ الشُّجْعَانِ لَيْثَ أَجَامِهِمْ
وَيَا مَنْ بِتُرْسِ الْمَجْدِ حَقّاً تَتَرَّسَا /
سَطَوْتَ عَلى الأَعْداءِ سَطْوَةَ قَسْوَرٍ
وَلَمْ تَخْشَ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ تَعَبُّسَا
تَأَهَّلْتَ لِلْمُلْكِ الَّذِي عَزَّ قَدْرُهُ
جَلَيْتَ [٤] بِإِشْرَاقِ الشَّرِيعَةِ طِرْمَسَا [٥]
فَأَشْرَقَ نُورُ الْحَقِّ بَعْدَ خَفَائِهِ
وَقَدْ خَابَ [٦] مَنْ زَاغَ الْهُدَى وَتَنَكَّسَا

---

١ تأوسا: هكذا في النسختين. ولعله «تهوسا».
٢ الجلال: في ب: «الجلال».
٣ تبعنسا: هكذا في النسختين. ولعلّها من بَعْنَسَ الرجل اذا ذلّ بخدمةٍ أو بغيرها
٤ هكذا في النسختين. بمعنى «جلوت» بالواو.
٥ الطرمس: الظلمة الشديدة.
٦ في ب: «خاء».

فَإنْ قِيلَ أَحْيَا الشَّرْعَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ
فَقُلْ ذَاكَ فَجرٌ قبْل شَمْسٍ تَقَبَّسَا / [١]
فَذَا شَمْسُ إكْلِيلِ الْمُلُوكِ بِأَسْرِهِمْ
وَمِنْ عَهْدِ سَامٍ لَمْ تَفُقْهُ وَمَا عَسَى[٢]
فَإنْ لَامَنِي فِيهِ الْوُشَاةُ أَجَبْتُهُمْ
أَلَا إنَّكُمْ فِي هَفْوَةٍ مِنْ دُجىً غَسَا[٣]
وَلَوْ أَنَّهُمْ يَدْرُون - تَاللهِ - مَجْدَهُ
لَعَمَّرَ كُلٌّ بِالْمَمَادِحِ أَطْرُسَا
عَلى أَنَّهُ طَوْدُ الْحُرُوبِ تَهَابُهُ
أُسُود إذَا مَا الْحَرْبُ حُمَّ وَأَوْطَسَا [٤]
وَذُو حُظْوَةٍ مِنْ قَبْلِ ذَا وَمَكَانَةٍ
غَضَنْفَرُ غِيلٍ[٥] فِي الأَنَامِ تَأَنَّسَا
تَدَرَّعَ حِلْماً وَارْتَدَى بِجَلَالِهِ
وَفِي كَنَفِ الإلْطَافِ لا زَالَ مَحْرَسَا
أَدِيبٌ أَرِيبٌ ذُو حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ
سَخِيٌّ كَرِيمُ الطَّبْعِ وَدْقٌ تَبَجَّسَا[٦]

---

١ تقبسا: أضاء .
٢ أي: وما عسى الملوك أن تفقه .
٣ غسا: اشتدت ظلمته والمراد به - هنا - الليل .
٤ أوطس: اشتدت وتلاحمت فيها الأبطال. وقد ذكر «الحرب» مع أنها مؤنثة .
٥ الغضنفر: الأسد، والغيل: الأجمة التي تسكنها الأسود .
٦ ودق تبجّس: مطر هطل .

تُوَافِيكَ – مُـذْ تَلْقَاهُ مِنْهُ – بَشَاشَةٌ
/ وَطَلْـقٌ مُحَيَّاهُ الْعَجِيبُ تَـأَنَّسَا
فَمَحْمُودَةٌ[١] أَوْصَافُـهُ وَمُحَمَّـدٌ
لَـه عَلَمٌ مِنْـهُ الْجِنَاسُ تَجَنَّسا
حَبِيٌّ بَهِيُّ الْوَجْنَتَيْنِ تَخَـالُهُ
هِـلالاً إذا جَـنَّ الظَّلامُ وَغَلَّسا
أَطَـالَ إِلَـهُ الْعَرْشِ مُدَّتَهُ الَّتِي
تُؤَنِّسُ مِسْكِينـاً وَتَـرْحَمُ آيِسا[٢]
وَإِنِّي لأَرْضَى أَنْ تُمَـدَّ حَيَاتُهُ
بِبِضْعِ حَيَاتِي مَا أَنا مُتَطَيْلِسَا[٣]
وَمَـنْ لامَـنِي فِي مَدْحِنَـا لِأَمِيرِنَا
فَأَرْقَمُ أَعْمَى فِي لِسَانِـهِ قَـدْ لَسَـا[٤]
فَدُونَكَهَا[٥] عَـذْرَاءَ بِكْراً تَخَالُهَـا
عَلَيْهَا دِيبَاجُ الْحُسْنِ خزًّا مُـوَرَّسَـا
وَثُمَّ صَلاةُ اللهِ بَعْـدَ سَلامِـهِ
عَلَى الْمُصْطَفَى مَـا جَـنَّ لَيْلٌ وَحَنْدَسَا[٦]

---

١ في جميع النسخ: «محمودة» وزيادة الفاء من قلمنا ليستقيم الوزن .
٢ في ب: «موماة» .
٣ متطيلسا: لابساً الطيلسان، وهو كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء، لا سيما الأعاجم .
٤ الارقم: أخبث الحيات، و «لسا»: أكل أكلاً خفيفاً، والمراد بالأكل – هنا – اللسع .
٥ في ب: «فهاكها عذراء بنت بكر تخالها» .
٦ حندس: اظلم .

وَأَصْحَابِـه وَآلآلِ بطـرًّا يَنَالَهُـمْ
مِـنَ اللهِ رِضْوَانٌ صَبَاحـاً وَفي مَسَـا

ومنها الشريف الأصلي، ابراهيم القنيلي. وهو رجل حصيف العقل صحيح النقل، راجح الحلم، راسخ العلم، تام الادراك نافذ الفهم، مصون الظن عن ملابسة الوهم، إذا حبر الرسائل، وأجرى دمع الحبر السائل، أو نظر المسائل، وأجاب بمطلوبه السائل، فالحدائق فتحت أزاهرها / ، أ - ٥٣ والزواخر[1] أوفدت على شاطئها جواهرها، وإذا نظم القريض، ونزه عن الزحاف الاعاريض، فالماء القراح، والاري[2] المنشور والراح ، والانس الذي نتيجته الافـراح ، والمعهد الذي طاب منه المغدى والمراح. والقلائد التي تطابق فيها المعنى الصحيح واللفظ الصراح، وله منظومات معجبة في فنون العلم أحكمها، وأبرز في صون تأليف محكمها، وكانت له قوة في الالغاز والاحاجي[3] ، يستطيع بها النفوذ ممن يحاجي[4] . ويرفع بها الاشكال عمن يغالط في سبيل النباهة ويداجي[5] . ويعتقد فيه الاستقصار لنظر المناجي، وكان كثيراً ما يخاطب بها صاحب الاود[6]، وخلاصة الاجد[7]، أمير المؤمنين بالدار السلطانية ووقعت بينهما في هذا الفن

---

١ الزواخر : البحور .
٢ الأري: العسل .
٣ الأحاجي: مفرده احجية، وهو الكلام المغلق .
٤ يحاجي: يغالبه في الحجى، أي: في العقل والفطنة .
٥ يداجي: يداري، ويخفي مراده .
٦ الأود: - بفتح الهمزة والواو -: الكد والتعب، والحمل الثقيل، ويراد به - هنا - حمل الرئاسة، وصاحب الأود، هو محمد بكداش .
٧ الاجد: - بضم أوله - القوة والعزيمة .

طرق تستلمح، فتستلقح. وتحف تستقبل، فتستنبل، وأعاجيب تستلحظ،
أ ـ ٥٤ فتستحفظ. وهذا نظمه الرائق، الذي أزهرت من معانيه الحدائق[١] : /

أَحْمَدُ اللهَ في ابْتِدَاءِ نِظَامي ... مَادِحـاً لِلأَمِيرِ فَخْـرِ الزَّمَانِ
وَصَلاةُ الإِلَـهِ ثُمَّ سَـلامٌ ... لِمُحَمَّدٍ صَاحِبِ الإِحْسَانِ[٢]
وَعَلى آلِـهِ وَأَصْحَابِهِ مَـا ... دَامَ في الأُفْقِ يَطْلُـعُ الْقَمَرَانِ
طَابَ شُرْبُ الْمُدَامِ في الْبُسْتَـانِ ... بَيْنَ رَوْضٍ وَجَدْوَلٍ وَأَغَـانِ
وَأَقَـاحٍ يَبْدُو بِثَغْـرٍ نَضِيـدٍ ... قَدْ حَكَى جَوْهَراً بِجِيدِ الْحِسَانِ
وَخُـزَامَى وَنَرْجِـسٌ وَوُرُودٌ ... أَبْيَضُ سَاطِـعٌ وَأَحْمَرُ قَـانِ
فَـاحَ نَشْرُ الرِّيَاضِ مِسْكاً فَتِيقاً ... عَنْبراً طَيِّباً فَأَحْيَـا جَنَـاني
أُنْساً بِالْهَـزَارِ يَشْـدُو بِشِعْـرٍ ... رَائِـقٍ مُتْقَـنٍ عَـلى الأَلْحَانِ
بُلْبُلٌ مُطْرِبٌ يُجِيبُ غِنَـاهُ ... بِلَذِيذِ الْغِنَـاءِ طَـابَ لِغَانِ[٣]
فَانْثَنَى الْغُصْنُ في الرِّياضِ غِرَاساً ... مِنْ نَسِيمٍ شَذَاهُ في الأَكْـوَانِ
قَدْ كَسَا سُنْدُساً وقَلَّدَ دُرّاً ... جِيدَهُ الطَّلُّ زَاهِرَ الأُرْدَانِ
أ ـ ٥٥ شِمْ[٤] تَـرَ نِرْجِساً رَنَـا بِلَحَاظٍ ... مِثْلَ خَـدِّ الشَّقِيـقِ والسَّوْسَانِ
فَهْوَ مِـنْ شَوْقِـهِ إِلَيْهِـمْ تَـراهُ ... سَائِلاً دَمْعُهُ طُـولَ الأَحْيَانِ[٥]
إِنْ تَسَلْ عَنْ سَحابِ نَدٍّ وَعُـودٍ[٦] ... قَدْ زجي فَوْقَنَا بِأَحْلى مَكَـانِ
لُؤْلُؤٌ طَلُّـهُ وَأَطْيَبُ مَـاءٍ ... مِنْ وُرُودِ الرِّياضِ لِلإِنْسَانِ

---

١ القصيدة من بحر الخفيف الصحيح العروض والضرب .
٢ الشطر الثاني من البيت دخله التشعيث .
٣ الغاني: من استغنى بالمال، وهو الغني .
٤ شم: من شام يشيم، أي: نظر، وفي الشطر الأول من البيت اختلال في الوزن .
٥ في ب: «من الأجفان» .
٦ «الند» و «العود» ضربان من الطيب يتبخر بهما، و «السحاب»: الدخان المتولد عنهما عند التبخير .

وَنَدِيمٌ يَشْدُو بِشِعْرٍ رَقِيقٍ فَوْقَ رَوْضٍ بِرَنَّةِ الْعِيدَانِ
نَحْنُ فِي رَوْضَةٍ أَدَرْنَا كُؤُوساً مِنْ مُدَامِ الْهَوَى مَعَ الْإِخْوَانِ
نِعْمَةٌ لَوْ تُبَاعُ كَانَ قَلِيلاً حَقُّهَا فِي الْوُجُودِ لِلْأَعْيَانِ
خَمْرُنَا لَفْظُنَا بِأَحْلَى حَدِيثٍ فِي مَدِيحِ الأَمِيرِ قُطْبِ الزَّمَانِ
اسْمُهُ مُحَمَّدٌ بِـ«بَكْدَاش» لُقِّبْ[1] مَعْدِنُ الْفَضْلِ زَائِدُ الْعِرْفَانِ
الْإِمَامُ الْهُمَامُ مَنْ فَاضَ بَحْراً مِنْ عُلُومِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ
جَاهِدٌ فَاضِلٌ نَسِيبٌ شَرِيفٌ أَجْهَدُ الْجَاهِدِينَ لِلْوَهْرَانِي[2]
ذُو حَيَاءٍ وَعِفَّةٍ وَسَخَاءٍ وَوَفَاءٍ وَصِدْقِ نُطْقٍ لِسَانِ
لَوْ تَرَاهُ وَقَدْ بَدَا كَقَضِيبٍ عَمَّهُ الْحُسْنُ عَاطِرُ الْأَرْدَانِ / أ - ٥٦
قَدْ بَدَا فَوْقَهُ مُحَيَّاهُ بَدْراً نَيِّراً مُشْرِقاً عَلَى الْأَكْوَانِ
قَدْ هَدَى فَاهْتَدَى لِأَقْوَامِ رُشْدٍ وَهْوَ فَرْدُ الزَّمَانِ والْأَقْرَانِ
مَنْ نَدَاهُ عَلَى الْأَنَامِ كَقَطْرٍ سَحَّ مِنْ كَفِّهِ عَلَى الْأَزْمَانِ
شَمْسُ عِرْفَانِهِ أَنَارَتْ قُلُوباً بَعْدَ إِظْلَامِهَا مِنَ الْعِصْيَانِ
فَاهْتَدَى مَنْ هَدَاهُ رَبِّي صِرَاطاً فِيهِ قَدْ قَادَهُ لِأَعْلَى الْجِنَانِ
أَمَّ بَابَ الْوَلِي «بَكْدَاش» يُدْعَى نُورُهُ قَدْ بَدَا بِأُفْقِ يَمَانِي[3]
قَدْ بَدَا فِي الْعُيُونِ أَبْهَى جَمَالٍ وَجَلَالٍ فَكَمْ لَهُ مِنْ شَانِ
هُوَ شَمْسُ الْهُدَى أَنَارَتْ بِشَرْقٍ ثُمَّ فِي الْغَرْبِ قَدْ سَرَى مُذْ زَمَانِ

---

١ الشطر الأول من البيت مختل الوزن .
٢ الجاهد: من يسهر الليالي من أجل عبادة الله، ويطلق أيضاً على المجاهد لاعلاء كلمة الله . والوهراني: هو سيدي محمد الهواري دفين وهران والمتوفى بها سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩ م، (محمد بن مريم، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر: المطبعة الثعالبية، ١٩٠٨ م، ص: ٢٢٨ - ٢٣٦) .
٣ يماني: نسبة إلى اليمن، لأن في القديم كان اليمن منبع الحكمة والعرفان، وفي ب: «بالأفق يمان» .

وَاجِبٌ مَدْحُـهُ عَلى الناسِ طُـرًّا عَمَّهُمْ بِشْرُهُ مَعَ الإِحْسَانِ
فَاقَ كُلَّ الأَنَـامِ حِسًّا وَحُسْنـاً وَكَمَالاً فِيَالَـهُ مِـنْ شانِ !
إِنْ بَـدَا وَجْهُـهُ يُنِـيرُ ضِيَـاءً قُلْتُ: بَـدْرٌ عَلى قِوَامِ الْبَانِ[1]
أَوْ بَـدَا فِي الظَّـلامِ عَادَ كَيَـومٍ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ عَلى الأَكْوَانِ /
قَـدْ حَمَى قَلْبَـهُ وَطرفـا حَـوَاهُ عَنْ نَعِيمٍ يَزُولُ أَوْ فِي الْجَنَانِ
قَـدْ حَبَاه الإِلَـهُ أَعْلى مُنَـاهُ إِذْ بَرَى عَبْدَهُ فَنَـالَ الأَمَانِي
هِمَّـةٌ قَـدْ سَمَتْ لأَعْلى مَقَـامٍ كَمْ ثَنَى دُونَهُ عِنَـانَ حِصَانِ
عَالِمٌ فَاضِلٌ يُرُوقُكَ مِنْـهُ إِنْ بَـدَا لَفْظُهُ رَقِيـقَ الْمَعَانِي
فِي عُلُومِ الْجَمِيلُ[2] يُنْبِئْكَ[3] دَأْباً[4] كَم جَلَا مُشْكِلاً بِأَحْلى بَيَـانِ
يَقْطَعُ اللَّيْـلَ ذَاكِـراً وَرُكُـوعـاً يَدْعُو رَبًّا حَبَـاهُ بِالْقُـرْآنِ
فَيْضُ جُودِ الإِلَـهِ يَغْشَـاهُ دَأْبـاً وَسُرُورٌ مُضَاعَفٌ هُوَ ثَانِ
رَحْمَـةٌ لِلأَنَـامِ عَمَّـتْ وَجَلَّـتْ كَمْ جَلَتْ ظُلْمَةً مِنَ الْعِصْيَانِ
أَنْتَ أَحْلى مِنَ الحَيَاةِ لِجِسْمِـي وَوِصَالٌ لِعَاشِقٍ مُتَفَـانِ
ثُمَّ أَحْـلى مِـنَ النَّعِيمِ مَقَامـاً فِي رِيَاضِ الْجَنَانِ مَعْ وِلْدَانِ
فُقْتَ مَـاءً مَـعَ النَّسِيمِ بِظِـلٍّ وَسْطَ رَوْضٍ لِسَائِـرٍ ظمـآنِ
كُلَّ يَوْمٍ أَرَاكَ تُبْـدِي جَمَـالاً وَكَلامـاً يَطِيبُ لِلاذَانِ /

---

١ البان: شجر معتدل القوام .

٢ لعلّه يريد علوم القرآن، من تفسير وقراءات، أو يريد بـ «الجميل» النبي ﷺ ، وعلومه أحاديثه المروية، وأفعاله المتبعة والله أعلم بحقيقة المراد .

٣ ينبئك: بالجزم لوقوعه جواباً لأن الشرطية في البيت الذي قبله .

٤ دأبا: دائماً باستمرار .

يَا إمَامَ الانَامِ هَلْ أَنْــتَ تَــدْري ... بِاكْتِآبِ الْكَئِيبِ وَالْحَيْــرانِ
كَيْفَ يَحْلُو لِطَرْفِ عَيْــني مَنامٌ ... وَقُلَيْبي يَطِيرُ بِالْخَفَقَانِ
مِثْلَ رَبْعٍ أَبْكي عَلَيْــهِ انْتِحَاباً ... بِدُمُوعٍ تَفِيضُ كَالْغُدْرَانِ
أَيُّهَا السَّيِّدُ الَّذِي قَد حَبَاهُ ... رَبُّــهُ بِالْهُدَى مَــعَ الإِحْسَانِ
هَلْ تَرَى مَنْ أَتَى لِبَابِكَ يَــرْجُــو ... مِنْ نَوالٍ يَفِيضُ كَالطُّــوفَــانِ
دَعْــوَةً قَــدْ أَنَــاخَ عِنْــدَكَ فِيهَا ... رَحْلَهُ قَلْبُــهُ عَــلى النِّيــرَانِ
مِنْ غَــرامٍ أَلَــمَّ فِيــهِ بِشَــوْقٍ ... زَائِــدٍ وُجْــدُهُ إلى الأَوْطَــانِ
أَنْــتَ مَاشَيْتَــنِي بِبَــابِــكَ يَوْمــاً ... خَاضِعاً بَاكِيــاً لِمَا قَدْ عَــرَانِي
أَيُّهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ رُوَيْداً ... كَيْفَ تَرْضَى إيــابي بِالْحِرْمَانِ
أَنْتَ نُــورٌ وَرَحْمَــةٌ وَسُــرُورٌ ... صَاغَكَ اللهُ بُغْيَــةَ الإِنْسَانِ
إِنَّ لِي حَاجَــةً لَــدَيْــكَ زَمَــاناً ... / كَمْ أُرَاهَا[1] / تَذُوبُ بِالنِّسْيَانِ
نَبْتَغِي قُرْبَكُمْ جَمِيــعَ الزَّمَــانِ ... لِنَرَى وُدَّكُمْ وَيُجْلى كَمَاني / [2] أ - ٥٩
مَا تَرَى مَا اعْتَرى فُؤَادِي وَجِسْمي ... مِنْ خُمُولٍ وَأَعْظَمِ الأَشْجَانِ
وَاكْتِآبٍ وَلَوْعَــةٍ وَغَــرامٍ ... طَارَ قَلْبي بِهَا إلى الأَذْهَانِ[3]
حَاشَا لله أَنْ تُخَيِّبَ عَبْــداً ... خَاضِعاً بَاكِياً عَــلى الإِخْــوَانِ
مِنْ غَرامٍ لَوْ حَلَّ مِثْلَــهُ طَــوْداً ... دُكَّ ذَا الطَّوْدُ - سَيِّدِي - بِعِيَانِ
كَيْفَ يَحْلُو لَــهُ الْمَنَامُ بِلَيْــلٍ ... يَرْعَى فِيهِ النَّجْمَ[4] فِي النِّيرَانِ

---

١ «كم أراها»: ساقط من ب .
٢ الكمان: السكة التي يحرث بها الأرض، وجلاء الكمان كناية عن الغنى .
٣ في ب: «به إلى الأوان» .
٤ في ب: «النجوم» .

لَوْ تَرَاني عَـلى الْفِـرَاش عَلِيـلاً ... طَارَ أَحْلى الْمَنَامِ مِنْ أَجْفَانِ
إِي ! وَحَـقِّ الإِلَـهِ مَا لَكَ مِنِّي ... - سَيِّدِي - رَحْمَةٌ تَرِقُّ لِشَانِ
كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ أَمْـرِي وَحَالِي ... ذُبْتُ مِنْ حِرْقَتِي فَلَسْتُ أُرَانِي
عَـادَ شِعْرِي بِمَا مَدَحْتُـكَ دُرًّا ... أَخْجَلَ الْبَـدْرَ زَائِدَ اللَّمَعَـانِ
طَابَ لَفْظاً إِلى الْقُلُـوبِ كَمَـاءٍ ... مُعْرَباً مُتْقَناً رَقِيـقَ الْمَعَـانِي
كَيْفَ لا - سَيِّدِي - وَمَدْحُكَ[1] يَحْلُو ... مَـع مَرِّ الزَّمَـانِ لِلإِنْسَـانِ

ولـه أيضاً[2] : /

لَـكَ الْحَمْدُ يَا مَنْ أَدْخَـلَ الأُمَرَاءَ فِي
قِبَابِ مُخَدَّرَاتِ[3] فِيهَـا نَصِيـبُ
وَعَاطِرَةَ الأَنْفَـاسِ أَمَّـا قِوَامُهَا
فَغُصْنٌ وَأَمَّا رِدْفُهَا فَكَثِيبُ[4]
مُوَرَّدَةَ الْخَدَّيـنِ كَالْبَـدْرِ وَجْهُهَـا
بَدَا تَحْتَ لَيْلٍ مَا أَرَاهُ يَغِيبُ
أُدِرُّ - بِفِيهَا مَـا أَرَاهُ - مُنَضَّـدٌ
حَـوَاهُ عَقِيقُ الْمَرْشَفَيْنِ شَنِيـبُ[5]

---

١ في ب: «بمدحك» .
٢ القصيدة من البحر الطويل المقبوض العروض المحذوف الضرب .
٣ حذف التنوين من «مخدرات» ليستقيم الوزن .
٤ الردف: - بكسر الراء - آخر كل شيء، ويراد به - هنا - عجز المتغزل بها. الكثيب: التل من الرمل .
٥ العقيق: خرز أحمر، ويراد به - هنا - اللحم الماسك للأسنان، الشنب: شدة بياض الأسنان .

حَلَتْ وَتَحَلَّتْ بِالْجَمَال عُقُودُهَا
إِذَا مَا رَأَتْ بِالْمُقْلَتَيْنِ تُصِيبُ[١]
رَنَتْ وَانْثَنَتْ كَالْغُصْنِ (عِنْدَ مُيولِهِ)[٢]
عَدَتْ وَاغْتَدَتْ ذَات الْجَمَالِ رَبِيبُ
لَهَا مُقْلَةٌ حَوْرَاءُ حِرْتُ بِوصْفِهَا
عَلى وَجْنَةٍ فِيهَا الشَّقِيقُ خَصِيبُ[٣]
وَنُونَانِ فَوْقَ الْمُقْلَتَيْنِ تَقَوَّسَا
عَرَانِي غَرَامٌ مِنْهُمَا وَلَهِيبُ
وَغُرَّتُهَا الْغَرَّاءُ غَرَّتْ بِنُورِهَا
غَرِيباً غَدَا فِي الْعُشْقِ كَادَ يَذُوبُ
إِذَا مَا مَشَتْ تَخْتَالُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِهَا
بِقَامَتِهَا الْهَيْفَاءِ كَيْفَ أَتوبُ / ؟! أ - ٦١
تَعَاظَمَ وَجْدِي إِذْ بَدَا بِخُدُودِهَا
نُضَارٌ عَلى أَصْفَى اللُّجَيْنِ مَشُوبُ[٤]
شَمَائِلُهَا فِي الْعَقْلِ أَسْرَى مُدَامَةً
شَذًى قَدْ حَوَى فُوهاً فَأَرَّجَ طِيبُ[٥]

---

١ نصيب: تؤثر في من نظرت إليه فتصيبه بسهم لحظها الفتاك .

٢ في ب: «رنت وانثنت الغصن إذ بدت» .

٣ حوراء: شديدة البياض والسواد، الشقيق: ضرب من النبات شديد الحمرة، ويقال له أيضاً «شقائق النعمان» .

٤ النضار: الذهب الخالص، اللجين: الفضة والكلمة ملازمة للتصغير .

٥ اسرى مدامة: أسرع من سريان المدامة في العقل، والمدامة - بضم أوله -: الخمر، الشذا: قوة ذكاء الرائحة، الفوه: نوافح الطيب .

وَأُطَيِّبُ مِن ذَاكَ الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ
مَدِيحي مولى لِلأَنَامِ حَبِيبُ
إِمَامٌ جَلِيلٌ جَلَّ فِي الْخَلْقِ قَدْرُهُ
كَرِيمٌ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ أُنِيبُ
حَبِيبِي أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدٌ فَضْلُهُ
عَزِيزُ جَنَابٍ قَدْ حَوَاه رَحِيبُ
عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ مُنَبِّئاً
عَنِ الْغَيْبِ فِيمَا قَالَهُ فَيُصِيبُ
يَحُلُّ رُمُوزَ الْمُشْكَلاتِ بِسُرْعَةٍ
بِأَيِّ عُلُومٍ إِنْ تَسَلْهُ يُجِيبُ
رَحِيمٌ رَؤُوفٌ فَاضِلٌ مُتَوَاضِعٌ
سَخِيٌّ شُجَاعٌ لِلْقُلُوبِ طَبِيبُ
إِذَا جَاءَه الْمَلْهُوفُ عَادَ بِسُؤْلِهِ
وَكَمْ فِي حِمَاهُ طَالِبٌ وَغَرِيبُ
وَفِي وَجْهِهِ الأَسْنَى الْكَرِيمِ مِنَ الْوَرَى
سُرُورٌ وَنُورٌ لا عَرَاهُ قُطُوبُ ![1]
يَسِحُّ نَدَاهُ كُلَّ يَوْمٍ بِرَاحَةٍ
سَحَابٌ حَكَاهُ فِي الْوُجُودِ سَكُوبُ

---

١ «لا عراه قطوب»: جملة دعائية.

تَعَطَّرَتِ الأَرْجَـاءُ مِنْ عَرفِ نَشْرِهِ
وَعَمَّتْ عَـلى الآفَـاقِ مِنْـهُ هُبُـوبُ / أ - ٦٢
نَهَـارٌ بَـدَا كَالشَّمْسِ يَسْطَـعُ نُـورُهُ
وفي اللَّيْـلِ مِـنْ بَـدْرِ التَّمَـامِ يَـؤُوبُ
تَـرَى النَّـاسَ سَرْعَى يَسْأَلُـونَ بِجَاهِـهِ
إذا نَالَهُـمْ ضَيْمٌ وَزَادَ خُطُـوبُ
حَوَى الْمَجْدَ عَنْ آبَائِـهِ وَعَلا بِـهِ
وَلِيٌّ عَـلى ذِكْـرِ الإلَـهِ طَرُوبُ
فَكَمْ فَـكَّ مِنْ أَمْـرٍ تَعَـاظَمَ شَأْنُـهُ
«جَزَائِرُ» عِنْدَ الأَوَّلِينَ صَعِيبُ
وَقُطْرٌ حَـوَاهُ فَهْـوَ لِلشَّمْـلِ جَـامِـعٌ
فَبَاهَى عَلى كُلِّ الْبِـلادِ خَصِيبُ
لَـهُ الْمَجْدُ في أُفْقِ السَّمَاءِ مَنَـارُهُ
تَسَامَى عَلى كُلِّ الانَامِ حَسِيبُ
وَشِعْرِي بِـهِ دُرٌّ تَلأْلأَ نُـورُهُ
عَـلى جِيـدِ ذَاتِ الْحُسْنِ ذَاكَ عَجِيبُ
تَيَسَّرَ كَالْمَاءِ الزُّلالِ لِسَائِـغٍ
وَكَمْ حَار فِيهِ شَاعِـرٌ وَأَدِيبُ
وَذَاكَ بِحَمْدِ اللهِ مِنْـهُ كَرَامَـةً
تَحَقَّقَهَا صَاحِي فَلَسْـتُ أُرِيبُ

وكاتبه – مادحاً، ومستعطفاً، برسالة، وقصيدة – أبو عبد الله محمد، ابن محمد القالي – شفاه الله تعالى من مرضه المتوالي – يشكو له من
أ – ٦٣ الألم، وما أصابه من الدهر حين / كرّ عليه بخطوبه وألم، فجعل له أمير المؤمنين خراجا من سبل الخيرات، يعالج به داء النكبات، فجزاه الله خيراً من أمير، يعرف قدر البائس الفقير، ونصّ الرسالة التي كاتبه بها وأبدع في انشائها، وهي :

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كل منهما يتوالى، وعلى آله ومن تبع ووالى، حمدا لله تعالى أجمل ما تزينت بـه الطروس، وتجملت به الاسطار، وثناؤه جل جلاله أفضل ما لهجت[1] به النفوس، وعمرت به الأفكار، وهو القديم الذي لا تغيره الحوادث ولا تلحقه الاغيار، ولا تحيط به العقول ولا تدركه الأبصار، فله الحمد على ما ألهمنا إليه من علاء[2] شأنه وحمده، وله الشكر على ما اولانا من سوابغ آلائه ورفده، حمداً وشكراً كما يجب بجلاله، وكما يحق لمجده وكماله، وكما ينبغي لذاته العالية من التعظيم والاكبار، جلّ الله تعالى
أ – ٦٤ مالك الملك، ومقيم قسطاس العدل بما أراده من اغراس[3] السيادة في الترك، ومطلع اقمارهم / السعيدة في آفاق المعالي، فانجلت بهم غياهب الظلم الحالك، عبرة لذوي البصائر ونزهة لاولي الابصار، جمع – سبحانه وتعالى – بهم كلمة الدين الحنيف، وأثرهم بهذا الملك الكبير وهذا العز

---

١ في ب: «لـجت».
٢ في ب: «على».
٣ في ب: «إعزاز».

المنيف، وشرفهم بما وهبهم من الرتب العالية وهم أهل للرفعة والتشريف، وخصهم بمكارم الأخلاق ونزاهة الأقدار، وجعلهم - بهذا القطر - رحمة للعباد، وأخمد بشوكتهم نار الفتنة والعناد، فسلكت بهم السبل وامنت بهم البلاد، لطفاً منه - سبحانه - بهذه الاقطار. فنسأل الله - تعالى - وهو أفضل من دعي فأجاب، وأكرم من استتيب فأتاب - ان يبقى جنابهم السعيد عالياً[1] على كل جناب، وأن يخلّد الملك فيهم على مرور الدهور وانقضاء الاعمار، وأفضل الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام - صلى الله عليه وعلى آله ما ترادفت الدهور وتعاقبت الاعصار - . /

وبعد: فإن الله تعالى منّ على المسلمين بسيدنا ومولانا سلطان الملوك والاكابر، المخصوص بأفضل الشمائل والمآثر، الإمام العادل، السلطان الفاضل، العالم العامل، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، الذي اطلعه الله في سماء الجلالة بدراً، ورفع له في درجات الأمراء قدراً. وأجرى له على ألسنة الخلق ثناء جميلا وذكرا، فأصبح الدين مبتهجاً بكريم دولته، وجناب الكفر مهتضماً في صولته. مولانا وسيدنا محمد خوجة[2] الدولاتلي[3] أبقى الله تعالى أيامه، وأصحب النصر والتمكين الويته وأعلامه، وهو - نصره الله - أجل من استعين به فكان خير معين،

---

١ في ب: «عليا» .

٢ خوجة: كلمة تركية معناها: المسجل، أو الكاتب، أو الناسخ، أو المتعلم، أو المعلم الخاص .

٣ الدولاتلي: ذو الجلالة، صاحب القوة والنفوذ، صاحب السعادة، وتطلق على رؤساء الأتراك وذوي الرتب العالية. والكلمة تركية .

وأعطي مفاتيح اليمن فتلقاها باليمين. وأفضل من امتثل قوله – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَرَّجَ عَلى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، فَرَّجَ اللهُ عَلَيْهِ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الآخِرَةِ»[٣] إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، حسبما أحاط به / علم مولانا – نصره الله – من مروي ومنقول، وهو – أيده الله – أفضل من في مدحه واستنجاده أنشد وأقول[٤]:

دَامَ لَـكَ الْعِـزُّ وَالْبَقَـاءُ ... كَمَا لأَعْـدَائِـكَ الْعَنَـاءُ
وَلَمْ تَـزَلْ فِي رَغِيـدِ عَيْـشٍ ... يَخْـدِمُكَ السَّعْدُ وَالْهَنَـاءُ
لَوْ حَاتِمٌ[٥] كَـانَ حَـيًّا ... لَـزَادَ مِنْهُ لَكَ الثَّنَاءُ
أَهْلُ السَّخَا[٦] فِي الْوَرَى نُجُومٌ ... وَأَنْتَ مِـنْ فَوْقِهِمْ سَمَـاءُ
سُلْطَانُ كُـلِّ الْكِرَامِ جَمْعاً ... فِي بَـابِـكَ الْخَيْرُ وَالْعَطَاءُ
وَلا تَكَلَّفْتَ فِي عَطَـاءٍ ... فَكَانَ مِـنْ طَبْعِكَ السَّخَاءُ
إِنْ قُلْتَ قَـوْلاً فَعَلْتَ حَـقًّا ... فَكَانَ مِـنْ شَأْنِكَ الْوَفَـاءُ
وَمَـنْ غَـدَا فِي حِمَاكَ ضَيْفاً ... لَهُ بِإِنْعَامِـكَ الرِّضَـاءُ
وَمَـنْ أَتَـى يَشْتَكِيكَ ضَيْمـاً ... وَأَنَّـهُ حَقُّـهُ الْعَنَـاءُ

---

٣ جاء في صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...» وخرج الطبراني من حديث كعب بن عجزة، عن النبي ﷺ قال: «.. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ». وجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «..وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ولم أعثر على رواية المصنف، من حيث اللفظ والصيغة، ولعلها محرفة.

٤ القصيدة من بحر البسيط المجزوء، المقطوع العروض والضرب.

٥ حاتم الجود: حاتم الطائي، الشاعر المشهور الذي ضرب المثل بسخائه وكرمه حتى قيل: «أجود من حاتم»، توفي حوالي ٦٠٥ م وله ديوان شعر مطبوع.

٦ السخا: حذفت همزة المد منه للوزن.

يَعُودُ بِالأَمْنِ فِي سُرُورٍ وَزَادَ مِنْـهُ لَـكَ الدَّعَاءُ
لا زِلْـتَ بِالْعِزِ فِي نَعِيمٍ بِدَوْلَـةٍ مَا لَهَا انْقِضَاءُ / أ - ٦٧
وَلَـمْ تَـزَلْ فِي هَنَـاءِ بِشْـرٍ مَا أَقْبَـلَ الصُّبْحُ وَالْمَسَـاءُ
بِخَاتِمِ الأَنْبِيَـاءِ طَهَ وَمَنْ لَـهُ الْحَوْضُ وَاللِّـوَاءُ

ومع هذا فمولانا – أدام الله له الاسعاد، وبلّغه في الدارين غايـة المراد –، جدير بأن يقال فيه أعظم من هذا، ولكن شدة الآلام[1]، وسوء آثارها[2] منعني من الانبسـاط في الكلام، على اني أقول من كبد معلول شعرا[3]:

وَإِنَّني وإِنْ بَالَغْتُ فِي الشُّكْـرِ وَالثَّنَـا
عَلَيْكَ مُقِرٌّ بِالْقُصُورِ وَبِالْعَجْـزِ
وَلَكِنَّ رَبِّي – بِالذِي قَـدْ صَنَعْتَهُ
– يُجَازِيكَ عَنِّي فَهْـوَ أَكْرَمُ مَنْ يُجْزِي

اسأل الله الكريم[4]، رب العرش العظيم، أن يتولى مكافأة احسانك[5]، وأن يديم علي جزيل فضلك، وجميل امتنانك، انه ولي ذلك، والقادر عليه. جمع الله على التقوى أمركم، وأعد للإسلام نصركم، والسلام. من العبد العليل، الراجي لطف الله الجميل، خديم مولانا العالي، محمد

---

١ في ب: «الالم».
٢ في ب: «آثاره».
٣ البيتان من بحر الطويل المقبوض العروض الصحيح الضرب.
٤ في ب: «العظيم».
٥ في ب: «مكافئة احسانه».

أ - ٦٨ ابن القالي، لطف الله به اللطف المتوالي، ولنا في مولانا هذان البيتان وهما[1] : /

أَيَـا قِبْلَةَ الامَالِ يَا حَرَمَ النَّدَى
وَيَا كَعْبَـةً مَا خَابَ سَاعٍ نَوَالَهَا
إلى بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ قَدْ جِئْتُ قَاصِداً
فَـلا بَرِحَتْ أَيْدِيكَ تُولِي نَوَالَهَـا

وكاتبه أبو عبد الله محمد بن أحمد البوني، وقـد أجبره السلطان على الفتياء[2]. وكان في ذلك خيراً، وعزم على ما فيه العزم الذي لم يستطع معه في مخالفته صبرا، وكان ممن طلق الدنيا بتاتاً، وركن إلى الورع والزهد انقطاعاً بهجر هذا الزخرف المضمحل وانبتاتاً، فنفّذ الأمر عليه من المستعين نصره الله - بمراجعة مطلقته المبتوتة، واستنشاق[3] أرج الحياة المشتهاة من أنواع طيبها المفتوتة، فاجتهد في امضاء الحكم الفصل، واجراء الفرع من القضايا الواقعة على الأصل، والاحراز في شأو العدالة المطلوبة للخصل، والتشهير في ميدان الجزالة من النص الصريح[4] للنثر. فبز القضاة الجلّة وقاراً، وأزرى بالشم الشوامخ احتقارا، وأعلت به الخطة سموّ مكانة، واسندت منه إلى طـود جلال فلم تخضع لسواه باستكانة، وهو شنّ قد
أ - ٦٩ وافق منها طبقة[5]، / ومجل في حلبة عزمها لم يلف فيه من سبقه، وله

---

١ البيتان من بحر الطويل المقبوض العروض والضرب .
٢ في ب: «الفتيا» بحذف همزة المد .
٣ في ب: «انتشاق» .
٤ النص الصريح ما لم يؤول من نصوص الآيات والاحاديث .
٥ الشن - بفتح الشين -: وعاء من جلد كان قد تشنن، أي تقبض، فجعل له طبق، أي غطاء فوافقه.

شعر يضرب في الاجادة بسهم مصيب، ويفوز من الجزالة بحظ وافر ونصيب. وقدم في رسالته - فوق نظمه - أبياتاً، لكونها مستحسنات. وكان اطلاقها على مولانا - نصره الله - عين الانصاف، ولو قيلت في بعض الاسلاف. وهي[1] :

دَامَتْ عَلَيْكَ سَوَابِغُ النَّعْمَاءِ ... وَتَزَايَدَتْ يَا سَيِّدَ الأُمَرَاءِ
يَا مَنْ لَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَنْزِلٌ ... وَمَقَامُهُ يَعْلُو عَلَى الْجَوْزَاءِ
اللهُ أَعْطَاكَ الشَّجَاعَةَ وَالْبَهَا ... يَا كَامِلاً فِي دَوْلَةِ الأُمَرَاءِ
مَنْ رَامَ بَحْراً بِالْمَكَارِمِ طَافِحاً ... يَسْعَى لِبَابِ خُصَّ بِالْعَلْيَاءِ
يَجِدِ الَّذِي مَا مِثْلُهُ فِي عَصْرِنَا ... كَلاَّ، وَلا فِي السَّادَةِ الْقُدَمَاءِ

وهذا قوله[2] :

يَا رَبَّنَا بِالْمُصْطَفَى الْعَدْنَانِ ... وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ الأَعْيَانِ
وَالأَنْبِيا وَالرُّسْلِ وَالْقُرْآنِ ... وَالأَوْلِيَا أَهْلِ التُّقَى وَالشَّانِ
مَتِّعْ عِبَادَكَ بِالَّذِي أَمَّرْتَهُ ... فِينَا بِلا ضُرٍّ وَلا نُقْصَانِ / أ - ٧٠
وَهْوَ الأَمِيرُ مُحَمَّدٌ ذُو الْمَجْدِ وَالـ ... أَسْرَارِ وَالآلاَءِ وَالإِحْسَانِ
الأَعْظَمُ الأَعْلَى الأَعَزُّ الأَرْ ... فَعُ الشَّانِي الَّذِي مَا مِثْلُهُ مِن ثَانِ
فِيهِ الشَّجَاعَةُ وَالْبَرَاعَةُ وَالْوَفَا ... وَالْحِلْمُ وَالْمَعْرُوفُ قُلْ إِخْوَانِي
جُمِعَ التُّقَى وَالْعِلْمُ فِيهِ بِلا خَفَا ... فَاقْصُدْهُ[3] صَاحِ تَجِدْهُ بِالْبُرْهَانِ

فضرب به المثل للشيئين المتفقين فقيل: «وافق شن طبقه» - بسكون الباء وفتحها - .

١ الأبيات من بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٢ من بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٣ في ب: «فاعيه» .

مَلِكٌ يَزِينُ مَـدِيحُـه مُـدَّاحَهُ[١] هَيْهَاتَ لا يُحْصِيهِ[٢] مِنْ إِنْسَانِ
يَرْتَاحُ قَلْبِي عِنْدَ ذِكْـرِ حَـدِيثِهِ فالسَّقْمُ عِنْدِي ضِدَّهُ[٣] سِيَانِ
لا عَيبَ فِيهِ سِوَى الهُجُوم ـ أَخي ـ على وَهْرَانَ ذَاتِ الْكُفْـرِ وَالطُّغْيَـانِ
يَا صَاحِ هَذَا الأَمْرُ مِمَّا قَدْ خَبى[٤] رَبِّي لَـهُ فِي سَابِقِ الأَزْمَـانِ
يَا رَبِّ عَجِّـلْ أَخْذَهَا بِمُحَمَّدِ الْغَـالِيِّ وَالْكَرْخِيِّ وَالْجِيلانِي[٥]
بُشْرَاكَ يَا بَكْدَاشُ قَدْ نِلْتَ الْمُنَى عَمَّرْتَ[٦] أَرْضَ الْكُفْرِ بِالإِيمَانِ
فَاللهُ يُبْقِي ذِكْرَكُمْ حَسَناً وَيُعْـ ـلِي قَدْرَكُمْ وَيَجُـودُ بِالرِّضْوَانِ
ثُمَّ الصَّلاةُ مَعَ السَّلامِ[٧] عَلى حُسَا مِ[٨] الرُّسْلِ وَالآيَـاتِ وَالْبُرْهَانِ /
وَآلالِ وَالأَصْحَابِ وَالأَزْوَاجِ مَا هَـبَّ النَّسِيمُ بِسَاحَـةِ الْبُسْتَانِ

أمدنا الله تعالى بقبس من أنواركم الشريقة[٩]، وأيدنا بنفس من

---

١ مديحه فاعل «ليزين»، ومداحه - بضم الميم - مفعول به .

٢ في ب: «ان يحصيه» .

٣ في ب: «وضده» .

٤ خبى الشيء: لغة في خبأة إذا أخفاه وستره .

٥ يريد «بمحمد الغالي» سيدي محمدا الهوّاري دفين وهران، المتقدم الذكر. وبـ «الكرخي» أبا محفوظ معروفا ابن فيروز الكرخي الصوفي المشهور، المتوفى سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م ببغداد وقبره يزار هناك . وبـ «الجيلاني» عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية المشهورة، والمتوفى سنة ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م ببغداد، وما زال قبره يزار هناك. (أ - أبو عبد الرحمن السّلمي، طبقات الصوفية بتحقيق نور الدين شريبة، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥٣ م، ص: ٨٣ . ب - محيي الدين بن عبد القادر، كتاب القلائد في مناقب الشيخ عبد القادر. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٣١ هـ . ص: ٣ - ١٤٠) .

٦ في ب: «وعمرت» .

٧ في ب: «والسلام» .

٨ في ب: «حام» .

٩ الشريقة: المشرقة .

أنفاسكم المريقة[١]. وبسط لنا مائدة من موائد كرمكم العميمة، ومنحنا موهبة من مواهب نعمكم العظيمة، عنصر[٢] المكارم، ونخبة العوالم، الصدر الشهير، والطالع المنير، الخليفة الأمير، تاج الأكابر الفخام، وفخر الأمراء العظام، والمورد العذب للخاص والعام. ابي عبد الله مولانا سيدي محمد أدام الله تعالى أيامه، ووالى عليه فضائله وإكرامه.

وهنأه الأديب أبو عبد الله محمد، الملقب «بابن يوسف الجزائري»، وهو لم يكن أفسح منه في الشعر باعا، وأتم باللغة اطلاعا. وكان يتعاطى في شبيبته من الشعر ما يشهد له بالنبل، وسلوكه من طرقه المختلفة على أقوم السبل، وأخذه من فنونه بما شاء الابداع، وتعاطيه من صنوفه لكل ما تستلذه الاسماع. فكرع في سلسبيله العذب، وحلى جيد نجابته بلؤلؤها الرطب، وامتدح / - بقلائده متوسلا، ولاغراضه الطلبية متوصلا، بقصيدة من ماجد كامل، من بحر الكامل - وهي[٣] :

بُشْرَى لِمَنْ بِقُدُومِهِ خُذِلَ الْعِدَا ... وَانْزَاحَتِ الْبَأْسَاءُ وانْزَاحَ الرَّدَا
وَبَدَتْ بُدُورُ السَّعْدِ في أُفُقِ الْهَنَا ... وَبِحَيِّنَا حَادِي الْمَسَرَّةِ قَدْ حَدَا[٤]
وَبَلابِلُ الأَفْرَاحِ في رَوْضِ الْمُنَى ... فَرَحاً وَإِجْلالاً لَـهُ كُلٌّ شَدَا[٥]
وَحَدَائِقُ الإِحْسَانِ فَاحَ أَرِيجُهَا ... وَهَمَى عَلى أَرْجَائِهَا فَيْضُ النَّـدَا

---

١ المريقة: الخارجة.
٢ في ب: «عنصر».
٣ من بحر الكامل الصحيح العروض والضرب معا.
٤ حادى المسرة: المتغني بها.
٥ في ب: «شذا».

فَتَعَطَّرَتْ أَرْجَاؤُهَا وَتَزَخْرَفَتْ ... وَالْعِزُّ فِيهَا لَمْ يَدَعْ شَيْئاً سُدَى
مَنَحَ النَّسِيمُ عَبِيرَهَا لِذَوِي النُّهَى[1] ... فِي كُلِّ مُغْتَبَقٍ[2] يَفُوحُ وَمُغْتَدَى
وَالأَرْضُ رَوَّضَهَا[3] الْهَنَا بِقُدُومِهِ ... وَالْكَوْنُ أَرْدِيَةُ السُّرُورِ بِهَا ارْتَدَى
قَدْ فَاضَ فِي الأَفَاقِ نُورُ سُعُودِهِ ... وَأَمَامَهُ نَصْرُ الْمُهَيْمِنِ قَدْ غَدَا
قَمَرٌ جلى الْمَوْلَى بِهِ مَا قَدْ دَجَى ... طَوْدٌ بِهِ أَرْسَى الْبِلادُ وَقَدْ هَدَى
أ - ٧٣ فَاعْمَلْ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ كَمَالَهُ ... وَامْدَحْ بِأَنْوَاعِ الْقَرِيضِ مَدَى المدى/
مَنْ قَدْ يُقَرِّضُ مَنْ عَدَاهُ فَقَدْ يَكُنْ ... مُسْتَثْنِياً فِيمَا يَقُولُ بِـ «مَا عَدَا»
أَزْكَى وَلِيٌّ فِي الْعِبَادِ وَمَنْ بِهِ ... بِالنَّصْرِ عَنْ أَعْدَائِهِ فَتَعَوَّدَا
مُسْتَنْصِرٌ بِاللهِ فِي حَرَكَاتِهِ ... وَمُؤَيَّدٌ بِالْعِزِّ مِنْهُ فَأَيَّدَا
مَنْ يَمَّمَ السَّلَفَ السَّعِيدَ وَأَمَّهُ ... وَاقْتَصَّ آثَارَ السَّعَادَةِ وَالْهُدَى
أَبْدَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ ... لِلنَّاسِ مِنْ شِيَمِ الأَفَاضِلِ مَا بَدَا
وَعَلا عَلَى مُلْكِ الْجَزَائِرِ واسْتَوَى ... مُذْ سُلَّ سَيْفُ الْعَزْمِ مِنه وَجُرِّدَا
فَاهْتَزَّتْ الأَرْجَاءُ مِنْ فَرَحٍ لَهُ ... وَبَدَا السُّرُورُ لَنَا بِهِ وَتَجَرَّدَا
طَابَتْ بِهِ الأَيَّامُ لِي فَكَأَنَّهَا ... أَعْيَادُ[4] وَالسَّرَّاءُ فِيهَا أُخْلِدَا
وَأَرَى الزَّمَانَ النَّاضِرَ الطَّلْقَ الْهَنَا ... لِذَوِي النُّهَى[5] مِنْ حِزْبِهِ وَمَنِ اقْتَدَى
حَتَّى تَرَاءَتْ آيَةُ اللهِ الَّتِي ... نَادَى مُنَادٍ فِي الْعِبَادِ بِهَا نَدَا[6]

---

١ في ب: «لأولي النهي».
٢ مغتبق: مكان شرب الخمر عشية، والمغتدى: مكان شربها صباحا.
٣ روضها: جعلها روضة غناء.
٤ اعياد: بحذف التنوين منه لمقتضى الوزن.
٥ في ب: «لأولي النهي».
٦ ندا: جمعهم يقال: ندا القوم إذا جمعهم في النادي، أي جمعهم تحت لواء شريعة الله ورسوله.

وَلَقَدْ عَلا بَيْنَ الْمُلُوكِ بِعَدْلِهِ ... وَجَرَى مِنَ الْعَلْيَاءِ اقصَاءَ مَدَى
فَرْعٌ زَكَا مِنْ نَبْعِهِ بَيْنَ الْوَرَى ... مِنْهَا الْمَكَارِمُ وَالْفَضَائِلُ تُجْتَدَى[1] /
وَالدَّهْرُ أَصْبَحَ مُقْتَفِى[2] آثارَهُ ... وَلأَمْرِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ مُقَيَّدَا
قَدْ قَسَّمَ الأَيَّامَ بَيْنَ نَعَائِمٍ[3] ... لِمَنْ اهْتَدَى وغصائِصٍ[4] لِمَنْ اعتَدَى
حَلَّ الْبَرَايَا مِنْ ذراهُ بِجَنَّةٍ[5] ... لا تُشْتَكَى فِيهَا الإِسَاءَةُ وَالصَّدَى[6]
مِنْ كَوْثَرِ الإِحْسَانِ فِي أَرْجَائِهَا ... مَا لَيْسَ يُوصَفُ مِنْ نَوالٍ مَعْ جدى[7]
فَنَوَالُهُ قَبْلَ السُّؤَالِ مُقَدَّمٌ ... يَكْفِيكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ مِنَ النَّدَى
فِي عَسْكَرٍ مِنْ حِزْبِهِ ذِي نَجْدَةٍ ... فِي الْمُعْضِلاتِ بِهِمْ يُعِزُّ وَيُهْتَدَى
مِن كُلِّ ضِرْغَامٍ[8] بَصِيرٍ بِالْوَغَى ... وَجْهُ الْعَدُوِّ إِذا رَآهُ تَوَجَّدَا[9]
وَالنَّصْرُ مَكْتُوبٌ عَلى رَايَاتِهِمْ ... نَصْرٌ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ عَلى الْعِدَا
فَوَزِيرُهُ[10] وَكَفِيلُهُ «حَسَنٌ» الَّذِي ... سَاقَ الْجُيُوشَ إِلى الْجِهَادِ وَمَهَّدَا
يُزْجِي عَسَاكِرَهُ لِوَهْرَانَ الَّتِي ... أَضْحَى بِهَا الإِشْرَاكُ مُلْتَحِمَ السَّدَى

---

١ تجدى: تطلب وتلتمس .
٢ مقتفى: صوابه مقتفيا .
٣ نعائم: بالتنوين لمقتضى الوزن، والمعروف في «النعمة» تجمع على نعم .
٤ غصائص: بالتنوين لمقتضى الوزن، والمعروف في «الغصة» تجمع على غصص كغرفة وغرف، والمراد بالغصة - هنا - الهم والحزن المستمران .
٥ في الشطر الأول من البيت داره، في جميع النسخ التي بين يدينا. ولعل الأصل ذراه بمعنى كنف .
٦ الصدى: الصوت المزعج .
٧ في ب: «ومن جدا» .
٨ في جميع النسخ «ذرغام» والتصويب من قلمنا .
٩ توجد حزن ورهب لرؤيته .
١٠ فوزيره: في ب: «وزيره» .

يَا رَبُّ يَسِّرْ عَنْ أَيْدِيهِمْ فَتْحَهَا رَبِّي وَكُنْ لَهُمَا[1] مُعِيناً مُنْجِدَا
أ - ٧٥ وَتَعُودُ لِلإِسْلامِ دَارَ مُقَامِهِ وَبِهَا مَنَارُ الْمُسْلِمِينَ مُشَيَّدَا /
وَيَزُولُ مِنْ بَعْدِ الضَّلالَةِ بِالْهُدَى مَا غَيَّرَ الإِشْرَاكَ - قَبْلُ - وَأَفْسَدَا
بِمُحَمَّدٍ وَبِآلِهِ وَبِصَحْبِهِ وَبِكُلِّ مَنْ قَامَ الدُّجَى وَتَهَجَّدَا
تَمِّمْ بِفَضْلٍ مِنْكَ مَا أَمَّلْتَهُ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ وبِالْهُدَى
خُذْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيلَةً دُرًّا مُقَلَّداً الأَنِيقَ تَقَلَّدَا
فِي خِدْرِهَا تتجلّى مُخْفِرَةً أَتَتْ[2] فِي ثَوْبِ تَأْيِيدٍ أَتَتْكَ مُؤَيَّدَا
وَتُقَبِّلُ الْكَفَّيْنِ مِنْكَ تَوَاضُعاً فَالرُّوحُ مِنَّا وَالنُّفُوسُ لَكَ الْفِدَا

وهنأه ابن عبد الله محمد المستغانيمي: وهو رجل محقق النظار، وأستاذ فرائد لجين ونضار: كلا، بل جواهر ويواقيت، ومناسك أهدى لها من السعادة مواقيت، فحسب الطالب الموثوق بفهمه، المصروف لتحصيل مطامح مواقع سهمه، أن يلازم حلقة تعليمه، وان يشدّ يد الضنة[3] بما يلقن من محصول تفهيمه، فاكسير[4] الافادة انما حصله الواصلون من
أ - ٧٦ جابر صنعته، وكمياء السعادة انما يلقفها / الظافرون في نضارة روضه المخضل ونبعته، وقريض الشعر مما يمكن دخله تحت طوعه، ويندرج تحت قدرة تصرفه بجنسه ونوعه، إلا أنه لما يصدر منه عن قريحة كاتم،

---

١ لهما ضمير المثنى يعود على محمد بكداش وصهره ووزيره حسن أوزن. والوزن يستقيم بكلمة يديهم بدل أيديهم ويمكن عندها ارجاع الضمير إلى يديهم.
٢ مخفرة: مستحياة أشد الحياة.
٣ الضنة: كل ما يضن به ويبخل باعطائه، وفي ب: «الظنة» بظاء مشالة.
٤ الإكسير: مادة معدنية، تلقى على الفضة فتحولها إلى ذهب خالص حسب زعم بعض الكيميائيين القدامى والكلمة يونانية الأصل.

وقد سلك من البخل[١] به على طرف النقيض مما سلكه حاتم. بقصيدة سماها بـ «الكوكب النائر، في مدح أمير الجزائر»، وهي[٢] :

أَطَلْعَةَ[٣] الْبَدْرِ قَدْ نُوِئيتَ[٤] عَنْ نَظَرِي
فَهَلْ سَبِيلاً لِرُؤْيَاكُمْ يَقِي ضَرَرِي
كَتَمْتُ دَمْعِي فَأَلْقَتْهُ مَحَاجِرُهُ[٥]
وَصُنْتُ سِرِّي فَأَبْدَتْهُ[٦] يَدُ الْقَدَرِ
فَلَمْ أَجِدْ لِاكْتِتَامِ الدَّمْعِ مَمْلَكَةً
وَلَمْ أَجِدْ لِظَلامِ الْحُبِّ مِنْ قَدَرِ
إذا بِرِيحِ الصَّبَا هَبَّتْ وَقَدْ سَكَنَتْ
رِيحُ الدَّبُورِ فَزَالَ الْغَيْمُ عَنْ بَصَرِي
لا زِلْتُ أَقْتَبِسُ الآثَارَ حَيْثُ[٧] بَدَا
لِمُقْلَتِي كَوْكَبُ بِالنَّصْرِ مُتَّزِرِ[٨]
إمَامُ عَدْلٍ حَمَاهُ الرَّبُّ حَيْثُ غَدَا
مُعْتَصِماً صَابِراً للهِ مُنْتَصِرِ[٩]

---

١ في ب: «النجد».
٢ من وزن البحر البسيط مخبون العروض والضرب معا.
٣ في ب: «اطلعت».
٤ في ب: «نؤيت». وفي الأصل نأيت.
٥ في ب: «محاجري».
٦ في ب: «فابنده».
٧ في ب: «حتى».
٨ متزر: منصوب على الحال، وقد ضحى الناظم بالقاعدة النحوية في سبيل قافيته.
٩ في ب: «منتضر»، ومنتصر منصوب على الحال. إلا أن الناظم أخل بالقاعدة النحوية من أجل سياق القافية.

ثُمَّ وَفَتْني يَــدُ الإسْعَادِ فَاتَّضَحَتْ
مَعَــالِمُ الْوَصْلِ قَــدْ نِيلَتْ بِلا فَخَــرِ / أ - ٧٧
نَجْم الصَّبَاحِ لَقَــدْ أَقْبَلْتِ بِالْبُشَــرِ
بِعِــزَّةِ اللهِ لا بِعِــزَّةِ الْبَشَرِ
نِعْمَ الْمَجِيءُ وَرِيــحُ النَّصْرِ قَــدْ وَرَدَتْ
أَمَــامَ مَجْدِكُــمْ بِالْخَيْــرِ وَالظَّــفَــرِ
وَأَنْجُمُ السَّعْدِ أَقْبَلَتْ[1] بِأَجْمَعِهَــا
وَأَنْجُمُ النَّحْسِ أَدْبَرَتْ مَعَ الأَثَرِ
إنَّ «الْجَزَائِرَ» قَــدْ عَنْ سَاقِهَا كَشَفَتْ
وَاسْتَبْشَرَتْ أَقْبَلَتْ عَنْكُمْ بِلا نُكَرِ
فَكُنْ لَهَا مُكْرِماً وَنَاصِحاً قَــائِماً
بِالْقِسْطِ عَــنْ حَاسِدٍ تَكْفِي وَعَنْ مُنْكَرِ[2]
أَدَارَ مُلْكِ الْوَلاةِ فَابْشِري فَرَحــاً[3]
إذْ حَــلَّ فِيــكَ سَدِيــدُ الرَّأْيِ وَالنَّظَــرِ
سُلْطَانُنَــا الْمُرْتَضَى دَامَتْ سَعَادَتُهُ
وَازْدَادَ نَصْراً عَلى نَصْرٍ مَدَى الْعُمرِ

---

١ في ب: «قد اقبلت» .
٢ القسط :- بكسر أوله وسكون ثانيه - العدل، والقسط بضم أوله وسكون ثانيه -: عود يتداوى به، والقسط - بفتح أوله مع ثانيه -:. التصلب والتيبس .
٣ ضمير المخاطب يعود على «دار الملك» .

فَقَدْ أَتَى وَاحِداً فِي عَصْرِنَا رَافِعاً
لِـرَايَـةِ الْعِلْمِ وَالشَّرْعِ الْقَوِيمِ حَـرِي [١]
أَبْهَجَةَ الْمُلْكِ قَـدْ كُسِيتَ [٢] ثَوْبَ هُـدَى
وَقَـدْ صَفَا شُرْبُ مَائِـكَ مِنَ الْقَذَرِ
أَيَّامُكُمْ أَقْبَلَتْ وَدَوْلَـةٌ سَعِـدَتْ
وَرَحْمَـةٌ وَسِعَتْ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
بِحاكِمٍ فَاضِلٍ وَعَـالِمٍ عَـامِلٍ
أَحْيَا الْحَنِيفِيَّةَ [٣] السَّمْحَاءَ كَالْمَطَرِ
أَدَارَ مُلْكٍ فَلا تَخْشَوْنَ مِنْ أَحَدٍ
فَكُلُّ أَعْـدَائِكُمْ مِنْكُمْ عَـلى حَـذَرِ / أ - ٧٨
أَبْوَابُ «وَهْرَانَ» قَـدْ أَلْقَتْ قَـلائِدَهَـا
وَقَـدْ غَدَا جَيْشُهَا كَهَائِمِ الْحُمُرِ
وَأَدْخَلَ الرُّعْـبَ فِي قَلْبِ الْعُـدَاةِ [٤] وَقَـدْ
مِنَ السَّمَا [٥] مُطِرُوا بِالشُّهْبِ وَالْحَجَـرِ
يَا جَيْشنا فَابْشِرُوا بِالْحُسْنَيَيْنِ لَكُـمْ
أَجَنَّةُ الْخُلْدِ أَوْ فَتْحاً هَنِيئاً مَرِي [٦]

---

١ حري: أجدر .

٢ في ب: «كوسيت» .

٣ الحنيفية: الدين الإسلامي على العموم، أو مذهب أبي حنيفة النعمان الذي كانت الحكومة الجزائرية تابعة له وعاملة بمقتضاه .

٤ في ب: «الكفور» .

٥ حذفت همزة المد من «السماء» لمقتضى الوزن .

٦ مري: صفة لـ «فتحا» وقد خالف الناظم القاعدة النحوية نزولا عند رغبة قافيته .

رَبّي بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى فَكُنْ نَاصِراً
لَهُمْ بِرِيحِ الصَّبَا يا خَيْرَ مُنْتَصِرِ
وَاهْزِمْ وُلاةَ الصَّلِيبِ هَزْمَ بَدْرٍ كَمَا[1]
هَزَمْتَهُمْ بِحُنَيْنٍ سَلْ عَنِ الْخَبَرِ
بِجَاهِ مَنْ خَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ وَمَنْ
تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ فِي دُجَى السَّحَرِ[2]
وَجُمْلَةِ الْخُلَفَاءِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
أَتَى لِمَكَّةَ قَاصِداً لِيَعْتَمِرِ[3]
خُذْهَا بِكَفَّيْكَ قَدْ جَاءَتْ عَلَى قَدَمٍ
تَسْعَى لِبَابِ الْمُلُوكِ سَعْيَ مُفْتَقِرِ
وَبِاسْمِ قَائِدِهَا مُحَمَّدٍ نَطَقَتْ
وَسَلَّمَتْ بَايَعَتْ طَوْعاً لِمُنْتَصِرِ

وممن مدح المولى، ورفع على علم شعره علم شكر ما أولى، واثنى عليه
أ - ٧٩ فأجاد، وأفادنا بثنائه انه غرف من نيل فوائد واستفاد. / الكاتب اللوذعي، العالم الالمعي، أبو زيد السيد عبد الرحمن بن عبد الله الجامعي نسبا، الفاسي منشئاً، الجزائري داراً، وهو رجل وحيد الدهر، بل فريد العصر. لا أعلم اني لقيت مثله في طريق الآداب، ولا أشد كاهلا منه في الانتخاب،

---

١ بدر : بدون تنوين لمقتضى الوزن .
٢ اشارة إلى ما جاء في الاثر : أن النبي ﷺ كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه .
٣ ليعتمر : منصوب بان مضمرة بعد لام التعليل، بيد أن الناظم جره لمقتضى القافية .

ولو أدركه الصاحب[١] والبديع[٢]، لاخذا عنه كل معنى بديع، وإذا قصد، وأخذ للشعر بمرصد، وشطّر[٣] وصرّع[٤]، وجنّس[٥] ورصّع[٦]، وطابق[٧] وقابل[٨]، ووازن[٩] وماثل[١٠]، واقتنص ولمح[١١]، وأومأ[١٢] وملح،

---

١ الصاحب: هو كافي الكفاة أبو القاسم اسماعيل المعروف بـ (الصاحب بن عباد) ولد سنة ٣٢٦ هـ - ٩٣٨ م، وتوفي سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م، كان بحراً طافحاً بعلوم عصره، وبمّا زاخراً بمعارف وقته، فله مؤلفات كثيرة في شتى الفنون، منها: (المحيط) في اللغة في عشر مجلدات، وعنوان المعارف في التاريخ وغير ذلك .

٢ البديع: هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني المعروف بـ (بديع الزمان) صاحب المقامات المشهورة بـ «مقامات الهمذاني» توفي سنة ٣٩٣ هـ - ١٠٠٣ م .

٣ التشطير - في الشعر -: زيادة شطر آخر على كل شطر منه .

٤ التصريع - في الشعر -: جعل البيت منه ذا مصرعين .

٥ الجناس - في فن البديع -: تشابه الكلمتين في اللفظ لا في المعنى، في كله نحو: العين للباصرة، والعين لينبوع الماء. أو في بعضه نحو: قارب وقالب .

٦ الترصيع: التنظيم، والتزيين. وهو فن من فنون السجع. فالمرصع ما اتفقت ألفاظ احدى الفقرتين. أو أكثرها في الوزن والتقفية .

٧ المطابقة - عند علماء البديع -: الجمع بين معنيين متقابلين، سواء كان ذلك المعنى حقيقيا أو مجازيا .

٨ المقابلة: نوع من الطباق، وهو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب .

٩ الموازنة - عند علماء البديع -: أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية، كقوله تعالى: «وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ» .

١٠ المماثلة: المشاكلة، وهي - عند علماء البديع -: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديراً، نحو قوله تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» .

١١ التلميح: قسم من أقسام الكناية، ويقال له: «التعريض» أيضاً، وهو ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق، نحو: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ» .

١٢ الايماء: قسم من أقسام الكناية أيضاً، وهي كناية قلّت وسائطها مع وضوح الدلالة، كقول أبي تمام يصف أبله مادحاً أبا سعيد بن يوسف الثغري :

ابين فما يزرن سوى كريم وحسبك ان يزرن أبا سعيد

ووشح[١] ، واستعار[٢] ، ورشح[٣] ، وكمّل وتمّم ، وفوق[٤] وسهم ، وأوضح وأدمج[٥] ، وسمط[٦] ودبج[٧] ، وجمع وفرق[٨] ، وبالغ[٩] وأعرق ، والتفت[١٠] / واحترس ، وضمن[١١] واقتبس[١٢] ، وأبدع وطرز ، وأعجب وأعجز فالسحر الحلال ، وماء الزلال ، والمنهل العذب ، والمنزل الرطب ، والطيب المفتوت ،

---

١ التوشيح : فن من فنون الشعر ينظم على تقاطيع وقوافٍ معلومات ، بحيث لا يتقيد فيه الناظم بقافية واحدة ، وهو من اختراع الأندلسيين ، وسمي بالتوشيح لأنه يشبه الوشاح بأشكاله ، وتسمى القصيدة منه : موشحة .

٢ الاستعارة : هو لفظ استعمل في غير المعنى الموضوع له لمناسبة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة تصرفه عن ارادة المعنى الأصلي . كقولك : «رأيت أسدا» تعني رجلا شجاعاً .

٣ الترشيح – عند علماء البيان – : هي أن تقترن الاستعارة بما يلائم المستعار منه ، كقول كثير عزة :

رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو للقلب جارح

فقد استعار السهم للنظر ، بجامع التأثير في كل . ثم رشح الاستعارة بذكر الريش الملائم للسهم .

٤ يقال : فوق السهم ، إذ جعل له فوقا ، والفوق مشق رأس السهم ، حيث يقع الوتر .

٥ الادماج – عند علماء البديع – : أن يجعل المتكلم الكلام الذي سبق المعنى من مدح أو غيره – متضمناً – معنى آخر .

٦ سمط : نظم الشعر مسمطا ، والتسميط – في الشعر – : هو أن تضم شطراً من شعرك إلى شطر شعر غيرك .

٧ التدبيج – عند علماء البلاغة – : تحسين اللفظ وتزيينه بواسطة التورية ، أو الكناية .

٨ الجمع مع التفريق – عند علماء البديع – : هو أن يجمع بين شيئين في معنى ، ويفرق بين جهتي الادخال ، كقول رشيد الدين الوطواط :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرها

فقد شبه وجه الحبيب وقلبه – هو – بالنار ، ثم فرق بين وجهي المشابهة بأن جعله في الوجه الضوء واللمعان ، وفي القلب الحرارة والاحتراق .

٩ المبالغة – عند علماء البديع – : هو أن يدعى لشيء وصف يزيد عما في الواقع .

١٠ الالتفات : رجوع المتكلم إلى الكلام السابق بنقضه وابطاله لنكتة ، كالتحسر والتحزن في قول زهير بن أبي سلمى :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

١١ التضمين : هو أن يأخذ الشاعر شطراً من شعر غيره بلفظه ومعناه .

١٢ الاقتباس : أن يضمن الكاتب أو الشاعر كلامه آية قرآنية ، أو حديثاً نبوي ، أو حكمة مأثورة ، أو قاعدة علمية .

والفستق الملتوت[١] ، والفواكه والقوت، والدّر والياقوت، والوشي المرقوم، / أ - ٨٠
والرحيق المختوم، والصبغ الاقمر[٢] ، والكبريت الأحمر ، والمسك والعنبر ،
والاكسير[٣] الأكبر ، صدر عنه الشعر المعجب ان لم نقل المعجز . والنظم
الذي هو لوعد صدق براعته منجز ، من ذلك قوله[٤] :

لَقَدْ فَتَكَتْ بِالْقَلْبِ فَتْكَ الْبَوَاتِرِ
عُيُونُ الظِّبَاءِ الآنِسَاتِ الْجَآذِرِ [٥]
وَقَدَّتْ بِقَدِّ السَّمْهَرِيِّ[٦] حَشَاشَتِي
فَفَاضَتْ عُيُونِي بِالدِّمَا وَمَحَاجِرِي
رَعَى اللهُ ظَبْياً قَدْ رَعَى حَبَّ مُهْجَتِي[٧]
وَلَمْ يَرْعَ فِي نَجْدٍ عَرَاراً وَحَاجِرِ [٨]
وَمَا زِلْتُ أَرْعَاهُ وَيَحْسِبُ أَنَّنِي
أَخُونُ لَهُ عَهْداً فَيُصْبِحُ هَاجِرِي
وَيُظْهِرُ إِحْسَانِي إِلَيْهَا إِسَاءَةً
وَبِالْعَكْسِ مَا يُبْدِيهِ يَبْدُو لِنَاظِرِي

---

١ الملتوت : المدقوق، المسحوق .
٢ الاقمر : الأشد بياضاً والصبغ كل ما يصبغ به .
٣ الاكسير : تقدم تفسير معناه .
٤ من بحر الطويل المقبوض العروض والضرب .
٥ الجآذر : مفرده جوذر ، وجؤذر ، وجوذر : ولد البقرة الوحشية .
٦ السمهري : الرمح الصلب، ويطلق أيضاً على السيف الحاد .
٧ حب المهجة - بفتح الحاء المهملة - : سويداء القلب .
٨ الحاجر : معطوف على « نجد » وهو موضع قبل معدن النقرة بطريق مكة المكرمة. (مراصد الاطلاع ، ج ١ ، ص: ٣٧٠) .

بِـذَا حَكَمَ الْحُسْنُ الْبَدِيعُ لَهُ وَلي
وَمَا حَاكِمُ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ بِجَائِرِ
وَإِني وإِنْ أَبْدَلْتُ عُذْري في الْهَوَى
فَمَا عَاذِلي فِيمَا اروم بِعاذِرِي
أَيحْسَنُ عَذْلٌ في ظِبَاءٍ عُيُونُهَـا
ظُبىً شَرَعَتْ فَتْكَ الأُسُود الْخَوَادِرِ
تَهُزُّ قُـدُوداً في دعوصٍ[1] كأَنَّهـا
أ - ٨١ بُنُـودٌ تَثَنَّتْ في جُنُودِ «الْجَزَائِرِ» /
جُنُودٌ بِهَا الإِسْلامُ عَـزَّ مَنَالُـهُ
عَلى كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مُنَافِـرِ[2]
حَمَوْا بِالصِّفَاحِ الْبِيضِ مِنْ كُلِّ عَـابِثٍ[3]
حِمَاهُ فَلَمْ يَعْبَثْ بِهِ كَفُّ فَاجِرِ
فَكَمْ كَسَّرُوا ثَغْـراً بِـهِ كَـانَـتِ الْعِـدَا
تَبَسَّمَ في وَجْـهٍ مِـنْ الدِّين كَـاشِـرِ[4]

---

١ الدعوص: كثبان من الرمل .
٢ في ب: «مناضري» .
٣ الصفاح: عرض السيوف، وفي ب: «الصحاح» .
٤ الضمير في «تبسم»: يعود على «ثغرا»، و «كاشر» صفة لـ «وجه» .

فَيَا حَادِيَى الأَضْعَانِ حُثَّ بِرَاكِبٍ
يَـؤُمُّ حِمَاهُمْ رَغْبَةً فِي الذَّخَـائِرِ
وَسِرْ بِي إِلَى ذَاكَ الرِّبَاطِ فَإِنَّهُ
ذَخِيرَةُ سَـاعٍ لِلْجِهَـادِ وَزَائِـرِ[1]
وَإِنَّـكَ مَهْمَى جِئْتَـهُ جِئْتَ رَوْضَةً
مُؤَرَّجَـةٍ أَرْجَاؤُهَا بِالأَزَاهِـرِ
دِيَارُ بَـنِي عُثْمَانَ - حَيْثُ تَأَلَّفَتْ
ضِبَابٌ وَنُـورٌ - مُسْتَقَرُّ الْمُسَافِـرِ
بِـلادٌ بِرَأْسِ الْغَرْبِ تَاجٌ مَكَلَّلٌ[2]
وَخَلْخَالُ سُوقِ الشَّرْقِ غَيْـرُ ضَوامِـرِ[3]
بَدَتْ بِمِنَصَّاتِ الزَّمَـانِ كَأَنَّهَـا
عَرُوسٌ تَجَلَّتْ فِي أَعَالِي الْمَنَابِرِ

---

١ فِي ب: «وزافر» .
٢ يقصد بالبلاد - هنا - مدينة الجزائر بدليل قوله فيما بعد :
فدعـني من غرناطـة وربوعها وشَنِّيل فالحسن انتهى للجزائر
٣ سوق: ج ساق .

وَقَدْ قُلِّدَتْ مِنْ بَحْرِهَا بِمُوَشَّـــحٍ
وَصِيغَتْ لَهَـا الأَمْـوَاجُ خَلْخَالَ حَاسِرِ[1]

وَلاحَ بِهَا بَابُ الْجَزِيرَةِ مِثْلَمَـا
تَبَسَّمَ ثَغْرٌ فِي وُجُـوهِ الْبَشَائِـرِ

كَأَنَّ مَجَازَ الْبَحْرِ مِعْصَمُ غَادَةٍ
تَحَلَّى سِوَاراً وَاكْتَسَى بِجَـوَاهِرِ[2] / ٨٢ -

وَلِلَّهِ أَبْـرَاجٌ بِشَاطِىءِ بَحْرِهَـا
تُحَاكِي النُّجُومَ الزُّهْـرَ فِي عَيْنِ خَـازِرِ

كَأَنَّ الرِّيَاضَ الْخُضْرَ مُحْدِقَةً بِهَا
ذَوَائِبُ أَصْدَاعِ الْوُجُوهِ النَّوَاضِـرِ

غُصُونٌ وَأَنْهَـارٌ وَتِلْـكَ لَهَـذِهِ
تَحِنُّ فَتَحْنُو لاسْتِلامِ الْغَزَائِرِ[3]

فَتَبْدُو وَقَـدْ حَاكَ النَّسِيمُ بُرُودَهَـا
نِصَالَ رِمَـاحٍ فِي زُرُودِ مُشَاجِرِ

---

١ حاسر: المرأة التي حسرت خمارها وكشفت عن وجهها .

٢ في ب: «اكتسى» بدون واو العطف .

٣ الغزائر - من الينابيع -: الماء الكثير المتدفق. وفي ب: «الغدائر» .

وَللهِ مَا ضَمَّتْهُ مِنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
حَلاوَتُــهُ مَا مَرَّ تُلْفَى بِخَاطِرِ
فَدَعْنِي[١] مِــنْ غَرْنَاطَــةٍ وَرُبُــوعِهَا[٢]
وشَنِّيلَ[٣] فَالْحُسْنُ انْتَهَى لِلْجَزَائِــرِ[٤]
فَمَا تَفْصُلُ الْحَيْرَاءُ[٥] بَيْضَاءُ غَــادَةٍ[٥]
مُقَرْطَفَــةً بِالْبُدْرِ ذَاتَ غَــدَائِرِ[٦]

---

١ فدعني: بفتح ياء المتكلم ليستقيم الوزن .

٢ غرناطة – بالتنوين –: لضرورة الوزن: معناه باللغة الاسبانية «الرمانة» التي هي شعار مدينة غرناطة التاريخية، وما زال هذا الشعار ماثلا فوق قصبة – الحمراء الرئيسي في شكل ثلاث رمانات صخرية كبيرة، وكانت غرناطة آخر المدن الأندلسية التي سقطت بالتسليم في الثاني من شهر ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ الموافق لاثنين من يناير سنة ١٤٩٢ م، وهي نفس السنة التي اكتشف فيها (كولومبوس) العالم الجديد – امريكا – .

٣ شنيل – بتشديد النون –: نهر يسقي «غرناطة» بسفح أجنتها ورياضها، وقد أكثر الشعراء في وصفه والتغني بمحاسنه، وقال فيه لسان الدين بن الخطيب: «ما سمي شنّيل إلا لكونه فيه ألف (نيل) يقصد بذلك أن الشين يساوي عدده ألفاً، بحساب الجمل على طريقة المغاربة، فاذا جعلنا في محله ألفاً وأضفناه إلى (نيل) أصبح ألف نيل. وقول الشاعر فيما بعد: (وما ألف شنيل ككف محمد) من المبالغة كأنه قال: «وما ألف نيل ككف محمد». (ا – أحمد المقري، نفح الطيب، طبعة أوربا. ج: ١ ، ص: ٩٤ . ب – لسان الدين بن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، مطبعة مصر، ١٣٢٩ هـ . ج: ١ ، ص ٢٦) .

٤ الحمراء قصور شامخة وأبراج منيفة وحدائق غناء تقع على هضبة تشرف على مدينة غرناطة من الركن الجنوبي الشرقي فتسبغ على المدينة آيات من الروعة والجلال .

٥ بيضاء غادة: هي مدينة الجزائر وقد أطلق هذا الاسم على مدينة الجزائر لكونها كانت ذات قبب وأبنية بيضاء وما زالت تتمتع بهذا اللقب حتى الآن، فيقال: «الجزائر البيضاء» وقد اشتهرت بهذا الاسم ، لا سيما عند الفنانين والمغنين .

٦ الغدائر – جمع غديرة –: وهي ظفائر الشعر المستطيل .

وَمَنْ لِرُبُوعٍ بِالْجَمَالِ وَقَدْ غَـدَتْ
كَخَطٍّ زَبُورٍ فِي قَدِيمِ الدَّفَاتِرِ[1]
وَهَذِي رُبُوعٌ حَاطَهَا بِإِحَاطَةٍ
مُؤَلَّفَةٌ مِنْ سِتْرِهِ خَيْرِ سَاتِرِ
وَمَا أَلْفُ شَنٍّ كَكَفِّ «مُحَمَّدٍ»
سَلِيلِ «عَلِيٍّ»[2] ذِي الأَكُفِّ الْمَوَاطِرِ
جَرَى وَجَرَى الْبَحْرُ الْمُحِيطُ فَكَانَ ذَا
أُجَاجاً وَمَا أَجْرَاهُ حُلْوَ الْعَنَاصِرِ
فَلَوْ خَضَبَتْ كَفَّاهُ شَيْبَ جَدِيبَةٍ[3]
مِنَ الأَرْضِ شَبَّتْ بَعْدَ شَيْبِ الظَّفَائِرِ / أ - ٨٣
وَلَوْ قَابَلَ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ[4] بِوَجْهِهِ
لَمَا زَالَ يَحْكِي السِّرَّ عِنْدَ السَّرَائِرِ[5]
وَلَوْ شَاءَ إِغْنَاءَ الْوَرَى عَنْ شُمُوسِهَا
بِشَمْسِ الْحِجَى لَمْ تَفْتَقِرْ لِلظَّهَائِرِ

---

١ الزبور : كتاب سيدنا داود - عليه السلام - وهو كتاب يتضمن أناشيد وترانيل. وهو خلو من الأحكام الشرعية .

٢ علي يريد علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - لأن محمدا بكداش ينتمي إليه، أو أباه مباشرة .

٣ في ب: «جذيبة» والجديب من الأرض: الماحل .

٤ أوجه الأرض المقابل للشمس .

٥ في ب: «لما زال يحكي في السرار سائر» .

تَبَلَّجَ صُبْحُ الرَّأْيِ مِنْـهُ وَقَـدْ عَسَتْ[١]
عَلَيْـهِ لَيَالٍ مِنْ خُطُوبٍ عَـوَاقِرِ
فَمَا أَقْبَلَتْ حَتَّى تَـوَلَّتْ صُدُورُهَـا
صِرَاعـاً على أَعْجَازِهَـا جَرْيَ نَـافِـرِ
فَأَصْبَحَ فِي أَوْجِ السَّعَادَةِ رَاقِيـاً
وَمَـا كَانَ عَنْ نَيْلِ السُّبَاقِ بِفَاتِرِ
فَلِلَّـهِ مِنْـهُ هِمَّـةٌ عَلَـوِيَّـةٌ
تَفَانَتْ عَلى دَرْكِ الْعُلا وَالْمَفَاخِرِ
وَلَمْ تَـرْضَ غَيْرَ الْمُلْكِ مُلْكـاً وَلا أُبَتْ[٣]
رُكُوباً سِوَى ظَهْرِ الْجِيَادِ الْحَرَائِرِ[٣]
كَمَا أَنَّنِي لَمْ أَرْضَ[٤] مَدْحِيَ مَالِكاً
سِوَاهُ وَلا عَـادَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِـرِي
وَلا وَطِئَتْ[٥] رِجْلِي رُؤُوسَ الْفَلا وَلا
حَفَتْ عَيْنُ شِعْرِي نَحْوَ غَيْـرِ عَشَائِرِي[٦]

---

١ عسا الليل يعسو - عساء، وعسوا: اشتدت ظلمته .
٢ ملكا - بكسر أوله - ما يملكه الإنسان .
٣ هذا الشطر لم يؤد المعنى المراد، فلو حذفت لا النافية من «ولا أبت» لاستقام المعنى وانتفى الاشكال .
٤ في ب: «نرض» .
٥ في ب: «ولا ثنيت» .
٦ حفت: من حفا البرق يحفو حفوا، إذا لمع ضعيفا معترضا في نواحي الغيم، وفي ب: «خفت» .

وَهَـا أَنـذَا يَمَّمْتُهُ بِنْتَ فكْرَتي[1]
تَجُرُّ حَيَاءً مِرْطَهَا جَـرَّ حَائِرِ[2]
وَلا زِلْتُ ادْعُو كُلَّ رَائِدِ جَنَّـةٍ
وَسَاعٍ لِنَيْلِ الْمَجْدِ أَوْ كُلَّ شَاعِرِ
خَلِيلَيَ . يَمِّمْ رَوْضَهُ فَهْـوَ يَانِـعٌ
أ - ٨٤ نَضِيرٌ شَهِيٌّ نُـورُهُ لِلنَّـواظِـرِ /
وَرِدْ حَوْضَـهُ فَهْوَ الْفُرَاتُ وَلُذْ بِهِ
تَجِدْهُ حِمىً مِنْ كُلِّ طَـاغٍ وَجَائِرِ
وَكَيْفَ يَخَـافُ الدَّهْـرَ مَنْ حَطَّ رَحْلَهُ
بِسُلْطَانِ جُنْدٍ مِنْ أُسُودٍ كَوَاسِرِ
إِمَـامٌ حَوَى عِلْماً وَفَضْلاً وَسُؤْدَداً
فَحُقَّ لَـهُ تَقْدِيمُهُ فِي الْمَـآثِرِ
سَرَى[3] فِي جَمِيعِ الدُّورُ أَزْكَى حَـدِيثِـهِ
فَحَدِّثْ عَنِ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ التَّوَاتُرِ[4]
شَرِيفٌ زَكَا أَصْلاً وَفَرْعاً وَمَحْتِداً
إِلى هَاشِمٍ يُنْمَى[5] كَبِيرُ الأَكَابِرِ
أُتِيحَ لَهُ فَتْحٌ جَدِيـدٌ تَطَاوَلَتْ
لَهُ هِمَمُ الأَمْلاكِ بَـاقٍ وَغَابِرِ

---

١ بنت: منصوب على نزع الخافض، أي: ببنت .
٢ المرط - بكسر أوله -: ثوب يؤتزر به .
٣ في ب: «بيراسري» .
٤ في ب: «تواتر» بدون الألف واللام .
٥ ينمي - بالبناء للمجهول -: بمعنى ينتمي .

فَلَمْ يَنَلِ الأَعْـدَاءُ مِنْهُ مُرَادَهُم[١]
وَمَا رَجَعُوا إِلَّا بِصَفْقَـةِ خَـاسِرِ
إِلى أَنْ أَرادَ اللهُ نُصْرَةَ دِينِـهِ
فَنَبَّهَهَ تَنْبِيـهَ يَقْظَانَ حَـاسِرِ
وَجَرَّدَ مِنْهُ الْحَزْمُ[٢] سَيْفاً قِرَاعُهُ
يَفُتُّ صِمَامَ الصَّخْرِ يَـومَ التَّشَاجُـرِ
فَأَضْفَى[٣] عَـلى «وَهْرَانَ» جَيْشَيْنِ مِنْ نَدىً[٤]
وَآخرَ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدٍ مُـؤَازِرِ
وَجَـرَّ لَهَا الإِسْلامُ جُنْداً مُؤَيَّداً
بِتَأْيِدِ مَنْصُورٍ مِـنَ اللهِ نَـاصِرِ
فَطَهَّرَهَـا مِـنْ رِجْسِهَا وَأَعَـادَهَا
عَرُوساً تَجَلَّتْ فِي مَرَاقِي الْمَنَابِرِ / أ - ٨٥
فَلِلَّـهِ مَـا قَدْ كَانَ مِنْهُ وَأَجْرُهُ
عَلَيْهِ وَخَيْرُ الأَجْرِ نِعْمَةُ شَاكِرِ
وَصَلَّى إِلَهُ الْخَلْقِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
عَلى مَرْكَزِ التَّوْحِيدِ قُطْبِ الدَّوَائِرِ

---

١ في ب: «فلم يحصلوا من نيله فوق طائل» .
٢ في ب: «الجزم» .
٣ في ب: «فحاشى» .
٤ أي: أحد هذين الجيشين، عطاؤه الفياض .

وَلا زَالَ غَيْثُ الْفَضْلِ يَنْهَـلُّ بِالرِّضَى
عَلى الآلِ والأَصْحَـابِ في كُـلِّ خَاطِرِ

وواصلها بنثر لا بأس مـن اثباته هنا، لما اشتمل عليه مـن البشارة بالهنا، وتكميلاً لفائدته، وجمعاً للموصول وعائده، وهو هذا :

هذه القصيدة – حلى الله طوقها بقلائد القبول –، وسيلة للحضرة التي اقلامها موقعة لبلوغ المأمول، الحضرة السلطانية، والمثابـة المولوية، حضرة الامام المجاهد المثابر[1]، المرابط المشاغر[2]، الذي أدرك طائره الميمون أيك ادواح العلا بخفق أجنحة الوية النصر وبنوده، ولاح بدره المقرون ببرج سعوده وحدا في صعوده، السلطان المنصورة بالله عساكره، المتمثلة في أقصى البلاد أوامره، الذي هادنته الملوك وهادته[3]، وتباهت
أ – ٨٦ به الدول فتهادته[4]، ماليء سجال[5] / وفوده من بحر أحسانه، وحامل سلاح جنوده في شزر إنسانه[6] :

إنْ تَلْقَهُ لَمْ تَلْقَ إلَّا جَحْفَـلاً وَإذا نَظَرْتَ وَجَدَتَ ذَاتاً وَاحدا[7]

---

١ في ب: «المشابر».
٢ المشاغر: المطارد، والمهاجم.
٣ هادته: تبادلت معه الهدايا.
٤ تهادته: طلبت منه سبيل الهداية.
٥ السجال: جمع لسجل – بفتح السين وسكون الجيم – وهو الدلو الذي فيه ماء قليل أو كثير، وفي المثل: «فلان ملء الدلو» أي: كثير العطاء.
٦ شزر انسابه: الشزر: النظر بجانب العين، مع اعراض أو غضب، وانسان العين: النقطة السوداء من العين الخارجة.
٧ هذا البيت من البحر الكامل التام، صحيح العروض والضرب.

جواد أثقل حمل نعيمه الغارب[١] من نوق عفاتــه[٢] الداي، أبو عبد الله محمد بن مولانا على ضاي[٣]. نصره الله على من عصاه، وملكه ناصية من شق عصاه، ولا زالت أيامه المولوية بازغة الشموس، وسياسته العلمية رائضة الشموس[٤]. وسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته، اوجبت السنة ان تتلى في جامع ثنائكم الجميل آياته.

وبعد: فإنه لما أطلعني الانتقال المعذور في فلككم السعيد. واجلسني السعي المشكور، من بساطكم الرفيع غير بعيد، وجب علي ما يجب لأمثالــكم على من فتق الله لسانه بالبيان، وملك تصريف أعنة الفصاحة بالبنان، فانشأ هذه القصيدة التي اشتملت على النزر من ثنائكم الجميلة أوصافه، إذ لا يسع أحداً نقل ماء البحر واغترافه، ولا يحسن بالعاجز إلا اعترافه. وسأشفعها – إن شاء الله – بكتاب، ولو وسعني القدر لكان مما ينوء بالنوق ذوات الاقتاب[٥] / ومن وجد في محل القول لسانا قائلا أ – ٨٧ فليقل، ومن أراد الخوض في بحر المجرة[٦] فليطل[٧]، ما شاء سلمــه وليطل[٨]، على أن الباعث على ذلك محبة، أطارت إليكم الجسم من

---

١ الغارب: الكاهل، وهو ما بين الظهر والعنق.

٢ العفاة: مفرده عاف، وهو كل طالب فضل، أو رزق.

٣ ضاي: كلمة تركية، معناها المهم والنفيس من كل شيء.

٤ الشموس – بفتح الشين –: الممتنع الجامح من الخيل.

٥ الاقتاب: جمع قتب – بكسر القاف وسكون التاء وفتحها – وهو الرحل، وفي المثل: «هو قتب يعض بالغارب» أي: هو ملح كثيراً.

٦ المجرة: منطقة في السماء فيها نجوم كثيرة بحيث تبدو للرائي كأنها بقعة بيضاء متلألئة.

٧ فليطل: فعل أمر من أطال الرباعي، نقيض قصر.

٨ وليطل: فعل أمر من أطلّ الرباعي، بمعنى أشرف.

عشه الذي درج فيه من غير جناح، وهل على محب طار فاطال من جناح[1]. وجدير بمن شحذت سبيكته الذهبية، المحن الزمانية. فخلصت من الشوب، وأذابت كورته التركيبية. فابرزت نضّراها من لباب الذوب، – أن يستعمل تدبيره في انقاذ عبد ما زال فرّارا من نار المحن، وهي تحله وتعقده. ومطارق النكبات تنتظر قبضه وترصده، فانه صدر لحكم من الله تعالى في إبداء أمركم الذي صاحبته السلامة، وأعقبته الكرامة، تعريف لكم باحوال العباد، فتفقد ونها في الشدة والرخا، والزعزاع والرخا[2]. وها أنا لا منزل آوي إليه، ولا مال أعول عليه، وان نظرت إلى بعين الرحمة، فلا أمسي إلا أغنى هذه الأمة، أبقاكم الله محط الرحال، ومنتجع الآمال.

أ – ٨٨ والسلام عليكم والرحمة والبركة، حالي السكون والحركة . /

ومن ذلك قوله في معنى يفهم من نثره المتقدم عليها وهذا نصّه: «الحمد لله الذي جعل الشعر وسيلة لا ترد، وجانباً لا يحد، وسائلا لا ينهر، وقاهراً، وأميناً يؤدّى[3] الامانات إلى أهلها، ورسولا يشفع في اخراج النفوس المصلية نار الهجر إلى جنة وصلها، والصلاة والسلام على المؤيد باسرار البلاغة اعجازاً المقدم بهذا الدين القويم صدوراً من الملل، وعلى آله وأصحابه الذين أحرزوا قصبة السبق في ميدان الشجاعة والفصاحة احرازاً، والنصر الذي تهتز لتوقيع أقلامه الأقاليم، وتضطرب لتتابع وقوعه ملل الاقانيم[4]، لمولانا الذي أنعش الله بديمة وجوده روض الإسلام أيّ

---

١ جاح – بضم أوله – : الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً .

٢ الرخاء: بضم أوّله: الريح اللينة التي لا تحرك شيئاً

٣ في ب: «يود» بدون ياء .

٤ الاقانيم: جمع اقنوم – بضم أوله – وهو الشخص والأصل من كل شيء، والكلمة سريانية الأصل .

انعاش، المجاهد في سبيل الله أبي عبد الله مولانا محمد بن علي بكداش. فرع الشجرة النبوية السمحاء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا زالت ألوية الفتح تخفق على تاجه، وشفاه الملوك تودّ تقبيل رتاجه، هذا وانه لما نظم السعد بعقدك الثمين صدفنا، ورأينا من احسانك وترك ما عن مدح غيرك إلى مدحك صرفنا واحتفالك لذلك المحفل السعيد واتحافنا، وتواضعك في شرفك الذي شرفنا، قلنا نمدح تلك السيرة، وتحريضاً على التمسك بعرى هاتيك السريرة، مع الاعتبار عما طوق الجفون منه، حيث بلغ القلب مامنه، ومعاذ السلام الذي تذكو نفحاته، وتزكو غدواته وروحاته، وهي [1] :

هَذِي - وَحَقِّكَ - سِيرَةُ الأُمَرَاءِ أَهْلِ النُّهَى وَذَوِي اللُّهَى[2] الْكُرَمَاءِ
يَتَطَارَحُونَ لِذِي الْحَدِيثِ فُكَاهَةً لِعَبِيدِهِمْ كَتَطَارُحِ الْخُلَطَاءِ
وَيُوَطِّئُونَ لِضَيْفِهِمْ أَكْنَافَهُمْ حَتَّى يُرَى مِنْ أَقْرَبِ الْقُرَبَاءِ
وَيُؤْنِسُونَ جَلِيسَهُمْ فِي وَحْشَةٍ أُنْسَ الْبَنِينَ بِصُحْبَةِ الآبَاءِ
وَإِذَا احْتَبَوْا فَلِسَدِّ ثَغْرٍ يُخْتَشَى أَوْ فَتْحُهُ بِتَبَسُّمٍ لِعَطَاءِ
أَوْ نُكْتَةٍ عِلْمِيَّةٍ أَوْ حِكْمَةٍ أَدَبِيَّةٍ فِي عِفَّةٍ وَوَفَاءِ /
وَإِذَا خَلَوْا فَلِذِكْرِ ذَنْبٍ صَادِرٍ بِتَنَصُّلٍ وَتَوَسُّلٍ وَبُكَاءِ
وَتَعَلُّقٍ بِاللهِ فِي غُفْرَانِهِ بِتَضَرُّعٍ وَتَخَشُّعٍ وَبُكَاءِ
وَتَوَسُّلٍ لِنَبِيِّهِ بِمَدِيحِهِ نَظْماً يُقَرِّطُ أَنْجُمَ الْجَوْزَاءِ

---

١ على وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .
٢ اللهى: جمع لهوة - بفتح اللام وضمها - هي أجزل العطايا وأفضلها .

مَا زَالَ ذَا هِجِّيرِ[1] كُلُّ مُبَجَّلٍ ... مُتَخَلِّقٍ بِالْعَدْلِ غَيْرَ مُـــرَاءِ
لا يَمْتَطِي الْمَلِكُ اللَّبِيبُ مَطِيَّةً ... مِنْ دُونِهَا تُـدْلِيـهِ لِلنَّعْمَـاءِ
وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَابَقَتْ لِكَرِيمِـةٍ ... فَلِمُمْتَطِيهَا السَّبْقُ دُونَ عَنَـاءِ
وَلَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّهَا شَمَسَتْ فَـلَمْ ... تُـرْكَبْ سِنِينَ تُجَلُّ عَنْ إِحْصَاءِ
حَتَّى أَتَيْتَ - مُحَمَّدٌ - فَدَعَوْتَهَا ... وَرَأَتْكَ أَنْجَبَ هَاتِـكَ النُّجَبَاءِ
فَأَتَتْكَ طَائِعَةً كَأَنْ لَمْ تَجْمَحَنْ ... مُنْقَادَةً لَمْ تَجْنَحَـنْ لإِبَـاءِ
فَاعْرُجْ بِهَا السَّمَا بِعِزٍّ دَائِـمٍ[2] ... مُتَقَدِّماً بِمُلُوكِهَا الْعُظَمَاءِ
أَنْتَ الإِمَامُ بِجَامِعِ الْحَمْدِ الَّذِي ... أَعْيَى بَلاغَةَ أَخْطَبِ الْخُطَبَاءِ
أَحْيَيْتَ رَسْمَ الْمُلْكِ[3] بَعْدَ إِمَاتَةٍ ... فَمَلَكْتَـهُ بِحِيَازَةِ الأَحْيَاءِ /
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الإِمَامُ الْمُرْتَضَى ... الْمُنْتَضَى سَيْفاً عَـلَى الأَعْـدَاءِ
أَصْبَحْتَ وَارِثَ مَجْدِ أَمْلاكٍ فَنَتْ ... أَجْسَامُهُمْ وَهُمُ[4] مِـنَ الأَحْيَاءِ
فَبَلَغْتَ مَا لَمْ يَبْلُغُوا وَفَتَحْتَ مَا ... لَمْ يَفْتَحُوا وَجَمَعْتَ كُلَّ ثَنَـاءِ
وَجَلَسْتَ فِي دَارِ الْخِلافَةِ عَالِماً ... بِحَدِيثِهَا لِلْفَصْلِ وَالإِقْرَاءِ
فَرَوَيْتَ مِـنْ مَأْمُونِهَا وَرَشِيدِهَا ... مُسْتَعْصِماً بِاللهِ فِي اللأْوَاءِ
دُمْ رَاقِياً أَوْجَ السَّعَادَةِ رَامِيـاً ... بِشِهَابِ سَعْدِكَ مَـارِدَ الْبَغْضَاءِ
لَـوْ قِيلَ لِلأَيَّامِ مَـاذَا تَشْتَهِي ... قَالَتْ بَقَـاءَ مُحَمَّدٍ بِبَقَـائِي
يَا سَيِّداً حَـازَ السِّيَادَةَ يَافِعاً ... نَسَباً وَعِلْمـاً ذَا سَنـاً وَسَنَـاءِ

---

١ الهجير - بكسر أوله وتشديد ثانيه -: الدأب والعادة .
٢ في ب: «السماء عز دائم» .
٣ رسم الملك: علامته وشعاره .
٤ وهم: باشباع الميم لاستقامة الوزن .

لُقِّبْتَ «بَكْدَاشاً»[1] فَكُنْتَ على الْعِدَا حَجَراً أَصَمَّ مُفَتِّتَ الأَعْضَاءِ
لَوْ لَقَّبُوكَ «يُومشَقاً»[2] لَمْ يَدْهَشُوا لِتَطَابُقِ الأَفْعَالِ وَالأَسْمَاءِ
دُمْ رَاحِماً لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَاجِماً لِلْكَافِرِينَ بِوَارِسِ الْحَصْبَاءِ[3]
إِنِّي - وحَقِّكَ - مِنْ هَوَاكَ مُوَلَّهٌ زِدْنِي ! فَدَاءُ الْحُبِّ فِيكَ دَوَائِي / أ - ٩٢
فَعَلَتْ شَمَائِلُكَ اللَّطِيفَةُ بِالْحِجَى فِعْلَ الشَّمُولِ[4] وَفِعْلَةَ الإِغْفَاءِ
مَا كَانَ نَوْمِي عَنْ سَنَائِكَ غَفْلَةً لَكِنْ - وحَقِّكَ - كَانَ لاسْتِحْيَاءِ
بَلْ لَمْ يَنَمْ طَرْفِي وَلَكِنْ رَدَّهُ مِنْكَ الْجَلالُ فَمَالَ لِلإِغْضَاءِ
لا زَالَ قَائِمُ سَيْفِ نَصْرِ الْحَقِّ فِي يُمْنَاكَ يَضْرِبُ هَامَةَ الأَعْدَاءِ
خُذْهَا إِلَيْكَ قِلادَةً[5] مَا قَلَّدَتْ مِنْ قَبْلِ جِيدِكَ جِيدَ ذَاتِ بَهَاءِ
غَيْدَاءُ[6] تَرْفُلُ فِي حُلَى إِحْسَانِهَا تَزْرِي بِكُلِّ مَلِيحَةٍ حَسْنَاءِ

---

١ بكداش - معناه في اللسان الفارسي -: لا نظير له، وفي اللسان التركي: الحجر القاسي الأصم، وهو المراد به هنا. وقد أشار إلى معنى هذه الكلمة محمد بن ميمون في ص: ١٤٦ من هذا الكتاب .

٢ يومشقا: معناه - باللغة التركية -: اللين، وهو ضد معنى «بكداش» .

٣ وارس الحصباء: الحجارة الحمراء .

٤ الشمول: الخمر .

٥ في ب: «نفيسة» .

٦ الغيدا: اللينة الاعطاف، الناعمة البشرة .

مَا ضَمَّهَـا قَصْرُ ابْنِ عَبَّادٍ[1] ولا قُصِرَتْ بِبَعْضِ[2] مَقَاصِرِ الزَّهْرَاءِ[3]
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلى النَّبيِّ مُحَمَّـدٍ مَعْ آلِـهِ وَصَحَابِـهِ النُّجَبَـاءِ

---

١ ابن عباد: هو أحد ملوك الطوائف من بني عباد الذين تولوا حكم اشبيلية بالأندلس، أول من أسس دولتهم أبو القاسم محمد ابن عباد الشامي الأصل، وآخرهم المعتمد بن عباد أمير اشبيلية وشاعرها، وقد مات سجيناً في «اغمات» بالمغرب الأقصى سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م وإليه ينسب قصر اشبيلية، فيقال «قصر المعتمد بن عباد». (الزركلي، خير الدين، الأعلام. القاهرة: مطبعة كوستا تسوماس وشركاؤه ج: ٧ ص: ٥٠) .

٢ في ب: «غنّت بروض» .

٣ الزهراء: مدينة صغيرة جميلة قرب قرطبة أنشأها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٧ م. (عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦١ م . ص: ٣٥) .

المقامة التاسعة

في ذكر الخروج لوهران بقصد غزو الكفرة.

وما حدث بعده من مقاتلة اللئام الفجرة

وذلك أنه لما ساعدتهم الأيام. ومكثوا في المدينة مائتين وخمسة أعوام[1] . وبنوا الحصون وشيدوها. وتملكوا الأوطان ومهدوها. صاروا يغزون الإسلام. من نحو أربعة أو خمسة أيام. فكم من عالم اسروا. / وكم ا ٩٣
من شريف نصّروا ، وكم من ولدان. مرتدين إلى الآن. وكم من عروب أتراب[2] . تولغ فيهن[3] الكلاب. وكان بنو عامر[4] أول من دخل تحت بيعتهم من المسلمين. عليهم ما يستحقون من الخزي إلى يوم الدين. أمة

---

١ سقطت مدينة وهران في أيدي الاسبانيين في أواخر المحرم سنة ٩١٤ هـ أو آخر ماي ١٥٠٨ م وفي صبيحة يوم الجمعة من ٢٦ لشهر شوال سنة ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي ١٧٠٨ م فتحها - عنوة - مصطفى أبو الشلاغم باي الايالة الوهرانية. و «أوزن حسن» خليفة الداي وصهره .

٢ العروب من النساء: الصحاكة، أو الناشزة من زوجها، والاتراب: ذوات السن الواحد .

٣ في ب: «فيهم» .

٤ بنو عامر : نسبة إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وهم بطن كبير من مضر، كانوا متفرقين في أصقاع الجزيرة العربية، وبالاخص في نواحي الشام. ومنازلهم معروفة بفلسطين بـ «برج بني عامر». وقد امتنعوا أن يشاركوا في حرب أهل الردة. واستوطنوا الشمال الافريقي. وبالاخص المغرب الأوسط (القطر الجزائري) على عهد الفاطميين ابان الزحف الهلالي سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥١ م (عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر. تحقيق محمد بن عبد الكريم بيروت. مطبعة دار الحياة ١٩٧٢ م ص: ١-٥٥ .

لا تعقل رشدها، ولا تجري إلى ما تقتضيه نعم الله عندها، ولا تقلع عن أذى تفشيه[1] قرباً وبعداً جهدها، فصاروا لا يرعون لجار ولا لغيره حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلاًّ[2] ولا ذمة، قد أعماهم عن مصالحهم الاشر، واضلهم ضلالاً بعيداً البطر، ونبذوا المعروف وراء ظهورهم. واتوا ما ينكر مقتديا صغيرهم بكبيرهم، وخاملهم[3] بمشهورهم، ليس فيهم زاجر، ولا منهم إلا غاوي فاجر، يعزّون الكافر على المسلمين، ويغزونهم به في كل كمين، ومع ذلك يعطون[4] له الجزية عن يد وهم صاغرون، ويعتقدون
أ - ٩٤ أنهم مؤمنون، ولما تفاقم أمرها وثقل على المسلمين ضرها، حرض العلماء / على القتال، بقصائد تشف على اللب وتذهب بالبال، منهم الناظم الناثر، الكثير المعالي والمآثر، الذي لا يدرك باعه، ولا يترك اقتفاؤه واتباعه، السيد ابن عبد الله، محمد، بن محمد، بن علي، بن يسعد، بن سعيد، ابن عبد الواحـــد ابن يحيى، بن العباس، الملقب بابن آقوجيل[5]. ان نثر رأيت البحر الزاخر، وان نظم قلد الاجياد درًّا تباهي به وتفاخر، ومذ كان أول من بدا في الجزائر وظهر، وتسمى ببحر القريض واشتهر، تسدد إليه السهام، وتنتقده الخواطر والافهام، فلا يوصف له غرض، ولا يوجد في جوهر انسانه عرض، وهو في زمانه بدر أفاق، وموقف الاختلاف

---

١ في ب: «تفشيه».
٢ إلاًّ: عهداً.
٣ في ب: «خالهم».
٤ في ب: «يعطوا».
٥ في أ: «القوجيلي الجزائري».

والاتفاق. مع جريه في ميدان التفسير إلى منتهاه، وتصرف بين سهيله[1] وسهاه[2] ، وله تصانيف في العلوم ألّف فيها ما ألّف، وتقدم فيها وما تخلف. ولو أدرك يوم الفتح[3] لتعلق بأذيال المولى، ولهناه بقصائد / تعيها القلوب أ - ٩٥ وتتلى، ومما صدر عنه في التحريض المشار إليه، والاغراء المنبه عليه، قوله يمدح بعض ملوك المتقدمين[4]. وهي هذه[5] :

بِسَعَادَةٍ تَجْدِيدِكُمْ وَسُرُورِ[6] وَبِهِ الْهَنَاءُ عَلى مَمَرِّ دُهُورِ
طَلَعَتْ طَوَالِعُ سَعْدِكُمْ مَقْرُونَةً بِالْيُمْنِ وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّيْسِيرِ
فَرِحَتْ جَزَائِرُنَا بِكُمْ وَتَأَنَّسَتْ بِمَقَامِكُمْ فِيهَا بِحَالِ حُبُورِ
يَدْعُو الإِلَهَ جَمِيعُ مَنْ فِيهَا لَكُمْ بِالنَّصرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّبْشِيرِ
يَرْجُونَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ أَن لا يَرْتَقِي فِي مُلْكِنَا - ذَا - غَيْرُكُمْ بِسَرِيرِ
فَأَجَابَنَا اللهُ الْمُجِيبُ دُعَاءَ مَنْ يُضْطَرُّ وَهْوَ مُجِيبُ كُلِّ صَبُورِ
مُذْ قُمْتُمُ بِأُمُورِنَا وَتُصَرِّفَتْ عَن إِذْنِكُمْ وَثُقَتْ عُرَى التَّدْبِيرِ
دَبَّرْتُمُ أَمْرَ الْبِلادِ وَصُنْتُمُ أَحْوَالَهَا جُهْداً مِنَ التَّغْيِيرِ
وَحَفِظْتُمُ أَمْرَ الْمُرَتَّبِ[7] بَعْدَمَا قَدْ كَانَ فِي ضَيْقٍ وَفِي تَعْسِيرِ / أ - ٩٦

---

١ سهيل: نجم مشرق يطلع على بلاد العرب في أواخر أيام القيظ .

٢ السهى: كوكب خفي من بنات النعش الصغير. يمتحن الناس به أبصارهم، وفي المثل: «أريها السهى وتريني القمر». والمراد أنه لم يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أبداها في تفسيره وتصرف في تأويله .

٣ أي يوم فتح وهران .

٤ هو أبو العباس الحاج أحمد داي تولى سنة ١١٠٦ هـ / ١٦٩٥ م ودام حكمه إلى سنة ١١٠٩ هـ / ١٦٩٨ م.

٥ القصيدة من البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٦ وسرور - بالجر - معطوف على «بسعادة» .

٧ هذا مما يدلنا أن صاحب القصيدة كانت له جراية يتقاضاها على عهد ممدوحه .

يَهْنَى - أَبَا الْعَبَّاسِ[1] - مُلْكُ بِلادِنَا ... مَا مِثْلُهَا بَلَدٌ بِنَقْدِ بَصِيرِ
كُلُّ الْمَحَاسِنِ وَالْمَفَاخِرِ قَدْ بَدَتْ ... فِيهَا لِرَوْنَقِ بَهْجَةٍ وَقُصُورِ
وَلَقَدْ عَهِدْنَاهَا زَمَاناً سَالِفاً ... مَا إِنْ بِهَا حَدَثٌ بِمَرِ عُصُورِ
فَتَبَدَّلَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنُ غُصَّةً ... وَعظيمَ أَهْوَالٍ وَكُلَّ عَسِيرِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ مِحْنَةٌ تُغْزَى بِهَا ... تَرْمِي الْقُلُوبَ بِدَهْشَةٍ وَشُرُورِ
تَرْمِي الْمَغَارِمَ كُلَّ حِينٍ مِثْلَمَا ... تَرْمِي عَلَى ذِي الذِّمَّةِ الْمَقْهُورِ
ضَاقَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَكُلِّفُوا ... غُرْماً طَوِيلاً فِي مَدِيدِ شُهُورِ
وَاللهُ حَرَّمَ عِرْضَنَا وَدِمَاءَنَا ... وَالْمَالُ - أَيْضاً - ثَالِثُ الْمَحْظُورِ[2]
إِلَّا إِذَا مَا الْمَرْءُ أَوْجَبَ زَلَّةً ... بِحُدُودِهَا تُدْرَى لَدَى الْمَسْطُورِ[3]
بِالْقَتْلِ أَوْ بِالْقَطْعِ أَو بِالضَّرْبِ أَوْ ... بِالسَّجْنِ أَوْ بِالنَّفْيِ لِلتَّعْزِيرِ
وَرَجَوا بِعَدْلِكَ أَنْ تُدَافِعَ عَنْهُمُ ... شَرَّ الْعَدُوِّ بِهِمْ دِفَاعَ غَيُورِ
٩٧ فَاللهُ وَلَّاكَ الْعِبَادَ وَرَعْيَهُمْ ... فَانْظُرْ لَهُمْ فِي صَالِحَاتِ أُمُورِ /
وَاشْكُرْ عَلَى النَّعْمَاءِ رَبَّكَ إِنَّهُ ... مِنْ فَضْلِهِ يُرْجَى جَزَاءُ شُكُورِ
إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ الْعَظِيمَ جَلَالُهُ ... يَنْصُرْكُمُ وَهْوَ الأَعَزُّ نَصِيرِ
إِنَّ الإِمَامَ الْعَدْلَ فِي سَبْعٍ لَهُمْ ... ظِلُّ الإِلَهِ بِيَوْمِ نَفْخِ الصُّورِ[4]

---

١ أبا العباس: على حذف النداء. تقديره: يا أبا العباس.

٢ فيه اشارة لما رواه مسلم والترمذي في صحيحهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ».

٣ المسطور: كتاب الله الكريم.

٤ فيه اشارة لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ ورجل قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ =

وَلْتَلْتَفِتْ نَحْوَ الْجِهَادِ بِقُوَّةٍ ... وَالْكفْرَ اقْطَعْ أَصْلَهُ بِذُكُورِ
جَهِّزْ جُيُوشاً كَالأُسُودِ وَسَرِّحَنْ ... تِلْكَ الْجَوَارِي فِي عُبَابِ بُحُورِ[1]
أَضْرِمْ عَلَى الْكُفَّارِ نَارَ الْحَرْبِ لا ... تَقْلَعْ وَلا تُهْمِلْهُمُ بِفُتُورِ[2]
وَبِغَرْبِنَا «وَهْرَانُ» ضِرْسٌ مُؤْلِمٌ ... سَهْلُ اقْتِلاعٍ فِي اعْتِنَاءٍ يَسِيرِ[3]
كَمْ قَدْ أَذَتْ مِنْ مُسْلِمِينَ وَكَمْ سَبَتْ ... مِنْهُم بِقَهْرٍ أَسِيرَةٍ وَأَسِيرِ
حَلَّتْ بِأَرْضِ الْمُسْلِمِينَ فَهَلْ لَهَا ... مِنْ عَسْكَرٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ مُغِيرِ
يُرْخِي كَلاكِلَهُ عَلَيْهَا بَغْتَةً ... تَأْتِيهِمُ فِي عِزَّةِ الْمَقْدُورِ
فَانْهَضْ بِعَزْمِكَ نَحْوَهَا مُسْتَنْصِراً ... بِاللهِ فِي جِدٍّ وَفِي تَشْمِيرِ
بِعَسَاكِرٍ مِثْلِ السُّيُولِ تَزَاحَمَتْ ... لِلسَّبْقِ تَحْتَ لِوَائِكَ الْمَنْصُورِ / أ - ٩٨
أَوْ كَالسَّحَابِ بُرُوقُهُ وَرُعُودُهُ ... نَارُ الْمَكَاحِلِ[4] أُوقِدَتْ بِزَفِيرِ
تُلْقِي عَلَى الْكُفَّارِ مِنْهَا صَوَاعِقاً ... مَحْفُوفَةً بِرَصَاصِهَا الْمَسْطُورِ
وَسَوَابِقٍ كُمَّتْ وَشُهْبٌ أُضْرِمَتْ ... عِنْدَ اللِّقَا تَنْقَضُّ وَقْعَ صُخُورِ
مِنْ كُلِّ مِقْدَامٍ إِذَا نَارُ الْوَغَى ... حَمِيَتْ يَخُوضُ لَهِيبَهَا بِصُدُورِ
مَا انْ لَهَا مِنْ رَاحَةٍ إِلَّا إِذَا ... سَفَكَ الدِّمَاءَ وَكَرَّ كَرَّ هَصُورِ
بَادِرْ بِنَا نَغْزُو الْعَدُوَّ وَسَارِعَنْ ... فِي حَسْمِ شَوْكَتِهِمْ وَفِي التَّدْمِيرِ
وَأْمُرْ جُيُوشَكَ بِالتَّأَهُّبِ لِلْعِدَا ... وَالْحَزْمِ حَرِّضْ عَزْمَهُمْ لِنَفِيرِ

الله، ورَجل تصدَّقَ بِصَدقة فأخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمُ شِمَالُهُ بِمَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

١ الجواري: السفن .

٢ تمهلهم: باشباع الميم ليستقيم الوزن .

٣ حذف التنوين من «اعتناء» نزولا عند رغبة الوزن .

٤ المكاحل: جمع مكحلة، وهي البندقية. والكلمة اقليمية .

أَقْصِدْ بِلادَ الْكُفْرِ شَتَّتْ شَمْلَهَا ... خَرِّبْ بِهَا[1] مَا كَانَ مِنْ مَعْمُورِ
مَزِّقْهُمُ أَيْدِي سَبَا[2] حَتَّى يَرَوْا ... قَدْ حِيلَ بَيْنَ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِ
وَاسْبِ الذَّرَارِيَ وَالْحَرِيمَ وَعَجِّلَنْ ... لِلنَّارِ كُلَّ مُقَاتِلٍ يَفْجُورِ[3]
أَقْتُلْهُمُ قَتْلاً ذَرِيعاً وَاتْرُكَنْ ... أَشْلاءَهُمْ نَتْناً لِطَعْمِ نُسُورِ
أ - ٩٩ فَإِذَا فَتَحْتَ[4] وَقَدْ ظَفِرْتَ[5] بِبُغْيَةٍ ... وَقَفَلْتَ بَعْدَ سَعْيِكَ الْمَشْكُورِ /
وَقَسَمْتَ - ثَمَّ - مَغَانِماً حِلاًّ وَقَدْ ... سِيقَ الْكُرَاعُ بِمَالِهَا الْمُوفُورِ
فَارْعَ الرَّعِيَّةَ خَيْرَ رَاعٍ سُسْهُمُ ... بِسِيَاسَةٍ مِنْ عَدْلِكَ الْمَنْشُورِ
شَاوِرْ ذَوِي عِلْمٍ وَدِينٍ نَاصِحٍ ... وَدَعِ الْغُوَاةَ وَكُلَّ ذِي تَزْوِيرِ
فَالْعِلْمُ مِيرَاثُ النُّبُوءَةِ نَالَهُ ... قَوْمٌ لَهُمْ حَظٌّ مِنَ التَّنْوِيرِ
كَمْ فِي بِلادِكَ مِنْ نَجِيبٍ حَافِظٍ ... وَمُشَارِكٍ فِي النَّظْمِ وَالْمَنْثُورِ
وَمُحَقِّقٍ وَمُدَقِّقٍ وَمُنَاظِرٍ ... مِنْ كُلِّ دَارِكٍ لِلْحِجَى نِحْرِيرِ
وَمُحَدِّثٍ مُتَمَهِّرٍ وَمُدَرِّسٍ ... مُتَبَحِّرٍ فِي الْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ
لَكِنَّهُمْ فَقَدُوا الإِعَانَةَ وَاغْتَدَوا ... مَا إِنْ يُرَاعِيهِمْ ذَوُو التَّأْمِيرِ
ضَاعُوا وَجَاعُوا لا مَحَالَةَ وَابْتُلُوا ... فِي ذَا الزَّمَانِ الصَّعْبِ بِالتَّقْتِيرِ

---

١ في ب: «من».

٢ جاء في المثل: تفرق القوم أيدي سبا وأيادي سبا. وسبا هذا أو سبأ - مهموز - هو الأب لعامة قبائل اليمن، والمعنى: أنهم تبددوا وتشتتوا تشتتاً لا اجتماع بعده، وسبب ذلك أن الله قد أرسل على تلك الأرض سيلاً عزيراً فأغرقها، وذهب بجناتها وقصورها، فتزح سبا بقومه وأخذوا يضربون في الأرض فضرب بهم المثل، والمراد بأيدي سبا أو أيادي سبا جنوده.

٣ يفجور: كثير الفجور.

٤ أي فتحت مدينة وهران.

٥ ظفرت في ب: «بشرت».

مُنِعُوا حُقُوقَهُمُ[1] بِمَالِ اللهِ لا ... يُرْجَى لَهُم طَمَعٌ وَلَوْ بِنَقِيرِ
حَتَّى حُبَيْسٌ كَانَ يَلْتَقِطُونَهُ ... حُرِمُوهُ هَذَا غَايَةُ التَّنْفِيرِ
لا يَنْبَغِي أَنْ يُحْرَمَ الأَحْبَاسَ مَنْ ... إِنْ يُعطَهَا تُصْرَفْ لِكُلِّ ضَرُورِ /
وَالْبَعْضُ يُمْنَحُهَا وَيَصْرِفُهَا لَدَى ... شُرْبِ الدُّخَانِ وَخِسَّةٍ وَخُمُورِ
وَلَهُمْ وُجُودُكَ بِالإِعَانَةِ ضَامِنٌ ... حَتَّى يَعُودَ الْعُسْرُ بِالتَّيْسِيرِ[2]
فَارْدُدْ حُبَيْساً - قَلَّ - يَمْتَصُّونَهُ ... مَصَّ النَّوَاةِ وَنُقْرَةِ الْقِطْمِيرِ
وَتُعَوَّضُونَ بِحَوْلِ رَبِّي كَثْرَةً ... مِنْ مَالِ كُلِّ مُعَانِدٍ وَكَفُورِ
يَا أَيُّهَا الْمِلِكُ الَّذِي نَرْجُو بِهِ ... عَدْلاً يَنُوطُ بِذِي الْغِنَا وَفَقِيرِ
إِنِّي نَصَحْتُكَ وَالنَّصِيحَةُ دِينُنَا ... فَاقْبَلْ وَلَمْ يَنْصَحْكَ دُونَ خَبِيرِ
بِقَصِيدَةٍ مَسْبُوكَةِ الأَلْفَاظِ قَدْ ... حَرَّرْتُهَا فِي غَايَةِ التَّحْرِيرِ
أَلْفَاظُهَا الدُّرُّ النَّفِيسُ تَنَظَّمَتْ ... فَاقَتْ نِظَامَ «فَرَزْدَقٍ» وَجَرِيرِ
إِذْ قَصْدُهُمْ بِنِظَامِهِمْ طَلَبُ الدُّنَا ... وَالْقَصْدُ فِي ذَا النَّظْمِ نُصْحُ أَمِيرِ
مَا إِنْ بِهِ طَمَعٌ يَشِينُ وَلا هَوًى ... مِنْ وَصْلِ غَانِيَةٍ وَوَصْفِ خُدُورِ
أَرْجُو بِهِ نَيْلَ الأُجُورِ مَعَ الرِّضَى ... وَبِصَالِحِ الأَعْمَالِ نَيْلُ أُجُورِ
هَذِي هَدِيَّتُنَا إِلَيْكَ وَلَسْتُ ذَا ... وَفَرٍ فَأَهْدِي مُثْقَلَ الْمَوْفُورِ /
فَاللهُ يُبْقِيكُمْ[3] لِنَفْعِ بِلادِنَا ... ظِلاً ظَلِيلاً غَايَةَ التَّعْمِيرِ

وكان الأمير[4] الذي قبل مولانا أرسل خمسين من الاخبية، يحاصرون

---

١ حقوقهم: باشباع الميم ليستقيم الوزن .
٢ في ب: « للتسيير » بلام الجر .
٣ يبقيكم - باشباع الميم -: ليستقيم الوزن .
٤ الأمير: هو الباشا السيد حسن خوجة الشريف، تولى سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م .

الطائفة الباغية، ويأكلون الضرع، ويفسدون الزرع. وذلك أول صفر من سنة ثمان عشرة[1] حتى يخرج هو بنفسه، ويباشر قتالها بحسه. فلما أدركه العذل، وانقلب للجد الهزل، وصار الأمر لمولانا «بكداش». لم يقدم شيئاً على الاعتناء بجهاد الكفرة الأوباش، فجمع من حينه العسكر المنصور، وأمّر عليهم السيد حسن[2]، نصره الله وأيّده، وخلد ملكه وأيّده. ثم قام المولى في عساكره المنصورة بالله وقال: «هذا خليفتي عليكم في كل حال، تخيرته للنيابة عني في تدبيركم، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم. وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية، معالم الرفق والرعـــاية. ما التزم الاستيفاء به. والوقوف بجده عند حده. والمسؤول في عونه من لا عون إلا من عنده / . ولن أعرفكم من حميد خصاله. وسديد فعاله. إلا بما سيبدو للعيان، ويزكو مع الامتحان، ويفشو من قبيلكم - إن شاء الله - على كل لسان، وقد أمرته أن يكون لناشئكم أبا، ولكهلكم أخا. ولذي التقويس[3] والكبر ابناً، ما أعنتموه على هذا المراد، ولزوم الانقياد. وأما من شق العصا، وبان عن الطاعة وعصى، فهو القاصي، ولو مُتُّ إليه بالرحم الداني، فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في جميع الأحوال، يكن لكم بالبر والموالاة خير وال».

فقالوا كلهم: ان نعم، لله دره من خليفة وانعم، فاقام فيهم سوق المعارف على ساقهـــا، وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها، وأوضح رسمها،

---

١ أي سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٦ م .

٢ حسن: صهره أوزن حسن .

٣ لذي التقويس: لصاحب الظهر المقوس، من جرّاء الشيخوخة والكبر .

وأثبت في جبين ايوانه وسمها. ثم ارتحل من الجزائر بالعسكر المنصور. ورياح النصر تضرب اللواء المنشور. ولم يزل يجد سيره في حفظ الله إلى أن نزل بالمحلات. وطاول المدلات. فطارت نفس الكافر في أثناء منازلتهم جزعاً. وذهب روعه مقسماً بالانكاد موزعا، ونغصت عليه مُنيَته. وجاءته منيَّته. حتى ما كان يلتفت إلى / رهج[1] يغشاه. ولا يصيخ[2] إلى رجة تقلقل حشاه. ولما افترس لذلك الأمير المتقدم هذا الليث. وطمس رسومه هذا الغيث. وخاطبه بألسنة الاغماد[3]، ورماه بداهية زنـــاد، بقي الحفيد يتشوف لافق الملك وقد أفلت نجومه، محترسا من ذلك الليث الذي افترسهم هجومه. في ظنه أنه ينتهز الفرصة في غيبته، ويسترد ذهاب دولته. ولم يدر أن مولانا – نصره الله – انما تخلف عن الجهاد ليحمي الدولة من انقراضها. ويرمي من سعى في انتقاضها. فاتت به يوما المنية، وتخطت به تلك السنية. وبقي مولانا عزيز الدولة على رسمه، مخطوب في منابرها باسمه. والاثنان اللذان كانا من الجند مع الحفيد، اغواهمـا الشيطان المريد، حتى دبت اليهما تلك الأفاعي، واشتملت عليهما المساعي، فخرّ جميعهم من عرشهم، وعوضوا التراب من فرشهم[4]، فتبارك من لا يكيده كائد، ولا يبيد ملكه – وكل شيء بائد – . /

---

١ الرهج: غبار يتطاير أثناء الحرب .

٢ يصيخ: يصغي ويستمع .

٣ ألسنة الاغماد: السيوف .

٤ كناية عن موتهم .

المقامة العاشرة

في حصر حصن العيون[1] . وكيف استفتحه - عنوة - المسلمون

حصر هذا الحصن حامي حمى الدين وعاضده، وقاطع ضر المعتدين وحاصده. الذي هد بعزمه الجبال الشوامخ. واجتث بحزمه الأصول الرواسخ. الأمين المؤتمن. السيد «أوزن حسن». وذلك في ليلة النصب. من شهر ربيع الأول الانور النبوي سنة تسع عشرة ومائة وألف[2]. فكان هذا الحصن أول ما نزل بساحة أهله فساء صباحهم. وشاهت وجوههم. وأحاط بهم سوء كسبهم. وحاق بهم وبال أمرهم. فقتلوا خارجه. وسوجلوا فيه القتال بكرة وعشية. ولما كاثرهم أولياء الله يعلو - بكلمتين[3] - نداؤهم. وتكاثر أزهار البطحاء المختلفة الألوان راياتهم. لجأ - سراعا - من انتشر بذلك السهل العريض من الأمم الكافرة. والنسم الغادرة. إلى مصدر الحصن. وكانوا في هذه المرة القريبة أوسعوه تحصينا. ونصحوا[4]

---

١ حصن العيون: يقال له - أيضاً - : «برج العيون» «وبرج الونيسي» نسبة إلى أحد رؤساء المدينة المسمى بابن الونيسي شيده الاسبان لحماية العيون التي يستقى منها أهل البلاد. ويعرف عند الاسبان بـ (CASTILLOS-FERNANDO). (عبد الرحمن الجامعي. المصدر السابق. ص: ٦٠ - ٦٢).

٢ الموافق لـ (١٤ جوان ١٧٠٧ م).

٣ بكلمتين: الله أكبر

٤ نصحوا أثواب عورته: خاطوها. وهي كناية عن رصّ بنيانه. وسدّ جميع منافذه.

أثواب عوراته ترميماً وتشديداً. / والمدافع تصرخ عليهم، والبونبات تنوشهم، بعد مرافعات صعبة، وحملات مرة، ومدافعات تجاه بابه استوعب لفيفهم معها التحصن، واستكملوا التمنع، وهم ألوف حذر الموت يحضرون، وإلى الملجأ يتسابقون ويهرعون، وصدقهم المسلمون الضمة فدخلوا خندق الحصن صابرين، وتسنموا سوره ظاهرين، بعد اثخان القتل واعمال السيف، وبعد أن سدت مسالكه جثث القتلى، وملئت الرحاب أشده الصرعى[1]، ثم عاطوا من تحصن بالحصن كؤوس القتال، وأرسلوا عليهم صواحب النبال، وتعلقوا بأسواره يقرعون الثنايا، ويطلعون عليهم وجوه المنايا، واستنجدت آلات النقب والقفز، وطيرت إلى ذلك المعتصم المخفور[2] من ذمة الله حجارة الرجز[3]، حتى غشيهم السماء من البارود بدخان مبين، وعذاب أليم، ورمتهم المدافع بمحارق الشيطان الرجيم، ولمنتصف اليوم بعده القوا بالإذعان إلى حكم المسلمين، فانزلوا أعلامهم آخر النهار، بعد / أن علت بنود الإسلام على الاسوار، ومن الغد عمت فيه سباياهم الظهور والاكفال، وتجاذبت مقاتلتهم[4] وجلداءهم[5] السلاسل والحبال، وصلصلت لامتطاء نبهائهم الاصفاد والاكبال، فخرجوا وقد خلفوا المنازل مملوءة بالنعم والاقوات، والأمتعة والآلات، فخلفهم المسلمون انتهابا

---

١ أشده الصرعى: أشدهم حيرة ودهشا .

٢ المعتصم المخفور: الحصن .

٣ الرجز: العذاب .

٤ مقاتلتهم: المقاتلة الذين يأخذون في القتال والتاء للتأنيث على تأويل الجماعة .

٥ الجلداء: ذوو الشدة وأصحاب القوة، مفرده جليد .

لكثيرها، واستلابا لخطيرها[1]، حتى لم تبق يد إلا ملئت ولا نعمة إلا سبيت، سخط من أهلك القرى لما بطرت معيشتها، وأذل الأمم لما ركبت بغيها، فسبحانه لا مبدل لكلماته، ولا دافع لنعمائه، فصمتت ألسن نواقيسهم المصطخبة، ومزقت اشلاء تماثيلهم المتبرجة. وسكبت دماء احيائهم فوق دماء من قتلوه، وجوزوا جزاء الضعف[2] بما فعلوه. فيا بردها على كبد الإسلام من نار مشبوبة وأوثاق مطروحة، وأغلاق مفضوضة، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾[3] وقفل الجيش يجلب نصر الاكفاء له، وصنع صنعا لا أعهد مثله، وقد رفعت ألويته الخافقة على رماح الفخر، وفازت سيوفه الماضية بادراك الثأر. وظل محل الصيحة، ١ ومنزل النقمة، ومسرح / الفئة الكافرة الباغية ترده أفواج من عصائب الطير تتداعى الجفلى[4]، وتتجاذب للوليمة العظمى، واستباحت سيوف الله فيها من النسم[5] أعماراً عدة، ومن الحماة أولى بأس وشدة، اوزع[6] الله شكر هذه النعماء وكتب للإسلام حسن العقبى، وأما ما أسر منهم فخمسمائة وخمسة وأربعون، ليس فيهم أنثى ولا صغير إلا المردة[7] المحاربون، وكان

---

١ الخطيرة: النفيسة الرفيعة .

٢ جزاء الضعف: جزاء مضعفا .

٣ سورة «هود» الآية: ١٠٢ .

٤ الجفلى: بفتح أوله وثانيه، هي أن تدعو الناس إلى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص. يقال: «دعي فلان في النقرى لا في الجفلى» أي: في الدعوة الخاصة لا في العامة، والنقرى: بفتح أوله وثانيه الدعوة الخاصة .

٥ النسم: جمع نسمة وهو كل ذي روح .

٦ أوزع: ألهم وأرشد، أي: ألهم الله المسلمين شكر هذه النعماء .

٧ في ب: «التمردة» .

هذا الفتح عشية عاشر جمادى الأخير في السنة المذكورة[1] ، وباء[2] المؤمنون بشفاء الصدور، وسرور القلوب، وقرة العيون، وقد علموا أن الله أحمى للاخذ بثأرهم من لا ينام عن الأمة، ولا يصانع في رعي الذمة، وجاست خيل الله من احواز وهران الجو الذي لم يطرق في غير هذا الوقت حماه، ولا عرف اسمه فضلا عن مسماه، حتى لاذ فرسان النصرانية والمتنصرة - على وفور عددهم - بالاسوار، وطارقتهم الغارة الشعواء بباب الدار[3] ، ومن جعل هذا العسكر العثماني - نصره الله - في الأمر كله، وتوعد / الكفر بحميته في سبيل الله ومن أجله، فقدحه - ان شاء الله - المعلى، وحظه بالخير أجدر وأولى. حفظ الله منه على المسلمين عنصر كلمته، ومعدن قوته، ووهب ريح نصره ومفزع شراته، وطية ركاب مبشراته. وواصل لنا ولولانا ما عوّد، ومتع بما خول وأعان على ما قلّد، وأدام بقاءه، وأعلى بالصنائع الباهرة علاءه .

---

١ أي سنة ١١١٩ هـ (٨ سبتمبر ١٧٠٧ م) .

٢ في الأصل : «وباؤوا» والتصويب من قلمنا .

٣ قال عبد الرحمن الجامعي: «وجد في برج العيون - بعد فتحه - من النصارى ثلاثمائة واثنان وعشرون، وقيل خمسمائة، ومن كفرة قبيلة «قزة» ستون، وقيل ثمانون، ووجد فيه من الجرحى سبعة وعشرون، ومن الموتى أربعون، فمنّ الأمير على هؤلاء الجرحى، وبعث بهم لأهلهم، ووجد فيه من البارود والسلاح والأقوات والأطعمة ما يستغنى به أهله لمدة حصره. واستشهد فيه مائتان من المسلمين».
(الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٦٤) .

المقامة الحادية عشر

في استفتاح حصن الجبل[1]،

وكيف نزعه من أيدي الكفرة عن عجل

لما فتحوا الحصن الأول، صعدوا للذي في شاهق الجبل، وداروا به دوران الفلك وتأهبوا للقتال حتى اضمحلت المظالم، وصار البعض يخد[2] في أساس الصحن، والبعض يعالج تسور الحصن، وكان ابتداء حصنه[3] يوم الخميس، والجند منهم قائم وجليس، إلى يوم السبت فاستفتحوه، ومن الله استمنحوه، وكان استفتاحه في السابع والعشرين من جمادى الاخرى في السنة المذكورة[4]، وعدد من أسر منه مائة وستة رجال وست
١٠٩ نسوة[5]، وتحصن بالحصن المسلمون، وانقلب على الكفار الويل / والمنون، وصاروا يضربون بمدافعهم في المدينة، ومن ثم أدركتهم الهزيمة. وكان

---

١ حصن الجبل: برج جبل المائدة، وهو المعروف بـ «برج مرجاجو» (Santa Cruz) الذي بناه الاسبان بايعاز رجل من بني عامر المناصرين للاسبان على المسلمين .

٢ خد يخد: من باب قتل - حفر في الأرض، وجعل فيها اخدودا .

٣ حصنه: محاصرته من كل جانب .

٤ أي: سنة ١١١٩ هـ (٢٥ سبتمبر ١٧٠٧ م) .

٥ قال الجامعي: «... وهم مائة وسبعة مقاتل وثلاث نسوة، ونقّل الله المسلمين سلاحهم وخزائنهم. وألفي فيه من المدافع ستة لها بال، لا يفي بثمنها كثير مال ...» (المصدر السابق. ص: ٦٦) .

يوم هذا الفتح يوم زينة، رفعت الأصوات بذكر «لا إله إلا الله» بوقار وسكينة، فلله الحمد والشكر على هذه النعمة الجسيمة، والمنة العميمة، فدخله العسكر المنصور بالله ورايته منشورة، وآيات الفتح فوقها مسطورة، والمولى ابو الفتوح قد انتظمت في دولته الفتوحات انتظام العقود، واقتضيت بغرماء عزماته ديوان الأيام اقتضاء النقود، وطلعت من ثنايا أرائه السديدة وجوه السعود، وتكلفت نيته الصالحة بنيل المقصود، وانجاز الوعود، فمتى نشرت الفتوحات الفيت في لفائف جنوده ودائعه، أودعت لامال كانت بوجوده طائعة وسامعه، أو استدعيت لأمان انثالت في أيدي سعوده وان كانت شاسعه، أبقاه الله مكملة مآرب أمره، معملة عوامل نصره، فحقق لامن الله ما يعجز اللسان عن حصره، ولا زالت عوامله مصروفة في زيد عداه وعمره، / حتى تذعن الرقاب الغلب لقهره، وتعترف الدهور بمزية ا - ١١٠ دهره، وحيث يسر الله تعالى بفتح هذه القلعة المنيعة، والهضبة الرفيعة، سفرت الفتوحات عن غررها، ووضعت أنباء النصر على صفحات السيوف وطررها، واستبشرت الأرض بوابل مطرها، وظفرت النفوس بأقصى وطرها، فالحمد لله الذي تمم لساداتنا الصنائع تتميماً، وجلى لهم وجه السعادة أغر وسيما، وأثبت لهم في صفحات الفخر ذكراً شهيراً ومجداً عظيماً. وجعل حدّ سيوفهم الماضية يستوعب العبد سبرا وتنسيما[1]، فكلما طلبوا الأيام بديونها لم تماطل غريما، وكلما اضمروا أمراً بعيداً أصبح ببابه مقيماً، والدعاء لمقامكم الاسمى بالعز الذي لا يزال لركابه العلي لزيما. والسعد الذي يروق أولياء مقامه الرفيع خصوصا وسائر المسلمين عموما، ولا زال

---

١ أي: حسداً وروحاً.

جنابه المؤمل كهفا والثناء عليه رقيما، حتى يصبح روض الكفر بهبوب
عزائمه هشيما، ويستنشق الإسلام من اتاحة الكرة على يديه روحاً عاطراً
أ - ١١١ ونسيماً، / وجعل سعده يتضمن اعتاب الدهر كلما عتب، وأقلام رماحه
تثبت في خطها النصرة الداخلة على العتب، وخطباء الفتوح تتوقل[1] في
منابر العز أعلى الرتب، والاعتداد بمقامه العلي يزيد صرفه[2] وضوحا، والآمال
في ملكه التركي يهز منه نسيم هذه الانباء غصنا مروحا، وخافت الرجاء
في هذه الارجاء ينفخ في عزائمه على جهاد الاعداء روحا، ويتلو عليه
من النصر كتاباً مشروحاً، وأيد الله أمره الرفيع تأييدا، والهمه شكراً لا يعدم
منه مزيداً، وجعل سيفه الماضي - كلما تقلد لأبواب الفتوح - اقليدا،
ويستأنف به الإسلام عزاً جديداً، ويتلع[3] جيدا، ويملأ ببلاد التثليث
توحيداً، ويذيق الكافرين بأساً شديداً، ويريهم الفتح المبين قريباً وان
كانوا يرونه بعيداً، أكرم به من أمير أصبح الغرب بنور دعوته مشرقا،
وأساغ ريقه وكان به شرقا، واشتمل ملاءة الأمن وكان خائفاً فرقا، وغدا
به ميزاج السياسة التركية لارتفاع ضدها ميزاجا متفقا، وأنشدها لسان
أ - ١١٢ السعد: «فاشرب هنيئاً عليك السعد مرتفقا»[4] / .

ولا شك أن هذه الغزوة المستأصلة[5] كانت لمرض الخلاف المزمن

---

١ تتوقل: تتصعّد وترقى .
٢ الصرف : - بفتح الصاد - الفضل والاحسان .
٣ يتلع: يقال: «تلع الرجل» من باب فرح - طالت عنقه أو قامته. فهو أتلع وتلع .
٤ هذا شطر بيت من البحر البسيط التام .
٥ المستأصلة: القاطعة لاصول الكفر والطغيان .

بحرانا[1]، وحكماً يتبع من حلول النصر بدرجات النصل قرآنا، وفتوى رضي شهاب الحسام اختيارها. وكتبت أقلام الرماح في صحف الأيام آثارها، فقلنا: هذا أمر لنا جله أو كله، ومزن لنا طله ووبله. والآن ارتفعت عن الجهاد الشواغل والشواغب، وان لا يحظى بامله الراغب. والآن تهللت الوجوه. واستشرف الدين الحنفي لما لم يزل يرجوه. كأننا بالعزائم لأداء حق الله مصروفة، والصوارم على سبيل الجهاد موقوفة. والهمم بأن تكون كلمة الله هي العليا – مشغوفة، ومن عامل الله بنصر هذه الأقطار المسلمة مع اختلاف الكلمة بما جمع بين السيوف والاجفان. ومهد القواعد بعد الرجفان[2]، وأمسك حبلها العاصم عند فيض الطوفان، وسدد سهام الجهاد ففتح بها ثغر وهران، ومن عامل الله في حربها بنية صالحة ظهر – والله – ربحه، وطلع بالسعادة صبحه، وقد ظهر مجمل / ذلك بما يطول شرحه، فانه لما صدق فيها عزمه، لم يسل[3] سيف العدو إلا نبا عن ضريبه، ولا اعمل[4] عزما إلا بلغ غاية غريبه، ولا سدد سهماً إلا أصاب غرضا بعيداً، ولا غرس غرسا إلا أثمر مراما سعيداً. واننا أخذنا من السرور بتمام نعمة الله عليه. واستقرار فذلكة[5] الفتح لدينا بأقصى ما يأخذه الولي

---

١ البحران:- بضم أوله وسكون ثانيه - التغير الذي يحدث دفعة واحدة في الأمراض الحادة، ويعرف - في علم الطب - بتهيّج واختلال في القوة المدركة تسببه شدة المرض.

٢ الاجفان:- جمع جفن - وهي الاغماد للسيوف.

٣ يسل: بالبناء للمجهول.

٤ اعمل: الضمير فيه يعود على الداي بكداش.

٥ الأصل في الفذلكة: خلاصة ما فصل أولا، حساباً كان أو غيره، وهي مأخوذة من قول الحاسب إذا لخص وأجمل حسابه: فذلك كذا وكذا، اشارة إلى حاصل الحساب ونتيجته. وفي الأصل: «فدلكة» بالدال المهملة، وهي تدل في اللغة العامية عند التونسيين على المزاح.

الحميم، ولمحنا من اتصال سعدنا بما سناه[1] من الصنع الكريم، والله يصل سعده، ويحرس لسيدنا مجده .

---

١ سناه: سقاه .

المقامة الثانية عشر

في حصر حصن بن زهوة[1]،

وكيف استفتحه المسلمون عنوة

لما فتح الله على المسلمين، وأيدهم بالنصر العزيز المبين. انتقلوا لحصر حصن ابن زهوة، وكان في ربوة، فاستحقره الأسود الحوالك، وكان الأمر أشد من ذلك، فلما قابلوه واصلت الكفار رمي الرصاص وضرب المدافع، ولم تبق لأحد من المسلمين طاقة يدافع، وما ترى منا إلا القتيل، والآخر / في الأرض مطروح ذليل، وكان ابتداء حصره في أ - ١١٤
يوم الاحد في الثاني والعشرين من جمادى الاخرى. ثم تفاقم الأمر. وتعاظم الكفر، حتى طأطأت صناديد المسلمين رأسها، وأبدت الأسود عبوسها، فأمر الخليفة[2] بحفر اللغم، كيما يزول عنهم الحزن والغم. فمكثوا مدة في حفره حتى استكمل، وأطلقوه فلم يصل. وكذلك الثاني[3] وفي الثالث هدّ شطراً، واستفتحوه من ذلك الموضع قهراً، وقتلوا الذين

---

١ حصن بن زهوه: هو برج اليهودي، و «زهوه» هو زاوي بن كبيسة اليهودي المعروف بـ «بن زهوه» بفتح التاء وسكون النون. قال عبد الرحمن الجامعي: «بن زهوه بفتح باء «بن» وسكون نونه على لغة العامّة. وليس هذا من لحن قائله. وإنما هو من حكاية اللفظ على استعماله وهو واجب في الاسماء، لا سيما عند أهل التعريف بمسمّياتها». (المصدر السابق ص: ٧٠).

٢ الخليفة: هو أوزن حسن.

٣ الثاني: اللغم الثاني.

فيه جميعاً، وانقلب إليهم النصر سريعاً، وما بقي إلا القليل بعثوه لمولانا اسماعيل[1]. وكان استفتاح هذا الحصن يوم الثلاثاء الخامس من شعبان المبارك سنة تسع عشرة ومائة وألف[2]. فهنيئاً للمسلمين بقدوم هذا الفتح على يد هذا الأمين. امام له صولة جرع الكافرين كؤوس المنية، وأظهر دين الحنيفية، يحيى بعز الدين الحنيف وجهه، ويطرق بخبر الفتح على أهل «لا إله إلا الله» سمعه، ويشرح بنصر الفئة القليلة على الفئة / الكثيرة صدره، السلطان أبو الفتوح أبقاه الله عميماً فضله، رفيعاً مجده، ماضياً عزمه، معظماً قدره، وملتزماً بره، جعله الله وصهره من المهتدين بهديه، السالكين في جهاد عدو الله على نهجه، حتى استقام عمود المسلمين من بعده، وبلغ التخوم القاصية نور دعوته، أنعم الله به على المسلمين، فحصر برج اليهودي[3] اللعين. حتى ظفر منه بالمنى، فانسدل عليه الهنا، وكان - نصره الله - أصحب العسكر عجلات، تحمل انفاطا وآلات، من أنواع السيف والسهم، ومواعين النقب والهدم، إلى الحصاصيد، والسلاليم، والفؤوس، والقواطيع، ثم ألقت إليهم المحلة[4] المنصورة بالله أفلاذها،

---

١ مولانا اسماعيل: سلطان المغرب الأقصى. والمراد بالقليل - في كلام صاحب المقامات - تسعة أو ثمانية أشخاص. قال عبد الرحمن الجامعي: «وقتل جميع من كان في برج بن زهوه وكانوا ما ينيّف على مائة وعشرين، إلا تسعة أو ثمانية فرّوا إلى حرم الباي. وكان مدة حصر برج بن زهوه بشهرين. فاستشهد في هذه المدة نحو المائتين من المسلمين». (المصدر السابق. ص: ٧٢ - ٧٣).

٢ الموافق لـ (٦ نوفمبر ١٧٠٧ م).

٣ برج اليهودي: سمي بهذا الاسم، لأن أحداً من اليهود اسمه زاوي بن كبيسة، المعروف بابن زهوة اتفق مع الاسبان أن يعينهم على دخولهم لوهران واستيلائهم على المدينة، شريطة أن يسلموا له هذا البرج فكان ما كان وأعطي البرج وسمي باسم ملته. وكان قبل ذلك يسمى بـ «برج المرسى» (- المراري، بن عودة. طلوع سعد السعود ص: ١٩٢. - عبد القادر المشرفي، المصدر السابق. ص: ٢).

٤ المحلة: الجيش. والكلمة اقليمية النزعة.

وعينت للصلاة في جميع حروبهم أفذاذها، فصبّحوهم يوم الثلاثاء وقد صكت من به[1] طبول الجهاد، التي قدم بها الامجاد. وانتشرت حواليه رايات النصر، التي رف عليها الغر[2]، ودارت بها المقاتلة[3] المسلمة التي لا يخامرها الرعب ولا يدخلها الذعر، وهو حصن[4] منيع، ومعقل شهير /، وبلاء مبين، وقد كان صرف إليه الكفر عزمه، وأغرى به همه. فسد ثلمه، وأصلح خلله، ونظر إلى عوراته، فأوسعها تحصيناً حتى قطع الاطماع. وبتر الآمال، إلا أن الله تعالى لا تغالب قدرته، ولا تطاول عزته. ولا يرد عن القوم الكافرين سخطه[5]، فتعلق بـه[6] المسلمون . يخوضون غمار الشهادة ويتزاحمون على مراتب المنية، ويسمحون في مبايعة الله بالنفوس الزكية، إلى أن رمى اللغم شقه، وهدّه، واستوهى بخده، فاقتحمه المسلمون وقد خلفوهم قتلى ليس لهم ظهور، فكان ثالث الفتح المسطور، ثم علت فوق الأبراج رايات الإسلام، وارتفعت كلمة التوحيد، وتناول تماثيله التدمير[7]، وأنزل ناقوسه انزال التهوير، وجلب به على المسلمين عوارق الفتح المبين، وفازت يد الإسلام من هذا المعقل العزيز عليه بقرار القلوب وقرة العيون، وشفى منه داء عضال، وكفى بلاء لا يطاق. والعدو في أثناء هذا – حسبما نتعرفه من ألسن أسراره –، مجتمع بالمدينة يتقلب بين

---

١ به: الضمير يعود على برج اليهودي .

٢ الغر: الرونق، والبهجة، والحسن .

٣ المقاتلة: الجماعة الآخذة في القتال .

٤ في ب: «مصام» .

٥ في ب: «باسمه» .

٦ به: الضمير يعود على الحصن .

٧ في ب: «التدبير» .

لهيب الحنق وجماره، وقـــد بث تلك الأمة المتلاحقة إليه من اسبانية
أ - ١١٧ بين أسواره، / ووحد لها ارتقاب أمره، وانتظار أخباره، ولا شك في أن
هذه القروح يصير وخزها إلى قلبه، وتثير نكاياتها من عرقوبه، وبالله
تذرؤ[1] في نحره، وبحزب الله نستعين على حزبه، وبربنا - تعالى -
نستظهر على ربه المنصوب[2]، وإلاهه المنحوت، وقد سقناه بانتهاز
الفرصة، وعاجلناه في سبيل الله بالعزة، ومع اليوم عدة، ومجمع الصنائع
لطائفه خفيفة، وجنوده كثيرة. وما قل من كان الله معه، وما ذلّ من
كان الله ناصره، إله الخلق الآمر تبارك الله رب العالمين، وقد ظهر هذا
الأمر وفشى حتى سر به جميع المسلمين، وأساء جميع الكافرين، ثم
شرع العسكر المنصور بالله ينظر فيما يكون عليه العمل، من قصد غيره
ومصادمة سواه في اختيـــار من يغمره من الفرسان الحماة، وحذاق الرماة
ويستكثر به من الاقوات. والله المستعان وعليه التكلان. نسأله تعالى أن
أ - ١١٨ يبقى سيدنا على سائر كل شدة، ويخلد ملكه ويؤبده / .

---

١ تذرؤ: تكثر وتنتشر القروح في نحره .
٢ المنصوب: الصليب .

المقامة الثالثة عشر

في استفتاح مدينة وهران،

وكيف صار عز الكفرة إلى الهوان

لا شك أنها مدينة بلقاء[1] الشهرة، وغاب البسالة، ومنبت الشوكة، وعقاب القواعد المغتصبة للمسلمين، ومحتط طائفة العرب العامريين، الخصيبة النبات والمستبحرة الماء والجنات، حيث الزرع يمتار[2] منه العباد والبلاد، مدد الوفود والكروم، التي[3] استثمرها الروم، تفهق[4] لها الجوابي[5] الجوب بدم العنقـود، الجناب الأعشب، والموضع المبهت المعجب، حجراً لارقم المختالة في جلود الزرود، والليوث الباطشة فوق فيول الخيول[6]، ومصرخ النواقيس الصائلة، ومنصب التماثيل الماثلة. لا يخفى أنها كانت شجى في حلق الدين، وقذى في أعين المسلمين، تنتهب المراكب براً

---

١ بلقاء الشهرة: مشهورة كما اشتهرت البلقاء. والأصل في البلقاء سواد بشوبه بياض والبلقاء ناحية من نواحي الشام. قال عبد المؤمن البغدادي: «البلقاء، كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبها عمان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة». (مراصد الاطلاع، ج: ١ ص: ٢١٩).

٢ يمتار: يمونهم ومنه امتار لعياله إذا جمع لهم الطعام والمؤونة.

٣ في ب: «الذي».

٤ تفهق: - من باب فرح - تمتلىء وتفيض.

٥ الجوابي: الأحواض التي تجبى فيها الخمر، أي تجمع.

٦ فيول الخيول: كهولها.

وبحراً. وتشن الغارات على أطراف البلاد قتلا وأسراً، حتى أتى الله بهذا السيد الذي أشرقت بطلعته - في سماء هذه المملكة - شموس الفتوح، ١١٩ بما منحه الله من النصر الممنوح، فاستدعى / أهل الجهاد، وضيق عليها فسيح البلاد، واستكثر أيات القتال، ورفع المجانيق على الاعجال، وأفاض العطاء الذي تجاوز شهور الاستحقاق إلى ما ورائها مما لم يستهل حين هلاله، ولا وسمت خيلان[1] الليالي صفحة جماله، وواصل الجيوش من المطوعة[2] الغازين المدونين[3]. إلى حقوقهم من المغنم المتقدم والنفل المبارك المعين، فتضاعف بذلك يقينهم. وازداد به على قتال العدو حرصهم، وطابت على الموت نفوسهم. ولما كاثرهم السواد الأعظم. والبحر الذي لا يزحم، استحموا بحمى الأبراج المشيدة، وفرج الأبواب المتعددة، وتلاحق وابل الأمم المجشودة المحشورة، من المجموعة المنصورة الموفورة. تموج بهم عرفات موقف الجهاد، ويتراكم منهم - وفرهم الله - رجل[4] الجراد، فشره[5] الناس إلى العدو، وخفوا إلى حومة الحرب خفوفا لم يعطف فيه المتقدم، على المتأخر، ولا انتظر المسرع لحاق المتلوم[6]. فانهارت ١٢٠ منهم الهضاب وانهالت، وتدافعت الاودية / وسالت، وجنحت الرايات

---

١ الخيلان: - مفرده خال - وهو شامة في البدن. أو بثرة سوداء ينبت حولها الشعر غالباً. ويغلب على شامة صفحة الخد.

٢ المطوعة: الذين تطوعوا للجهاد.

٣ المدونين: المسجلين في سجل الغنائم.

٤ الرجل: - بكسر أوله وسكون ثانيه - جمع ارجل، وهي الطائفة من الشيء. ويطلق على الجماعة العظيمة من الجراد خاصة، وهو جمع على غير لفظ واحده.

٥ فشره الناس إلى العدو: اشتد ميلهم إلى محاربته.

٦ المتلوم: المنتظر لقضاء حاجته. أو المتعرض للأثمة في الفعل السيء. وهو تأخره عن الجهاد.

إلى حومة سورها الأدنى ومالت، كأنهم سحائب الخريف حركتها الزعازع وضربت أباط[1] ركائبها البروق الخواطف، وأحاط بها من قبل أن توزع الآلات، وتبوأ مقاعد القتال كماة الرماة . ففرعوا[2] للحين سورها واقتحموا منازلها ودورها، وصدقوا حاميتها الضمة[3] . وولوا عليها شدة، حتى ازعجوهم عنها عنوة، واستلحموا منهم جملة، وتعلقوا بسور البلد وبادروا الهيعة[4] . وقد هزت رياح النصر عذبات الرايات، وسد ما بين الخافقين علو كلمة الشهادات . باختلاف الأصوات، وصكت الاسماع رعود الطبول، واستنجز المؤمنون الصابرون من ربهم ميقات الوعد المفعول، فلا ترى إلا هاويا من ذرى شرفة تخلفه جمة[5] ، أو شهيداً تتراحم على مواقفه لمّة[6] . أو ثنية تفرع[7] . أو شعاراً يسمع، ونزل الصبر، وانجز الوعد، وقذف الله الرعب في قلوب الكافرين، وأمد أولياءه بالملائكة المسومين، ففرعت أسوار المدينة، ودخلت والحمد لله عنوة، وقد شهرت / السيوف، وتخارقت الرماح، وحق عليهم القول، وأخذتهم الرجفة، ولولا أنهم هربوا ليلا لهبروهم بالسيوف، وعاجلوهم بالحتوف، واستولوا على أقطار المدينة استيلاء عجل المجانيق عن الركوع، وصواعق الصخر عن

أ - ١٢١

---

١ الاباط: جمع إبط يذكر ويؤنث، وهو باطن الكتف من كل ذي روح .

٢ ففرعوا: اعتلوا وصعدوا .

٣ الضمة: الحلبة في الرهان، لأنها تضمّ الخيل المندفعة من أوب وصوب .

٤ الهيعة: الصوت المخيف، والمفزع للعدو .

٥ الجمة: - بضم أوله وفتحه - معظم الشيء، أو الكثير منه .

٦ اللمة: المجتمع من كل شيء، ويراد به - هنا - مجموعة من المجاهدين .

٧ تفرع: - بالبناء للمجهول - يصعد عليها وتعلى .

الوقوع، ولولا أن العدو كان متأهباً للفراغ[1]، وانه حمل متاعه إلى عدوتهم التي زعموها محـل القرار، لانطلقت الأيادي على ما لا يناله الحصر ولا يدركه العد، من الذخائر المصونة، وآنية الرقة الثقيلة، والاسلحة المستجادة وعاثت في الخزائن الطامية، والاقوات الهائلة، ودنان الادهان[2] المدخرة، والخمور المفوهة، ابادة وعبثا، واراقة ونقلا، إلى ما يكاثر الحصى، واجزاء الهباء، وقيدت نواقيسها بالحبال التي حركت جبالها، وقلقلت هضابها[3]، فابرزت خاسئة فاغرة، وتركتها - بعد سلّ ألسنتها - دامية ثاغرة، وكفى الله شرهم، ودفع ضررهم، واستأثر هذا السيد - نصره الله - بالسعد
أ - ١٢٢ المعجل، فدخلها خليفته[4] وعسكره / المنصور بالله في اليوم الأغر المحجل، من شوال سنـة تسع عشرة ومائة وألف. (١١١٩ هـ)[5] وحصلوا عليها من غير سلاح يعمل، ولا حق يهمل، ولا نفس ريعت[6]، ولا حرمة للدين اضيعت، فانتظمها سلك الأمير السعيد، واتصل الأمر القريب منها بالبعيد، فاقيمت فريضة الشكر - والحمد لله - لوقتها، وتليت في بساط الاعتبار بالنعم: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾[7]. وقد كان - لما طال حصرها، واشتد على المجاهدين ضرها -،

---

١ للفراغ: لاخلاء المكان الذي كان يعمّره .

٢ الادهان: مفرده الدهان، لغة اقليمية في الزبدة المملحة .

٣ أي جبال مدينة وهران وهضابها .

٤ خليفته: هو وزيره وصهره أوزن حسن .

٥ الموافقة لـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م) .

٦ ريعت: اخيفت، وارهبت من راع منه إذا خاف .

٧ اقتباس من آي الذكر الحكيم، سورة «الزخرف»، الآية: ٤٨ .

خطر بخواطر الجم الغفير، انها لا تفتح على يد هذا الأمير، بل ادعى بعضهم أنها لا تفتح أبداً، وانها لا تزداد إلا قوة ومددا، ومولانا – نصره الله – لا يثنى عنانه عن طلبها العنا، ولا يلحقه في جهادها ضعف ولا ونا، وفي تلك المدة، وهاتيك الشدة، كاتبه العالم العلامة، الدراكة الفهامة، الأديب اللافظ، الاريب الحافظ، السالك الناسك، مقيد أوابد العلوم بعقال عقله أيّ قيد، سيدي أبو زيد الشيخ الرباني، / العالم العرفاني، أ - ١٢٣ أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الشهير بالقرومي، وهو – رضي الله عنه – رجل من أهل اللسان في التكلم، والصبر على التعليم والتعلم، يحمل من العلم فنونا، ويقتضى منه على الأيام ديونا، ويخطب من أنواعه بابداع حفظ، وحفظ ابداع أبكارا وعيوناً، إلا أن أرج عرفه، ونهج بالاستيلاء[1] على ما قدر له منه طرفه، وقد ارتسم في الولاية تلو أبيه، وارثا لمقامه ذلك النبيه، إلى أن استدعته الحلقات العلمية، فهلّ بها بدراً، وتقدم فيها صدراً، قد رفع الله له في أهل العلم قدراً، واستعمله فيما هو به اعرف له وأدرى، برسالة على لسان والده، وانه حان وقتها، وناح سمتها، وهي هذه :

«الأمير الذي شهدت بامامته أبرار الرجال، ووجبت بيعته وطاعته علينا في جميع الاحوال، فقمنا لله في نصحه بالدعاء له بالنصر والرشد في الأقوال والأفعال، إمام المسلمين، وخليفة رسول رب العالمين، في أحكام الله وتعظيم شعائره السيد محمد «داي» بلغة الوقت، والإمام العادل / في أ - ١٢٤

---

١ الاستيلاء: في ب: «الاستلاء».

حقيقة النعت، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، من محبكم ومعظم جلالكم بالشرع والطبع، أبي زيد، محمد، بن عبد الرحمن، ابن ابراهيم .

وبعد: ممّا وجب اعلامكم ببشائره لعظم قدره، وفقد نظائره، ما أجرى الله بوارد الالهام، وتحقيق سيرة النبي - عليه السلام -، على لسان والدنا - حفظه الله - الشيخ المسن بتحقيق امامتكم، والشهادة بمنصة جلالكم، وذلك أنه أملى علينا لسبعة عشر يوماً خلت من رمضان أبياتا، جرت على لسانه بوارد الجبر، الذي هو نوع من المكالمة والمحادثة في طريق القوم[1] على بساط المشاهدة والعلم اليقيني. ونص الأبيات التي أملاها علينا هي[2] :

اللهُ أَعْـلَمُ مَـا أُقَاسي مِنْ جَوَى[3] عَمَّنْ بِوَهْرَانَ مِنْ ذَوي الأَحْلامِ[4]
يَا أَمِيرَ جَيْشٍ قَدْ عَلَيْنا تَطَاوَلَتْ[5] أَيَّامُ فَتْحِكَ لَمْ تَحِنْ بِتَمَـامِ
أ - ٢٢٥ فَانْهَضْ بِعَسْكَرِكَ الْعَرَمْرَمِ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ يَنْصُرْكُمْ عـلى اللُّئَـامِ /
فَإِذَا ظَفِرْتَ بِفَتْحِهَا أَحْسِنْ[6] إلى مَنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالرِّضَى وَمَـرَامِ

---

١ القوم: هم رجال التصوف .
٢ من وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .
٣ في ب: «الجوى» .
٤ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .
٥ الشطر الأول من البيت مختل الوزن .
٦ في ب: «فاحسن» .

فَاللهُ يَنْصُرُكُم وَيَشْكُرُ فِعْلَكُمْ وَيَزِيدُكُم فَخْراً لَـدى الإمَامِ
وَلَقَدْ تَشَوَّقَتِ النُّفُوسُ لأَوْبَـةِ السَّادَاتِ وَالأَوْلادِ وَالْكِرَامِ
ثُمَّ السَّلامُ عَلى الْمُجَاهِدِ حَيْثُمَا وَعَلى الْوَلاةِ مِنْ ضَيْغَمٍ وَهُمَامِ[1]
وَعَلى وَلِيّ اللهِ أَزْكَى تَحِيَّـةً[2] فَعَسَاهُ يُسْلِمُهَا إلى الإسْـلامِ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَـلى النَّبِـيِّ وَرَهْطِـهِ وَعَلى الْعَوَاتِكِ مِنْ ذَوِي الأَرْحَامِ

ولما أنشدنا هذه القطعة سألناه عن مراده بالأمير، فقال: هو خليفة الاجناد بالمغرب، صهر الأمير[3] – نصر الله –، وقلنا له: ما أردت بقولك: «ويزيدكم فخراً لدى الإمام»، فقال: الإمام هو أميرنا وخليفة الرسول علينا، فهذه الشهادة من هذا الولي هي بيت القصيد البشرى لكم. لأن الامامة هي الخلافة، ولا يتصف بها إلا من كملت احواله، وصدقت في الله أفعاله وأقواله، كما علمتم، وفي هذا كله اشارة إلى الفتح الذي اختاره الله / في ولايتكم وخلافتكم وبقية معنى الأبيات واضحة الدلالة أ - ١٢٦
تكميل: «العواتك» التي ختم بها هي اللواتي افتخر بهن عليه الصلاة والسلام في رميه حيث قال عليه السلام: «أنا ابن العواتك ولا فخر ..» الحديث[4].. فكأن الولد هزته زعازع الأشواق إلى تلك المواطن التي خص الله بها ﴿رِجَالاً

---

١ الشطر الثاني من البيت مختل الوزن.
٢ الشطر الأول من البيت مختل الوزن. ويريد بـ «ولي الله» سيدي محمد الهواري دفين مدينة وهران والمتوفى سنة ٨٤٣ هـ - ١٤٣٩ م.
٣ صهر الأمير: هو أوزن حسن.
٤ جاء في «الكبير» للطبراني، و «سنن» سعيد ابن منصور: «أنا ابْنُ الْعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيمٍ». (الجامع الصغير، في أحاديث البشير النذير للسيوطي، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧ م ص: ٩٦).

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾[1]. فهذه نكتة فيها من براعة حسن الختام، ومطابقة الحال لمقتضى المقام، ما لا يخفى على ذي ممارسة لصناعة المقال، وذوق في صدق الأحوال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، نحمدك اللهم ونشكرك على ولاية من هو عالم بمحاسن الاقوال، وقائم له في سبط الأحوال والسلام». فكان الأمر كما قال هذا الشيخ – رضي الله عنه – وحقق الله أمنية الأمير – نصره الله – فأدرك طلبه منه، فوقع هذا الفتح المبين عند استشراف النفوس إليه، بتمالؤ الصالحين عليه، ومن حينه انتشرت به في الأقطار البشائر، خصوصاً لثغر الجزائر، فكان يوم عيد، وسرور
أ – ١٢٧ جديد، وطرازاً / على الحلة السيرا[2]، وتماماً للنعمة العظمى. وأملا في ظهور الدين فقد فجع فيه الكفر بأمّ من امهاته، وكرسي مستقل بذاته، فلله الحمد وله المنة – سبحانه تعالى – ما أمنه. ثم احتفل الأمير – نصره الله – لأيام الزينة، في وقار وسكينة، وطرب جرد من الجبل تسكينه، فصارت الأسواق دوراً، وأصبح أهلها زائراً ومزوراً، وأمست الأجنة فراديس، وجعلت الخيل كراديس[3]، وبرزت[4] ربات الخدور، بين شموس وبدور، فلا تبصر إلا غانية وغانياً، ولا تسمع إلا مثالثا ومثانيا[5]،

---

١ هذا اقتباس من آي الذكر الحكيم سورة «الاحزاب» الآية ٢٣ .

٢ السيراء: برود مخططه منسوجة بالحرير وحذفت همزته نزولا عند رغبة السجع .

٣ الكراديس من الخيل: العدد الكثير منها .

٤ في ب: «وبدرت» .

٥ آلتان للطرب ذواتا وترين وثلاثة أوتار .

من مهرجان خطير ، أزرى بعرس « بوران »[1] وأيام « يزد شير »[2] ، أقبلت فيه التهاني على مولانا من كل شاعر ، ونظم في ذلك من لا يعد مع ناظم ولا ناثر ، من ذلك قول شيخنا أبي عبد الله محمد بن محمد الثغيري[3] الذي أحيا الله به، مآثر سلفه، وان لم يكن درست، وأينعت فيه ثمر قومه، فعادت كاليوم الذي فيه غرست، فنجم، ونجب، ووعظ، وخط، وأقرأ، وتكلم، ودرس وعلم، وأرشد، / وفهم، وحكم، وقضى وأنفذ، أ - ١٢٨ وأمضى، معتمداً على حفظ أصيل، وبيان وتحصيل، وعلم راسخ، وبيت شامخ، وعقل راجح. وفضل واضح، وزكاة وطهارة، وعفاف من الصبا كمل غراره، فهو اليوم عين مصره، بل فريد عصره، وقريع مجده، بل نسيج وحده، يقرىء من العلم فنوناً[4] ، ويستحضر من تلك الفنون عيونا، يستدعي خشوع الجمهور بوعظه، ويزين مجالس الموعظة بحفظه، وربما استدعاه طبع الأدب للخوض في لجته، والابانة لحجته، والمزاحمة بفوجه،

---

١ بوران: هي خديجة بنت الحسن بن الحسين بن سهل، تزوجها المأمون بن هارون الرشيد أيام خلافته على يد اسحاق الموصلي، وقد صرف في عرسها آلاف الآلاف من الدنانير وفي تزويجها قصص مشحونة بها كتب الأدب، لا سيما قصة «الزنبيل»، وكانت «بوران» أجمل نساء عصرها وأذكاهن. توفيت سنة ٢٧١ هـ / ٨٨٤ م وقد بلغت ثمانين سنة. (الزركلي، خير الدين، الأعلام ج: ٢ ص: ٥٦) .

٢ يزدشير أو يزدجرد: اسم لأحد ثلاثة من ملوك الفرس من بني ساسان أولهم تولى سنة ٣٩٩ م وتساهل في أمور الدين فاغتاله المجوس سنة ٤٢٠ م وثانيهم تولى سنة ٤٣٨ م وتوفي سنة ٤٥٧ م بعدما اضطهد «الارمن» وأرغمهم على اعتناق المانوية، وثالثهم - وهو الأخير - تولى سنة ١١ هـ / ٦٣٢ م وقتل بخراسان سنة ٣٠ هـ / ٦٥١ م عند هروبه من العرب الفاتحين لبلاده أيام عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ولعل المؤلف أراد هذا الأخير. (أويس وفا، منهاج اليقين، مطبعة اسطنبول، ص: ٣٩١) .

٣ في شرح الجامعي على قصيدة الحلفاوي وفتح وهران «النقيري» وفي طلوع سعد السعود للمزري: «التغريري».

٤ في ب: «الفنونا» .

والمصادمة لموجه، بارجوزة محتوية على تاريخ عجيب. وهي[1] :

الْحَمْدُ للهِ الَّـذِي قَـدْ فَتَحَـا وَهْرَانَ عَنْ أَيْدِي الرِّجَالِ الصُّلَحَا
وَقَهَرَ الْقَوْمَ اللِّئَـامَ الْفَجَـرَهْ وَرَفَعَ الإِسْلامَ فَـوقَ الْكَفَـرَهْ
فِي مُدَّةِ السُّلْطَانِ فَخْـرِ النَّاس أَحْمَدَ خَـاقَـانَ أَبِي الْعَبَّـاس[2]
مَنْ مَلَكَ البَرَّيْنِ وَالْبَحْرَيْـنِ وَمِصْرَ وَالشَّامَ بِـدُونِ مَـيْنِ
وَخَادِمُ الْحَرَمَيْنِ طُولَ الْمَدَى[3] دَامَ انْتِصَارُهُ عَـلى جَمْعِ الْعِدَا /
يَا سَائِلاً عَمَّـا بِوَهْرَانَ ظَهَـرْ مِنْ أَخْذِهَا وَفَتْحِهَا كَمَا اشْتَهَرْ
أَخَذَهَـا الْكُفَّارُ بِالثَّبَـاتِ فِيمَا رَوَيْنَاهُ عَنِ الثِّقَاتِ
سَنَةَ أَرْبـعٍ وَعَشْرَةٍ مَضَـتْ مِنْ بَعْدِ تِسْعِمَـائَةٍ[4] قَدْ كَمُلَتْ
فَمِائَتَانِ مَـعَ خَمْسَةِ سِنِـينْ عَدَدُ مُكْثِهَا بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينْ
ثُمَّ بَـدَا الْعَزْمُ مِـنَ الإِلَـهِ وَجَاءَنَا الْفَتْحُ بِنَصْرِ اللهِ
فَفُتِحَتْ سَنَةَ تِسْعَةَ عَشَرْ وَمِائَةٍ مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ[5] تُعْتَبَـرْ
فِي سَادِسِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالِ صَبِيحَةَ الْجُمْعَةِ خُـذْ مَقَـالِي
عَنْ يَدِ مَنْ صَيَّرَ الْجَـزَائِـرْ جَنَّةَ كُلِّ قَـاطِنٍ وَزَائِـرْ
مُحَمَّدِ الْبَكْدَاشِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَحَسَنٍ صِهْرِهِ عَـالِي الصَّوْلَةِ
زَادَ الإِلَـهُ لَهُمَـا فِي النَّصْرِ وَالظَّفْرِ وَافْتِتَـاحِ أَرْضِ الْكُفْرِ

---

١ على وزن بحر الرجز .
٢ خاقان: امبراطور، والكلمة تركية الأصل، تولى سنة ١١١٥ هـ - ١٧٠٣ م وعزل سنة ١١٤٢ هـ - ١٧٣٠ م وتوفي سنة ١١٤٩ هـ - ١٧٣٦ م .
٣ في ب: «في طول» .
٤ الموافقة لسنة ١٥٠٨ م .
٥ الموافقة لـ (٢٠ جانفي ١٧٠٨ م) .

لا زَالَ مَنْ عَادَاهُمَا في الانْتِقَامْ بِالْقَهْرِ وَالنَّهْبِ عَلى طُولِ الدَّوامْ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَنْ مُحَمَّدِ الأَمِيْنْ وَآلِـهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينْ /
مَا جَاهَدَ الإِسْلامُ في الْكُفَّارِ بِالْقَتْلِ وَالأَسْرِ وَأَخْذِ الثَّـارِ

وكاتبه شيخ الإسلام، ومدار شريعة الأحكام، أبو الوفا. السيد مصطفى، بن عبد الله البوني الخطيب، الـذي لا يستفزه الهول، ولا يعوزه وان تشعبت أفانين المقول والقول. ولا يستمدّ في هذه الطريقة إلا مدد من بيده القوة والحول. يبتدع الخطب جارية الفقر على ما ينظم في الوقت من قلادة، أو ينشىء من ظهير على فقرة معتادة، صدرت له في هذا النوع عجائب أفردته بصنعة الخطابة. وجعلت الثناء عليه لازم الاطالة والاصابة[1]، ولم يكن في عصره من حملة العلم وشيوخ الافادة أقدم منه على الأدب، ولا أوسع صدراً بما يرجع لطريقته من فنون الطلب. قرىء في حلقته على سبيل التفقه تفسير الشيخ أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي[2] – رحمه الله تعالى. ورضي عنه – فأجاد فيه التدريس. وأنس الطلبة من البيان والبديع بالأمثلة الواضحة أجمل التأنيس. وهو يقرىء علم العروض ويعلمه، / ويبين من البيان ويفهمه. ويمثل جنس البديع ويحكمه. وله في الخطب الساعد المشتد. والباع[3] الممتد. والالقاء الذي تميل إليه

---

١ في ب. «وطابه».

٢ هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. ولد سنة ٧٨٥ هـ ١٣٨٣ م بـ «واد يسر» قرب الجزائر العاصمة. وتوفي سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م بمدينة الجزائر حيث ضريحه ما زال يزار إلى الآن. (نور الدين عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة الشعب. ١٩٦٥ م ص: ١٦٦)

٣ في ب: «وابتاع».

الهوادي وتمتد، والسكينة التي تحدق إليها الأبصار فلا ترتد، لم أر[1] منذ عقلت بسني، وعلقت خطابته بذهني، أحق منه في طريقة الوعظ والخطابة والامامة، ولا رأيت من شيوخنا من يتقدم أمامه، لا جرم انه استحوذ عليها. صناعة استوفى شرطها، واستكمل أسبابها، وحصل مع ارتفاع موانعها عنه آدابها، فبرز فيها، وعطف عليها، سابقاً لمن تقدم قبله، ومتبعا لمن أتى بعده، وكذلك هو في وعظه آية من آيات فاطره[2]، يقدم فيه بترسل وسكون فلا يعدو سمع حاضره، ثم ينتقل به في درجة الترغيب والترهيب، وترجّي جنة التنعيم وتخويف درك التعـــذيب، إلى أن يحصل في النفوس للخشية استعداد، وترد على القلوب من الخشوع امداد، فعند ذلك يلقي ما كان له في زويته اعداد[3]. فترتج له المسامع، وتنهل من خشية الله المدامع، ويلين لذكر الله / المنصت السامع، ويملأ بأصوات البكاء من لجأ إلى الله المسجد الجامع، ويعلق آماله – مما قبل الله من المثوبات – الراجي الطامع. زعم من رآه أنه لم يسمع من حضرة الجزائر إلى أم القرى[4] أخطب منه، ولا من يدانيه إلا واحداً من الأفاضل، لم يكن له بمماثل وإنما كان قريباً من أسلوبه، ومنبعثاً إلى مثل مطلوبه. وعلى هذا المهيع كانت مجالس وعظه، المتعطشة إلى الحكمة المتجافية الجنوب عن المضاجع، اعتلاقا بوراثة من خصه الله بالعصمة، وجعل بمبعثه الكريم علينا اكمال

---

١ في الأصل «لم أرى» والتصويب من قلمنا.

٢ فاطره: خالقه.

٣ اعداد: نائب فاعل لـ «يلقى».

٤ أم القرى: مكة المكرمة.

الدين واتمام النعمة، ولم تزل مواعيده الغاصـــة بأهل الخير تثبت فيها الصداقات، وتجزل فيها – ابتغاء لوجه الله – النفقات، وتباري إلى التماس الفوز بما يبذل في مرضات الله في طاعته والمنفقات، بقصيدة من مشطور الرجز، واوجز فيها وانجز :

يَـا سَيِّدِي مُحَمَّـدِ «بكْدَاشِ» نَجْلِ الأَمْجَدِ
عَلِي الْـوَلِيّ الرَّضِي الْهَاشِمِيّ الأَنْجَـدِ
قَـدْ سُدْتَ كُـلَّ مَلِكٍ وَفُقْتَـهُ بِالسُّؤْدَدِ / أ – ١٣٣
لَقَـدْ فَتَحْتَ وَهْرَاناً بِالعَسْكَرِ الْمُـؤَيَّـدِ
بِالنَّصْرِ وَالرُّعْـبِ مَعـاً وَكُلُّ سَيْفٍ مَـاجِـدِ
وَحَسَنٌ سُلْطَـانُهـمْ بَيْنَهُـمُ كَالأَسَـدِ
وَعَـدْتَنِي بِمَا أُحِبْ مِـنْ أَمَـلِي وَمَقْصِدِي
أَيْـنَ الَّـذِي وَعَدْتَنِي يَـا سَيِّدِي وَسَنَـدِي
أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدْ بَلَغْتُ كُـلَّ مَقْصِدِي
بِجَـاهِ سَيِّدِ الْـوَرَى الْهَاشِمِي مُحَمَّـدِ
صَلَّى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا مَا لاحَ نُورُ الْفَرْقَدِ
صَلاةً تَتْرَى أَبَـداً لا تَنْتَهِي بِعَـدَدِ
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ ذَوِي الْوَفَـا بِالْمَوْعِـدِ

المقامة الرابعة عشر

في استفتاح برج الاحمر[1] والجديد[2]،
وكيف ألقوا لأبي الفتوح المقاليد

ولما بصروا بفتح المدينة، تمزقت قلوبهم بضربة مكينة، وتشاوروا
أ - ١٣٤ فيما / بينهم، ورأوا أن الهلاك يفضي إليهم، لكنهم اظهروا التجلد فحاربوا
يوم الفتح، من المساء إلى الصبح، ثم مكثوا هنيئة من الزمان، وطلبوا
الأمان، جزعاً من الموت، وأسفاً على ما يفقدونه بطول المـــدة من القوت.
وخرج النصارى، وصاروا أسارى، نحو خمسمائة وستين، وألقوا أسلحتهم
ومفاتيحهم[3] في الحين، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم،
وأخذوا منهم ثأرهم، وحرس الوطن بوجود الأمير حرس الله جوانب علاه،
وأعانه وتولّاه فيما ولّاه، وحفظ عليه ما أولاه، كما جعل أوصاف الكمال
حلاه، وعرفه عوارف السعد الرائق متجلاه، وأدخر له الفتح المبين وسناه،

---

١ البرج الأحمر وبرج المرسى اختطهما أبو الحسن المريني سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م.

٢ أي البرج الجديد الذي اختطه الاسبان. قال عبد الرحمن الشقراني: «فبرج مرجاجو، وبرج رأس العين. والبرج الجديد. وغيرها كلها اختطها الكفار. ما عدا برج اليهودي فاختطه اليهودي، وبرج المرسى، والبرج الأحمر فاختطهما أبو الحسن المريني كما مر. لكن الكفار زادوا فيهما فاتسعت دائرتهما. وذكروا أن البرج الجديد أقامته كافرة بتسعين ألف ريال كبيرة، وذكروا أنها صدقة من مالها». (القول الأوسط في أخبار ما حلّ بالمغرب الأوسط. ص: ٣١. مخطوط خاص).

٣ في الأصل: «ومفاتحهم» بدون ياء بعد التاء، والتصويب من قلمنا.

والنصر الذاتي من غصون الرماح الذي جناه، والصنع الذي ينال به الدين الحنيف ما يتمناه، وكتب له فخراً عاطراً رياه، وسعداً مشيداً مبناه، واطلع من غرر الفتوح كل وافد يبهر محياه، وارد - مهمى تلقاه - روح الحياة بداه، وحياه. حتى يتم بهذا القطر نور الله الذي وعد باتمامه وان كرهه الكافر وأباه. ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[1]. ثم ترادفت بهذه / الفتوحات التهنئات، وفرعت بالبشائر الثنيات، من ذلك أ - ١٣٥ قول الأديب أبي عبد الله السيد محمد بن يوسف[2] :

مَـوْلايَ فَضْلُـكَ لِلْكُرُوبِ مُـفَـرِّجُ
وَبِتَـاجِ عِـزِّ اللهِ أَنْتَ مُتَـوَّجُ

وَجَمَعْتَ بَيْنَ مَكَـارِمٍ وَفَضَائِـلٍ
أَضْحَى بِهَا صُبْحُ الْهَنَا يَتَبَلَّجُ

وَسَعِدْتَ حَقًّا مُذْ صَعِدْتَ ذُرَى الْهُـدَى
فَبَـدَا لَنَـا مِنْهَا سَبِيلٌ وَمِنْهَـجُ

وَعَلَـوْتَ - فَضْلاً - مَتْنَ طَـوْدٍ بَـاذِخٍ
رَحْبِ الذُّرَى وَشَرَاؤُهُ[3] يَتَوَهَّـجُ

---

١ سورة : «الاعراف»، الآية ٤٣ .

٢ على وزن بحر الكامل الصحيح العروض والضرب. والمنشد كان جنديا في المعركة .

٣ الشراء: الناحية والجانب من الجبل ومن كل شيء .

وعَرَجْتَ مِعْرَاجَ الْكَمَالِ فَفُقْتَ مَنْ
فِيهِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَعْرُجُ
وَرَكِبْتَ لُجَّةَ بَحْرِ جُودٍ دَافِقٍ
أَنْهَارُ كَوْثَرِهِ لَنَا تَتَثَجَّجُ[1]
أَصْبَحْتَ في أُفُقِ السَّعَادَةِ طَالِعاً
أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ وَأَبْهَجُ
في ثَوْبِ تَأْيِيدٍ وَنَصْرٍ قَدْ ضَفَا
لَمَّا أَتَى حَادِي[2] الْمَسَرَّةِ يَعْمَجُ[3]
وَقَدِ امْتَطَيْتَ مَطِيَّةَ الْعَزْمِ الَّتِي
بِكْراً أَتَتْ في مَشْيِهَا تَتَخَزْلَجُ[4]
ثُمَّ اسْتَوَيْتَ عَلَى الْجَزَائِرِ قَائِماً
بِالْعَدْلِ وَالْمَوْلَى عَلَيْكَ يُفَرَّجُ
وَالدَّهْرُ قَدْ أَضْحَى لأَمْرِكَ طَائِعاً
أ - ١٣٦ وَبِكَ الْمَجَالِسُ لِلْوَرَى تَتَوَّجُ /
وَتَطَاوَلَ الْمَوْلَى عَلَيْكَ بِفَضْلِهِ
فَبِمَدْحِكَ الشُّعَرَاءُ قَدْ تَتَهَزَّجُ[5]

---

١ تتثجّج: تكثر وتتدفق .
٢ في ب: «حاد» بدون ياء .
٣ يعمج: يسرع في سيره .
٤ تتخزلج: تتبختر .
٥ تتهزج: ترنم بانشادها. وفي ب: «يتهزج» .

يَـا أَيُّهَا النِّحْرِيرُ وَالْمَلِكُ الَّذِي
كُلُّ الْمُلُوكِ أَمَامَـهُ تَتَـدَحْـرَجُ
سَبَقَتْ لَـكَ الْحُسْنَى بِمَـا قَدَّمْتَ مِنْ
فِعْلٍ جَمِيلٍ نُـورُهُ يَتَـدَرَّجُ
جَهَّزْتَ حَقًّا لِلْجِهَـادِ عَسَاكِراً
كُرْبُ الْوَرَى بِقُدُومِهِـمْ تَتَفَرَّجُ
مِنْ كُلِّ ضِرْغَامٍ بَصِيرٍ بِالْوَغَى
نَـارُ الْحُرُوبِ بِحَزْمِهِمْ تَتَـأَجَّـجُ
أَسَدٌ لَدَى الْهَيْجَاءِ عِنْدَ لِقَائِهِـمْ
فِيهِمْ قُلُـوبُ ذَوِي النُّهَى تُسْتَبْهَـجُ
كَمْ صَادَمُوا فِي الْحَرْبِ أَقْيَالَ[1] الْعِـدَا
وَسَعَوْا بِمَيْـدَانِ الْوَغَى وَتَدَرَّجُـوا
كَمْ قَاتَلُـوا الأَبْطَـالَ يَوْمَ الْمُلْتَقَى
حَتَّى مَحَوْا دَاجِي الضَّـلالِ وَفَـرَّجُوا
وَحَبَاهُـمُ الْمَوْلَى بِنَصْرٍ عِنْدَمَـا
رَكِبُوا الْمَطَايَـا لِلْجِهَـادِ وَأَسْرَجُوا

---

١ الاقيال: جمع قيل، وهو الملك .

حَسَنٌ خَلِيفَتك[1] الْهُمَامُ يَقُودُهُمْ
وَالْعِيسُ[2] مَـا بَيْنَ الأَكَامِ[3] تُعَجْعِـجُ[4]
حَتَّى أَتَوْا حَقًّا لِوَهْرَانَ الَّـتِى
أَمْـوَاجُ[5] بَحْرِ ظِلالِهِمْ تَتَمَوَّجُ
نَـزَلُـوا بِهَا وَبِحَيِّهَا قَـدْ خَيَّمُوا
وَالْخَيْلُ تَسْعَى وَالْجِيَادُ تُخَزْلَجُ / أ - ١٣٧
قَـوْمٌ مِـنَ الْمَوْلَى الْكَرِيمِ - بِفَضْلِهِ -
فَـرَجٌ لَهُـمْ فِي كُلِّ ضيقٍ مَخْـرَجُ
قَـدْ حَاصَرُوا أَهْـلَ الضَّلالِ لَيَالِيـاً
فِيهَا[6] وَأَلْسِنَةُ الْعِـدَا تَتَلَجْلَجُ
فَـرَّتْ جُيُوشُ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُمْ
لَمَّا رَأَوْا بَرْقَ الْهُدَى يَتَضَرَّجُ
وَرَمَاهُمُ أَهْلُ الْهُدَى بِصَوَاعِقٍ
فَتُخُرِّمُوا[7] فِيهَا وَمِنْهَا أُخْرِجُوا

---

١ هو أوزن حسن صهره ووزيره .
٢ العيس: الواحد أعيس والواحدة عيساء، وهي الابل البيض، يشوب بياضها قليل من السواد .
٣ الاكام: جمع اكمة، وهو الموضع الذي أكثر ارتفاعاً مما حوله .
٤ تعجعج: تبالغ في صياحها .
٥ في ب: «أموات» .
٦ فيها: الضمير يعود على مدينة وهران .
٧ فتخرموا: هلكوا، وتشتتوا .

وَسَقَوْهُمْ كَأْسَ الْمَنَايَا وَالـرَّدَى
كَأْساً بِهَا سُمُّ[1] الأَرَاقِمِ يُمْزَجُ
فَاسْتَفْتَحُوا مِنْهَا الْحُصُونَ بِعَزْمِهِـمْ
وَمِـنَ الْمَدِينَةِ لِلْحُصُونِ عَـرَّجُـوا
دَارَتْ عَلَى أَهْلِ الضَّلالِ دَوَائِـرٌ
شَتَّى وَهَمٌّ - قَـطُّ - لا يَتَفَـرَّجُ
ضُرِبْتَ بِبَارِقَـةِ السُّيُوفِ رِقَابُهُمْ
وَالرُّمْحُ فِيهِمْ وَالأَسِنَّةُ تُـولَـجُ
جَعَلُوا لَنَـا فَيْئاً وَرَدُّوا[2] كَيْـدَهُـمْ
وَاللهُ شَتَّتَ شَمْلَهُمْ فَتَدَحْرَجُوا
بِالذُّلِّ بَاءُوا وَالْهَزِيمَةِ عِنْدَمَـا
حَمِيَ الْوَطِيسُ وَنَـارُهُ تَتَأَجَّـجُ
لَمْ يَبْقَ مِـنْ أَهْلِ الضَّلالَـةِ مُشْرِكٌ
إِلَّا أَتَى مِمَّا أَصَابَهُ يَنْشُجُ[3] / أ - ١٣٨
قَدْ جَـدَّلُوا طَعْناً وَضَرْباً إِذْ جَثَوْا[4]
يَـوْمَ اللِّقَـاءِ صَحِيحُهُمْ وَالْمَخْـرَجُ

---

١ في ب: «شمس» .
٢ في ب: «ورهن» .
٣ ينشج: يغص بالبكاء من غير انتحاب، والمراد به - هنا - يبكي وينوح .
٤ في ب: «جشوا» .

وَأَفْتَكَّهَا[1] أَهْلُ الْهِدَايَةِ مِنْهُمْ
بِالسَّيْفِ وَانْخَذَلَ الصَّحِيحُ الأَعْرَجُ
عَادَتْ إلى الإسْلامِ دَاراً مِثْلَمَا
كَانَتْ فَصَارَ أَرِيجُهَا يَتَأَرَّجُ
أَضْحَى مُؤَذِّنُهَا يُهَلِّل تَـارَةً
فِيهَا وَفِيهَا تَـارَةً يَتَهَـزَّجُ
وَقِـرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي أَرْجَائِهَـا
مِنْهَا نَتَائِـجُ الاسْتِقَامَةِ تَنْتُـجُ
وَالدِّينُ أَصْبَحَ قَيِّماً وَكَفَى بِهَا
مِـنْ نِعْمَةٍ عَنَّا الْكُرُوبَ تُفَـرِّجُ
نَصْرٌ إلاهِيٌّ مِـنَ اللهِ الَّـذِي
مِنْ مَيِّتٍ حَيًّا صَحِيحاً يُخْرِجُ
نَاهِيكَ مَـا مَـنَّ الإلَـهُ بِمَنِّهِ
وَأَتَاكَ حَادِي نَصْرِهِ يَتَـدَرَّجُ
خُـذْهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّـداً
بِكْراً أَتَتْكَ عَبِيرُهَـا يَتَـوَهَّـجُ
وَتُقَبِّلُ الْكَفَّيْنِ مِنْـكَ وَلَـمْ تَـزَلْ
بِالأَمْنِ، صُبْحُ سُرُورِهَا يَتَبَلَّـجُ

---

١ وافتكها: الضمير يعود على مدينة وهران .

المقامة الخامسة عشر

في حصر حصن المرسي[1]،

وكيف افتتحه المسلمون وزال باختتامه الاسى

ولما فرّ / من المدينة الكفرة، وزعموا أنهم ناؤوا عن الذل والمحقرة، أ - ١٣٩
وأنهم إذا تفاقم عليهم الأمر، يفرون في البحر، فذهبت السفن[2] من
عندنا تحاصرهم، والمسلمون في البر تطاردهم، وهذا الحصن عظيم البنا[3]،
كأنه مدينة للسكنى، ولم يأت[4] الوصول إليه إلا على طريق واحدة،
والأمم تذهب إليه وتأتي بائدة، وبازائه حصن صغير للحرب أعدوه،
فتعلقت به المسلمون وفتحوه، وتحير المسلمون لطول مكثه، حتى ايسوا
من فتحه، فأمر أبو الفتوح باللغم أن يحفر، من جهة البحر، ولما أطلقوه
مكثت الظلماء هنيئاً، فانقشعت عن مثل مرأى الظمآن للسراب ﴿حَتَّى
إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾[5]. وكذلك الثاني والثالث وفي الرابع[6]

---

١ حصن المرسى: هو برج المرسى الذي تقدم الكلام عليه مع بعض الأبراج في تعاليقنا.

٢ في ب: «السفون».

٣ البنا: بحذف همزة المد لاقتضاء وزن السجع.

٤ في ب: «يتأتى».

٥ هذا اقتباس من قوله تعالى في سورة «النور» الآية ٣٩: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ...﴾.

٦ أي: في اللغم الرابع، قال الجامعي: «يقوم اللغم الواحد بمائة قنطار من البارود، وربما لا يفيد شيئاً، فيعاد مرة وأخرى وثالثة ورابعة، ورأيت في بعض دفاتر الباي أنه خرج على يد خليفته القائد مصطفى المسراتي نحو الثلاثمائة آلاف قنطار من البارود». الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحطفاوي. ص: ١٨).

استفتحوه عنوة بما فيه من البضائع. وعدد النصارى الذين فيه ثلاثة آلاف من المتمردين، ولكن هلكوا بطعام الغسلين[1]. فكانت هذه فتوحات منظومة العقود، معقودة النظام، وآلاء دائمة الاتصال، متصلة الدوام،

أ - ١٤٠ وسعودا معلومة الوضوح، / واضحة الاعلام، ونصراً يرتاح به قد القناة، ويبسم لها ثغر الحسام، وصنائع تبهر حلاها على لبات المنن الجسام، ويروق متجلاها في غرر النعم الوسام، ولا لقي المسلمون إلا ما وعدهم[2] الله تعالى، من الائه التي تترادف وتتوالى، والخير الذي انجزت وعوده، والنصر الذي صادفت بروقه ورعوده، والصنع الذي تألق في أفق الدين الحنيف سعوده، والفتح الذي تفتح به زهـــره وأورق عوده، جعلنا الله ممن استمر في مقام الشكر قيامه وقعوده، وسيدنا - نصره الله - كلما اعتلت قوى ادراكه جاءه من الله الامداد يعوده، ونحن من السرور بما يسنيه[3] الله له بحيث لا يلبس حلة فخر إلا لبسنا من الفرح مثالها، ولا يتحلى غرة فتح إلا استجلينا جمالها، ولا ينال سبب نعمة إلا حمدنا منالها، نشرب من ذلك فضل شربه، ونرده عقب ورده، ونمت إلى الله بمثل

أ - ١٤١ متات[4] مجده. فكل ما امتد لدولته العلية ظل انفسحت آمالنا وامتدت / وأدركنا سرور، بما كان من الظهور، الذي خفقت علينا رايته، والنصر الذي أنزل إلينا آيته، والفخر الذي ادخر لملك سيدنا غايته. وان عدوّنا

---

١ الغسلين: ما يسيل من جلود أهل النار ولحومهم ودمائهم .

٢ في ب: «عوذهم» .

٣ يسنيه له: يزيد في رفعته ويعلي من شأنه .

٤ المتات: ما يتقرب به إلى الإنسان كالحرمة والقرابة .

لما ضاقت عليه المسالك، وثغرت[1] أفواهها إليه المهالك، أقدم إقدام من استعجل الحمام، ولم تمطل به الأيام، وأمل انتهـاز فرصة كانت وقاية الله من دونها، واغتنام غرة كان مدد الحزم بعض عيونها، وجيء[2] بأبطال من بعد الاقدام ما نكصت ، وأقدام تثبت في موقف الهول واستقرت، وأجناد عاهدت الله فوفت و برت. ولما عقدت[3] الحرب حباها[4] ، ورجمت المنون الكاذبة في عقباها، فدى من دونه من الخليقة، بل لنفس الحرية بالمجد الخليقة، واقتدى بانصار رسول الله ﷺ في يوم الحديقة، فانهم رضي الله عنهم ارتابوا بأوشابهم[5] ، وعلوا على أديانهم وأحسابهم، تبوأوا من الصبر حصونا، ونادى أمراؤهم اخلصونا، فخلصت منهم كتيبة كانت الحملات لا تهزها، والأهوال لا تستفزها، حتى / علت أيديها وحيّعل أ - ١٤٢ بالفتح القريب مناديها. فما كانت إلا أن اطلعت شمس غرته يحملها من الطرف العتيق فلك، وخفق منصور علمه يتبعه ملك. ويتقدمه ملك، ونهد موكبه يهديه من الراي[6] صبح ويحجبه من القتام حلك، وتراكمت من النقع جون[7] السحائب، وماجت على الأرض فحول الكتائب، وضحكت النصول في اليوم العبوس، ودارت بين الرجال للاجال الكؤوس، وأخفرت حرمات المغافر ، وتجلت وقاح الحرب بالحد السافر ، واشتبهت

---

١ في ب: «ثغرت» .

٢ في ب: «اوفى» .

٣ في ب: «عقد» .

٤ حباها: جمع حبوة بالفتح والضم في أوله، وسكون ثانيه كل ما يحتبى به يشتمل به من ثوب أو عمامة .

٥ الاوشاب من الناس: أخلاطهم وأراذلهم .

٦ الراي: جمع راية وهي العلامة المنصوبة لكي يراها الناس .

٧ الجون: من أسماء الاضداد للونين الأبيض والأسود، وهو المراد هنا .

الطرق، ورمدت من الاسنة العيون الزرق، وأجرى الله مقام ساداتنا من النصر على عادته ، وأثبت في درجات ذلك لاجتماع سهم سعادته، فكذبت من مناوئهم العزيمة، وصدقت عليهم الهزيمة، وادبر ادبار أمسه ومضى وهمّه نجاة نفسه، وانقلب مغلوبا مغلولا، يرى البرق سيفا مسلولا، ويحسب السحاب[1] خيولا، ويظن حمرة الشفق دما مطلولا، وخلف أنصاره حصيدا، وديارهم طلولا، ثم ثنوا الاعنة وللنصر لواء بكل ثنية، وعلى كل
أ - ١٤٣ راية عناية ربانية، والوجوه بادية السفور، / والخيل دامية النحور، والسيوف موردة الخدود، والرماح مختصرة القدود، ومحابر الكنائن خاوية من أقلامها، وسواد السوابغ[2] خالية بعد ازدحامها. فالفتح قد فتح لكم بابه، والنصر خولكم كتائبه، وفي يدكم كتابه، فلم نكد نغطي السرور من الابتهاج والارتياح، والشكر لله على فوز القداح، وتأتّى الاقتراح، وقلنا هذا هو النبأ الذي ارتقبنا طلوع البشائر من ثنايا تلاعه، وأجزنا تلقي الركبان لرخصة استطلاعه، هذا هو الصنع السني، والفتح الهني، والنصر المثنى، والعز المتمنى، «نصر من الله وفتح قريب»، وتكييف لملك الغرب غريب، هذا هو العز الذي يخطر على وهم، هذا هو الفجر الذي أصاب قنيص النصر والفتح بسهم، فتح وهران، وما أدراك ما وهران، قاعدة للملك، وواصلة السلك، وقلادة النحر، وحاضرة البر والبحر، أسندت إلى التلّ ظهراً، وأفصحت بالفخر جهرا، وأصبحت للغرب بابا. وللقفول ركابا، ولسهام الأمل هدفا، ولدر العلماء صدفا، حسناء تسبي العقول بين التقنع

---

١ في ب: «الشعاب».

٢ السوابغ: جمع سابغة، وهي الدرع الواسعة.

والسفور، والاطماع والنفور، ولبست حلة الجناب الخصيب، وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأوفى نصيب، وقد عنّ لنا أن نختم أخبار هذه / أ - ١٤٤ الفتوحات السنية، وأيامها الزكية، بارجوزة[1] مكملة لهـا، مذكرة لما عنه القلب لهى، والقلم سها، نظمها مفتي تلمسان، المشار إليه بالبنان، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي، كان الله حيث يأوي. وهو رجل تقلد بالحضرة المذكورة الخطابة والتكلم في الاقراء والفتيا، وبلغ من رياسة الديانة إلى الدرجة العليا، ووصل من اقبال القلوب عليه وميلها إليه إلى الغاية القصيا، فرأس بها في الفقه واعتمد قوله في العلم، وشوور في نوازل الحكم، وقعد لتدريس الطلبة، وقصد في أيامه المعتادة للوعظ، وكتب على أسئلة الفتيا مغتبطاً بهذا الرسم، متلقياً وارداته المختلفة الأغراض بالطلاقة والبشر، وهو من أهل الصلاح، والسمت الحسن، / والتحلق، والخصوصية، والاقتصاد، والتحفظ، والورع. وقد ضرب - مع ذلك - في الأدب بسهمه، ومما اشتهر عنه من نظمه، الارجوزة المشار إليها، المنبه عليها. وهي :

لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِالدِّينِ جِـــلا[2]
عَن أَرْضِ وَهْرَانَ بَـني الكُفرِ جَلا[3]

---

١ تحتوي هذه الأرجوزة على ٧٢ بيتاً وخمسة فصول، الفصل الأول في ذكر دولة محمد بكداش، الفصل الثاني في وصف تجهيز الجيش وتوجهه إلى وهران، الفصل الثالث في كيفية محاصرة المدينة وبروجها، الفصل الرابع في وصف ما آل إليه المسلمون الفاتحون، والاسبان المطرودون وما افترقت عليه كلا الطائفتين، الفصل الخامس في الثناء على الله والصلاة على رسوله. وقد نظم الجامعي - شارح الأرجوزة - خمسة أبيات من نفس البحر، وأضافها إلى الأرجوزة، وقد أثبتناها في تعاليقنا ابان مناسبة ذكرها.

٢ الجلا - بكسر الجيم -: الظهور والوضوح.

٣ جلا: أي أخرجهم عن أرض وهران.

أَحَـادَ مَنْ حَادَ عَنِ الْخلافَهْ
فَاسْتَنْهَضَ فَتىً[١] لَهَـا خـلافَـهْ /
أَحَلَّـهُ مَحَـلَّ مَـنْ أَقَامَـهُ[٢]
وَلِلْقَضَاءِ عِنْـدَهُ أَقَـامَـهُ
فَكَانَ ، خَيْـرَةً وَخَيْراً وَمُـنَـى
وَجَلْبَ نَفْـعٍ دَائِمٍ وَمَـأْمَنَا[٣]
وَمِـنْ عَظِيمِ لُطْفِـهِ بِالنَّـاسِ
سِرٌّ خَفِي عَنْ ذَاكِرٍ وَالنَّاسِي
فَلَمْ يَكُنْ فِيـهِ مَجَالٌ لِلْوَرَى
وَإِنْ تُسَلْ عَنْ شَرْحِهِ قُلْ لا مِـرَا[٤]
هُوَ[٥] دَوْلَـةُ الْحَبْرِ مُحَمَّدْ «بَكْدَشِ»
«تَارِيخُهَا طِبْقَ مُحَمَّدْ بَكْدَشِ»[٦]
جَاءَتْ بِعِـزٍّ وَسَنَـاءٍ وَسَنَـا
وَالْتَذَّتِ الأَعْيُنُ فِيهَا وَسَنَا / [٧]

---

١ الفتى: هو الداي محمد بكداش .
٢ أقامه: أبعده، وأنزله عن الكرسي . والمبعد هو الداي حسين خوجه الشريف .
٣ أي بدون تطاول ولا امتنان .
٤ لا مراه: لا جدال فيه .
٥ هو: بإسكان الواو .
٦ أي: تاريخ توليته كان سنة ١١١٨ هـ - ١٧٠٧ م بحساب الجمل على طريقة المغاربة .
٧ الوسن: ثقل النوم والنعاس .

وَهْـوَ لَهَا كُفْءٌ وَظِلٌّ لِلأَنَـامْ
فَكَمْ أَرَاحَ ذَا عَنَـاً وَكَمْ أَنَامْ[1]
وَكَمْ أَتَى مِن قَبْلِـهِ الْجَزَائِرَا
دَايٌ وَدَهْقَانٌ[2] كَمَنْ جَا زَائِرَا
فَلَمْ يَكُنْ لِلْخَلْقِ فِيهِ رَاحَـهْ
وَلَمْ يَسَلْ عَنْ غَيرِ مَا بِالرَّاحَهْ[3]
وَلَا يُبَـالِي فِي الأَنَـامِ بِفَسَادْ
وَقَلَّ مَنْ رَامَ ازْدِرَا[4] بِهِمْ فَسَادْ
للهِ دَهْرٌ مُتْحِـفٌ لَنَـا بِـهِ
إِذْ ذَادَ[5] شَخْصاً لَمْ يَكُنْ بِنَابِهِ[6]
أَبْـدَى لَنَـا غُرَّتَـهُ الْوَقَّـادَهْ
لَهَا الصِّعَابُ فِي الدُّجَـا مُنْقَـادَهْ / أ - ١٤٦
فَاسْتَكَنَتْ لَـهُ الْقُلُوبُ عِنْـدَمَا
غَيَّضَ مِنْ أَجْفَانِهِنَّ عَنْدَمَا[7]

---

١ العناء: التعب والمشقة، وحذفت همزته لاقتضاء الوزن ذلك .

٢ الداي: كلمة تركية معناها: الخال والرئيس، «الدهقان»: رئيس الاقليم والماهر من الرجال والكلمة فارسية، وكذلك كلمة «خاقان»: لقب لمن يتولى الترك، و «قيصر» لقب لمن يتولى الروم «وكسرى» لقب لمن يتولى الفرس، و «النجاشي» لقب لمن يتولى الحبشة، و «تبع» لقب لمن يتولى اليمن .

٣ أي عن غير مال يكون براحة كفه .

٤ ازدرا: ازدراء وحذفت همزته للوزن .

٥ ذاد : طرد .

٦ بنابه: اسم فاعل من نبه بضم الباء .

٧ غيض: حبس ونقص، والعندم بفتح أوله: نبت أحمر كنى به عن جفاف الدموع .

بَلْ أَمَّـنْ الرَّوْعَـةَ بَعْدَ أَنْ غَـدَتْ
يَـدُ الْعِدَا طُولى عَلَيْنَا وَعَدَتْ
فَكَانَ فِيهِ الأَمْنُ بَعْـدَ الْخَوْفِ
وَالنَّصْرُ لِلسُّنَّةِ بَعْـد الْحَيْـفِ
إِذْ جَمَعَ الرَّأْيَ بِعَـزْمٍ حَـازِمْ
عَلَى الْجِهَادِ لَمْ يَعُقْهُ جَازِمْ[1]
فَجَهَّزَ جَيْشاً حَمَى الدِّينَ فَسَادْ
إِذْ طَهَّرَتْ بِـهِ بِقَاعٌ مِـنْ فَسَادْ[2]
فَنَهَضُوا للهِ حَـزْمَـاً وَأَعَـدْ
مَعَهُـمُ آلات حَـرْبٍ لا تُعَـدْ
مِنْ نَحْوِ بَارُودٍ وَكَمْ مِـنْ مَـدْفَعِ
وَمَنْجَنِيقٍ مَالَـهُ مِنْ مَدْفَعِ[3]
مُؤَمَّرٌ صِهْرَهُ «أَوْزَنْ حَسَنَـا»
قَرْماً[4] رِضىً فَسَارَ سَيْراً حَسَنَـا

---

١ جازم: قاطع ومثبط .
٢ فساد: نال الرفعة والسؤدد .
٣ مدفع : مصدر ميمي ، أي : دفع .
٤ الأصل في القرم: الفحل من الابل، واستعير للسيد عن طريق التشبيه، وهو المراد به – هنا – .

وَالْحَـازِمَ الْعَارِفَ بَايَ مُصْطَفَى[1]
وَهُوَ مِنَ الأَقْيَالِ[2] فَايِقٌ[3] مُصْطَفَى
ثُمَّتَ نَادَى بِالْجِهَادِ فِي الأَفَـاقْ
فَأَعْزَمَ الْحَازِمَ وَالْغُفْلَ أَفَـاقْ
فَـسَارَعَ النَّاسُ لَهُ إِذْ طَلَبَـهْ[4]
لا سِيَّمَا جَمَاعَـةٌ مِنْ طَلَبَـهْ[5]
فَنَزَلُوا الأَوَّلَ مِـنْ رَبِيـع
النَّبَـوِي مُنْسَلَـخَ الرَّبِيـعِ = أ - ١٤٧
فِي عَسْكَرٍ بُيُوتُهُ عُـدَّ (مَقَرّ[6])
وَتَرَكُوا الأَثْقَـالَ فِيهِ فِي مَقَرّ

---

١ باي مصطفى: هو باي وهران مصطفى أبو الشلاغم قال المزاري: «وأول بايات وهران مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف المسراتي الذي جمع له في التولية بين الايالة الشرقية والغربية تول بايا على مازونة وتلمسان، فهو أول من جمعت له الايالة الغربية بتمامها سنة ثمان وتسعين وألف، ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م ونقل كرسي المملكة من مازونة وتلمسان معا للقلعة (قلعة بني راشد)، ثم للمعسكر وجعلها قاعدة لكونها وسطا بين مازونة وبين تلمسان. ولما غزا وهران وأمده الباشا السيد محمد بكداش بالجيوش العديدة - لنظر وزيره أوزن حسن - وفتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال سنة تسع ومائة وألف، ١١١٩ هـ ٢٠ جانفي (١٧٠٨ م) ونقل كرسي المملكة من المعسكر إلى وهران فسكنها بأهله وجعلها قاعدة ملكه. (المزاري. طلوع سعد السعود. ص: ١٠٣).

٢ الاقيال: جمع قيل وهو الرئيس والملك.

٣ الفايق: كلمة تركية، معناها كبير العصافير. والعصفور: هو الشارب الطويل. وكأنه يشير إلى تلقيبه «بأبي الشلاغم».

٤ طلبه: الضمير يعود على الجهاد، أي: طلب مصطفى أبو الشلاغم للجهاد.

٥ قال الجامعي: «وكان عدد الطلبة المجاهدين من الألف إلى السبعمائة، وكانت ارزاقهم وسلاحهم من أرزاق العسكر وخزانة الدولة. وكان يرأسهم أبو عبد الله محمد الموفق التلمساني».
(الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ٥٣).

٦ أي: ٣٤٠ قسطاط بحساب الجمل على طريقة المغاربة، وفي كل قسطاط ٢٥ جنديا.

وَقَصَدُوا حُصُونَهَا مِنْ كُلِّ شَقْ
بِزَمَنٍ تَارِيخُهُ (يَهُدُّ شَـقْ)[1]
فَأَجْمَـعَ الْجَيْشُ بِذَاكَ الثَّغْـرِ
جَمْعاً كَبُنْيَانٍ رَسَى أَوْ ثَغْرِ
فَحَاصَرُوا الْبِـلادَ وَالأُبَرَاجَـا
مُرَاصِدِينَ حَوْلَهَـا مَنْ رَاجَـا
فَضَيَّقُوا مَا كَانَ مِنْهَا وَاسِعَا
إِذ رَامَ كُلٌّ كُلَّ حِصْنٍ وَسَعَى
وَنُصِبَتْ مِنْ حَوْلِهَـا مَـدَافِـعْ
لِلرَّمْيِ كُـلُّ أَسَـدٍ مُـدافِـعْ
وَمُرْعِـدَاتٌ كُورُهَا فِي الْجَـوِ
كَنَجْمِ رَجْمٍ مِـنْ سَمَاءٍ يَهْـوِي
تُلْمَحُ مِنْ خِـلالِهَـا الْبَوَارِقْ
وَوَقْعُهَا أَمْضَى مِـنَ الصَّوَاعِقْ
فَأَجَّجُوا نَارَ الْحُرُوبِ سَرْمَـدَا
وَتَابَعُوهَا بِاعْتِنَـا طُولَ الْمَـدَى
فَنَثَرُوا مَا نَظَمُوا مِـنْ عِقْدِهَـا[2]
وَنَقَضُوا مَـا أَبْرَمُوا مِـنْ عَقْـدِهَا[3]

---

١ أي: كان النزول سنة ١١١٩ هـ/١٧٠٧ م على طريقة المغاربة بحساب الجمل .
٢ عقدها: بكسر أوله وسكونْ ثانيه .
٣ عقدها: بفتح اوله وسكون ثانيه .

فَكَانَ بَاكُورَةَ ذَاكَ الْفَتْـــحِ
بُـرْجُ الْعُيُونِ ضَامِناً لِلنُّجْـحِ /
عَاشِرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الأُخْرَى
يَـومَ الثُّـلاثَاءِ مَسَاءً قَسْـرَا
ثُمَّتْ حَصِينُهَا الَّـذِي تَقَنَّعَـا
بِالسُّحْبِ وَاغْتَـالَ الأُسُودَ وَنَعَا[1]
قَلْعَةُ مَرْجَاجُو الَّتِي لَـو قُلِّعَتْ
شَوَامِخُ الأَطْـوَادِ مَا تَضَعْضَعَتْ
وَإِذْ دَعَـاهَـا اللهُ لِلإِسْـلامِ
أَلْقَتْ لَـهُ الْقِيَادَ بِاسْتِسْلامِ
سَابِـعَ عِشْرِينَ مِنَ الْمَذْكُـورِ
فَأَصْبَحَتْ تَرْمِي الْعِـدَا بِالْكُورِ
وَانْحَدَرُوا لِبُرْجِ «بَنْ زَهْوَ» وَقَـدْ
حَلَّ بِهِ مِنْ نَارِ حَـرْبٍ قَدْ وَقَـدْ[2]
ظَنَّا بِهِ وَظَنُّهُمْ مَانِعُهُـمْ[3]
فَكَانَ مِنْ حَيَاتِهِم[4] مَانِعَهُمْ
سُقُوا بِهِ مَرَارَةً وَكَمْ حَلَتْ
عَيْشَتُهُمْ بِهِ دُهُوراً قَدْ خَلَتْ

---

١ نعا : صات .

٢ وقد : اشتعل .

٣ مانعهم : أي ظنوا أن برج «بن زهو» مانعهم .

٤ في ب : «من فرارهم» .

فَأَصْبَحُوا خَامِسَ شَعْبَانَ بِهِ
كَقَتْلِ شَعْبَانَ[1] نَصِيحَ رَبِّهِ
مِنْ بَعْدِ لُغْمٍ هَدَّ جُلَّ حَرْفِهِ
وَحَصْرُهُمْ بِهِ بِنَقْطِ حَرْفِهِ[2]
ثُمَّ أَتَى الْجَيْشُ لِوَهْرَانَ وَلَمْ
يَكُ مُقَاتِلٌ بِهَا إِلَّا أَلَمْ
وَبِـ «الْجَدِيدِ» بُرْجِهَا الْحَامِي لَهَا
لَمْ تُغْنِ آلاتٌ بِهِ حَامِلَهَا /
فَفُتِحَا يَوْمَ الْعَرُوبَةِ مَعَا[3]
فَتْحاً أُرَى فِي الأَنْدَلُسِ مَطْمَعَا[4]
بِسَادِسِ الْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالِ
أَكْرِمْ بِذَاكَ الْعِيدِ بِالتَّوَالِ
وَافْتُتِحَ «الأَحْمَرُ» فِي الْغَدِ وَقَدْ
رَأَوْا لَظَى لَهِيبِهِ[5] قَدِ اتَّقَدْ

---

١ شعبان: هو أحد بايات الايالة الغربية، تولى سنة ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩ م وقتل في غزوة قام بها ضد الاسبان الذين بوهران سنة ١٠٩٨ هـ / ١٦٨٧ م . وقد تقدم تفصيل ذلك .

٢ يريد الناظم بـ «حرفه» الحرف الأول من لفظه «برج مرجاجو» وهو الباء التي تساوي اثنين بحساب الجمل، فينتج المعنى أنهم بقوا محاصرين «برج مرجاجو» لمدة يومين .

٣ يوم العروبة: يوم الجمعة .

٤ أي: ان فتح مدينة وهران أطمع المسلمين في فتح الأندلس مرة ثانية .

٥ الأحمر: أي: البرج الأحمر .

٦ في ب: «رأوا لظى مدة ...» .

وَذِي خُصُونٌ عَنْهُمُ لَمْ تُغْنِ
وَعَدٌّ مَأْسُورٍ بِهَا «لَمْ يُغْنِ[٣]»
وَانْتَقَلُوا مِنْ بَعْدِهَا لِلْمَرْسَى
فَأَصْبَحَ الْجَيْشُ عَلَيْهَا مُرْسَى
وَاشْتَدَّتِ الْحَرْبُ عَلَيْهَا وَاحْتَمَوْا
بِالْبَحْرِ وَالطَّوْدِ الَّذِي فِيهِ رَسَوْا
فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ اللهِ وَزَرْ
بَلْ مُكِّنَ الإِسْلامُ مِنْهُمْ وَنَصَرْ
فَفُتِحَتْ مِنْ بَعْدِ حَرْقٍ وَعَنَا
وَرَمْيِ مُرْعِدَاتِ عِلْجٍ[٤] بِاعْتِنَا
وَلَغَمٍ[٥] بِبُرْجِهَا قَدْ شَقَّهُ
وَكَانَ ذَاكَ عَامَ «هَدُّوا شَقَّهُ[٦]»
ثَالِثَ عَاشِرٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ
لا جَعَلَ اللهُ بِهَا مِنْ مُحْرِمِ
وَانْكَسَرَتْ شَوْكَةُ مَنْ بِالْكُفْرِ
يَلُوذُ أَوْ لَهُ اعْتَنَى بِأَمْرِ[٧]

---

٣ أي: وكان عدد المأسورين بتلك الأبراج ١٠٣٠ أسيراً بحساب الجمل على طريقة المغاربة .

٤ العلج: الكافر من العجم . ويراد به - هنا - الكفار مطلقا . والمرعدات: المدافع . والبنادق . وكل شيء له صوت مرعد، وأضيفت للعلج، لأنه صانعها .

٥ لغم: بتحريك الغين للوزن، واللغم بضم أوله وسكون ثانيه، كلمة تركية الأصل .

٦ اشارة إلى تاريخ الفتح بحساب الجمل على طريقة المغاربة، وهو سنة ١١١٩ هـ / ١٧٠٨ م . باسقاط ألف «هدوا» .

٧ فيه اشارة إلى قبائل بني عامر، الذين كانوا يلوذون بالكفار ويعتنون بشؤونهم .

وَمُزِّقُوا تَمْزِيقَ آلاءِ سَبَا
وَأَصْبَحُوا مَا بَيْنَ قَتْلٍ وَسَبَا /
وَأُخْرِجُوا بِالذُّلِّ لِلإِسَارِ
فِي عَدَدٍ «كُفُرٌّ صَغَارٌ»[٨] سَارِي
وَانْقَرَضَتْ دَوْلَةُ ذِي الْفُسَّاقِ
وَالْمُلْكُ للهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي
وَانْتَصَفَ الإِسْلامُ مِنْهُمْ وَغَدَا
بَيْنَ قَتِيلٍ ذِي حَيَاةٍ أَبَدَا
وَذِي حَيَاةٍ لا يَزَالُ لِلْعِدَا
سَهْماً بِكُلِّ مَرْصَدٍ مُسَدَّدَا
للهِ مَنْ قَدْ صَالَ مِنْهُمْ فِي الثَّرَا[١]
وَمَنْ أَبَاحَ النَّفْسَ مِنْهُمْ وَالثَّرَى[٢]
وَالْحَمْدُ للهِ عَلى إِعْلائِهِ
كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فِي مَلائِهِ

---

٨ أي: وكان عدد الأسارى ١٤٦١ نسمة بحساب الجمل على طريق المغاربة

١ الثراء: التراب ويراد به - هنا - الكرة الأرضية، وحذفت منه الهمزة لضرورة الوزن .

٢ الثرى: المال الكثير، ويطلق على الخير عموماً . وقد نظم عبد الرحمن الجامعي تلميذ صاحب الأرجوزة خمسة أبيات وأضافها لها بعد هذا البيت، وهي :

وَكَانَ ذَا فِي دَوْلَةِ الإِمَامِ ... فَخْرِ الْمُلُوكِ ضَابِطِ الإِسْلامِ
مَلِكِ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَالْيَمَنْ ... وَالشَّامِ وَالْبَحْرَيْنِ خَيْرِ مُؤْتَمَنْ
أَبِي الْفُتُوحَاتِ الَّتِي لَمْ تُحْصَرْ ... كَادَتْ تَقُضُّ مُلْكَ آلِ قَيْصَرْ

نَمَّقَ ذَا[٣] مَنْ لِلإِلَـهِ يَأْوِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَـدَ الْحَلْفَاوِي
مُصَلِّياً عَلَى الَّذِي بِـهِ الْهُدَى
أَوْضَحَهَا اللهُ إِلَيْنَـا وَهَـدَى
مُحَمَّدٌ سَيِّدُ كُـلِّ ضَارِبِ
أَوْ طَاعِـنٍ مِـنْ قَاطِنٍ أَوْ ضَارِبِ[٤]
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الأَنْجَـادِ
أُسْدُ الشَّرَى فِي الْحَقِّ وَالْجِهَادِ
مَا نَصَرَ اللهُ الْحَنِيفِيَّ عَلَى
أَعْـدَائِـهِ وَفَاقَ فَضْلاً وَعَلا

وقد شرح هذه الارجوزة فكمل أخبارها، وأظهر اضمارها، العالم النحرير، البليغ / الشهير، السيد محمد عبد الرحمن المغربي المذكور أ - ١٥١ قبل. ومما صدر عنه[١] عنه في التهنئة بهذه الفتوحات قوله - وهو من أبدع المنظومات[٢] - .

أَحْمَدَ خَاقَانَ الْهُمَامِ الْمُرْتَضَى سَيْفِ الإِلَهِ فِي الأَعَادِي مُنْتَضَى
مَا زَالَ تَحْتَ رَايَـةِ الإِقْبَـالِ وَالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ قَرِيرَ الْبَـالِ

(المصدر السابق: ص: ١٠٢) .

٣ ذا: اسم الاشارة يعود على نظم أرجوزته .

٤ الضارب: في الشطر الأول: الضارب بالسيف وغيره في معارك الجهاد، وأما الضارب في الشطر الثاني فهو: الراحل والماشي في مناكب الأرض .

١ عنه: أي عن المغربي .

٢ على وزن البحر الوافر المقطوف العروض والضرب معا .

تَلَتْ رُسُلُ الْبَشَائِرِ يَوْمَ عِيدِ ... عَلَيْنَا سُورَةَ الْفَتْحِ[٣] السَّعِيدِ
فَأَحْيَتْ مِنْ رُسُومِ الْبِشْرِ رَسْماً ... عَفَا[٤] بِالشِّرْكِ مُذْ زَمَنٍ مَدِيدِ
وَأَصْبَحَ وَجْهُ دِينِ اللهِ طَلْقاً ... وَوَجْهُ الْكُفْرِ فِي حُزْنِ الْفَقِيدِ
وَيَا رَبمَا[٤] تَبَسَّمَ ذَا ازْدِرَاءً ... بِنَا وَيسُومُنَا سَوْمَ الْعَبِيدِ
وَقَدْ نَفَذَ الْوَعِيدُ فَكَانَ عِيداً ... لأَهْلِ الْحَقِّ تَنْفِيذُ الْوَعِيدِ
فَيا حَادِي الرَّسَائِلِ مُسْفِرَاتٍ ... بِفَتْحِ الثَّغْرِ مُسْتَحْلِي الْوُرُودِ
بِحَقِّكَ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ قَبْلْ ... مَبَاسِمَهُ عَنِ الصَّبِّ[٥] الْبَعِيدِ
وَقُلْ «وَهْرَانُ» يَكْفِيكَ[٦] إِفْتِكَاكٌ ... وَإِنْقَاذٌ مِنَ الأَسْرِ الشَّدِيدِ
لَكَ الْبُشْرَى وَلِلإِسْلامِ أُخْرَى ... بِمَنْعِكَ مِنْ يَدِ الْكُفْرِ الْعَنِيدِ
أ - ١٥٢ تَذَكَّرْ حَيْثُ كُنْتَ مُنَاخَ شِرْكٍ ... فَعُدْتَ مَقَامَ شُكْرٍ لِلْحَمِيدِ /
وَكُنْتَ مَقَامَ تَثْلِيثٍ فَأَضْحَى ... يُقَرَّرُ فِيكَ تَوْحِيدُ الْمَجِيدِ
وَبُدِّلَتِ النَّوَاقِسُ فِي الزَّوَايَا ... بِآذَانٍ وَذِكْرٍ مِنْ مَجِيدِ
جَزَا جَيْشَ «الْجَزَائِرِ» كُلَّ خَيْرٍ ... إِلَهُ الْخَلْقِ ذُو الْمُلْكِ الْعَتِيدِ
هُمُ الْمُسْتَنْقِذُوكَ وَقَدْ أَحَاطَتْ ... بِكَ الأَعْدَاءُ تَطْمَعُ فِي الْمَزِيدِ
وَهَا أَنْتَ الْمُجَارُ فَلَسْتَ تَخْشَى ... عُدَاةَ الدِّينِ إِخْوَانَ الْقُرُودِ

---

٣ سورة الفتح: هي الثانية والأربعون من سور القرآن الكريم، وأول آياتها: ﴿انا فتحنا لك فتحا مبينا﴾
٤ عفا: بلي وامحى ودرس .
٤ ويا ربما: بتخفيف الباء الموحدة .
٥ الصبّ: - بفتح أوله - اسم مصدر: العاشق المتيّم .
٦ في ب: «يهنيك» .
١ جنّهم باشباع ضمة الميم ليستقيم الوزن .

فَقَدْ ذَهَبُوا وَمَا يَرْجُونَ عَوْداً إِلَيْكَ فَعِشْ هَنِيئاً في خُلُودِ
وكَيْفَ وقَدْ غَدَوْا وَالرُّعْبُ يَجْرِي بهم بين الطَّرِيدة وَالطَّرِيدِ
وَلَوْلا اللَّيْلُ حِنَهم لأَضْحَوْا نهاراً في مُغَلْغَلَةِ القُيُودِ
وَلَوْلا أَنَّهُمْ شُرِدُوا بِلَيْلٍ لَكَانَ الْقَتْلُ أَجْدَر بِالشَّرِيدِ
وَقَدْ ظَنُّوا بِأَنَّ لَهُمْ نَجَاةً بِمَرْسَى الثَّغْرِ مِنْ بَعْدِ الشُّرُودِ
وَهَيْهَاتَ النَّجَاة لِمَنْ أَحَاطَتْ بِهِ نَارٌ وَبَحْرٌ في صَعِيدِ
وَلَوْ أَغْنَى التَّحَصُّنُ عَنْ قَتِيلٍ وَحَالَ السُّورُ مِنْ قَدَرِ الْمُرِيدِ / أ - ١٥٣
كَمَا فُتِحَتْ بُرُوجُهُم وَهُدَّتْ مَعَاقِلُهُمْ بِصَاعِقَةِ الرُّعُودِ
وَلَوْ عَقِلُوا لَمَا لَجأُوا لِشَيْءٍ سِوَى دِينِ التَّحِيَّةِ والسُّجُودِ
وَإِنْ لَمْ يَسْجُدُوا للهِ طَوْعاً لَقَدْ سَجَدُوا بِمُصْلِتَةِ الهُنُودِ
وَإِنْ فَرُّوا سَتُدْرِكُهُمْ قَرِيباً بِأَنْدُلُسٍ جُنُودٌ مِنَ أُسُودِ
أُسُودٌ غَابُهَا السُّمْرُ الْعَوالي وَمَوْرِدُهَا دِمَاءُ ذَوِي الْجُحُودِ
إِذا غَرَسُوا الرِّمَاح جَنَوْا سَرِيعاً ثِمَارَ النَّصْرِ مِنَ وَرَقِ الْحَدِيدِ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَذَا الأَزْهَارِ أَذْكَى سَلامٌ لا يُعَقَّبُ بِالنُّفُودِ[3]
(ختام نَدُّهُ[4] يُهْدي) الْغَوَالي مُؤَرِّخُ ذَلِكَ الْفَتْحِ السَّعِيدِ[5]

---

٢ بروحهم: باشباع ضمة الميم لمقتضى الوزن .
٣ أي بدون مقابل .
٤ الند: عود طيب الرائحة يتبخر به، والكلمة فارسية الأصل .
٥ أي كان فتح مدينة وهران سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م وهذا التاريخ هو المشار إليه بكلمات «ختام نده يهدى» بحساب الجمل على طريق المغاربة .

المقامة السادسة عشر

في إياب خليفة سيدنا - نصره الله - للجزائر،

سالما غانما بالاسرى والذخائر

شرف باذخ، ومجد شامخ، عقد النجوم ذوائبه ، وأوخز في مفرق النسر ركائبه، استفتح وهران، وانبلج صبح النصر وبان. وقفل وألوية النصر عليه خافقة، وأسواق الظهور نافقه، وألسنة الشكر والحمد ناطقة.

أ - ١٥٤ والظنون في فضله الصادق / صادقة. والكفر قد ذل واستكان، ودخل عزه في خبر كان، وعز الإسلام قد ظهر واستبان. ورسا كما رسا رضوى[1] وأبان، والخيل تلاعب الظلال مرحا ونشاطاً، وتلالا اغتباطاً، والجياد الجرد تتدافع وتتمطر، والاسل السمر تتأود وتتأطر[2]، والجهات بشادي الفتح تتعطر، اجتمعت الخلائق من كل فج عميق لميعاد لقائه[3]، وبرزت المخدرات لزينة صعوده في سماء الفتح وارتقائه، والسكك له بالاوقار[4] قد ضاقت، والأيدي قد حملت فوق ما أطاقت، والمناصل[5] قد نهرت

---

١ رضوى: جبل بين مكة والمدينة .

٢ تتأطر : تتثنى .

٤ الضمير يعود على «أوزن حسن» .

٥ الاوقار : احمال الهدايا .

٦ المناحل: السيوف .

وراقت، ونقمة الله بعدوه قد حاقت، ونعمه قد بهرت لدينا وراقت، وأساراهم في أيدينا قد أوثقت، وتخلفت قصورهم السامية قيعانا، وكنائسهم الحافلة أثراً لا عيانا. وقد أخذ الله صلبانها، واستعجل للنيران رهبانها، وأتى الله على بيوتها من القواعد فخرت، وزلزل مصانعها العالية، فاستوت على وجه الصعيد واستقرت. فما أظن أن مدينة بلغ الخراب من معمورها، واستأصل العفاء من متبحرات دورها، ما بلغ من هذه البائسة البائدة، والقوية المكابرة، غير الله محاسنها، وشرد قاطنها، فلـه الحمد ومنه أسأل أن يصل للإسلام عوائد النعم الجسام ويلهمنا الشكر المستدعي للمزيد من هذه / الاقسام. وإذا كان هذا الموطىء الذي يغيظ الكفار – أ - ١٥٥ يرفعه الله ويكتبه، ويعلق الثواب الجزيل ويرتبه، فكيف لا نحمد الله على تخريب هذا المصر الشهير، والقطر الخصيب الخطير. بحيث تمضي الاحقاب وهو عبرة للمعتبرين، وواعظاً للمبصرين المستبصرين، وحديثه لسان صدق في الآخرين[1].

(١) إلى هنا ينتهي نص نسخة (أ). وجاء في نسخة (ب) ما يلي: (شعر)[1]

ضَاءَتْ بِنُورِ إِيَابِكَ الأَيَّامُ وَاعْتَزَّ تَحْتَ لِوَائِكَ الإِسْلامُ
أَمَّا الْجَمِيعُ فَفِي أَعَمِّ مَسَرَّةٍ لَمَّا انْجَلَى بِظُهُورِكَ الإِظْلامُ
بَادَرْتَ أَجْرَكَ فِي الْجِهَادِ مُجَاهِداً مَا ضَاعَ عَبْدُكَ لِلثُّغُورِ ذِمَامُ
وَحَمِدْتُ مُعْتَزِماً وَسَعْدُكَ مُنْهِضٌ نَحْوَ الْعِدَا وَدَلِيلُكَ الإِقْدَامُ

---

١ على وزن بحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

كَمْ وَقْعَةٍ لَـكَ فِيهِم[٢] مَشْهُورَةٍ غَصَّ الْعِرَاقُ بِذِكْرِهَـا وَالشَّـامُ
فِي مَوْضِعٍ فِيـهِ الأَسِنَّةُ والظُّبَى[٣] بَرْقٌ وَنَقْعُ الْعَادِيَاتِ[٤] غَمَـامُ
وَالضَّرْبُ قَدْ صَبَغَ النُّصُولَ كَأَنَّمَا يَنْشَقُّ عَـنْ زَهْرِ الشَّقِيقِ كِمَامُ
فَاهْنَأْ مَزِيَّةَ[٥] ظَـافِرٍ مُتَأَيِّـدٍ جَفَّتْ بِرِفْعَةِ شَأْنِـهِ الأَقْـلامُ
وَإِلَيْكَ وُدِّي وَاخْتِصَاصٌ سَابِـقٌ يَجْلُوهُ مِـن دُرِّ الْكَـلامِ نِظَامُ
إِنِّي وَإِنْ خُلِّفْتُ عَنْكَ فَلَمْ يَـزَلْ مِنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَسَلامُ

كمل بحمد الله تعالى. وكان الفراغ من نسخه من مسودة بخط مؤلفه، في أواخر جمادى الاخرى عام احدى وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة سنية .

---

٢ فهم: باشباع ضمة الميم لمقتضى الوزن .
٣ الظبى: - بضم أوله - جمع ظبة وهو حد السيف أو السنان .
٤ العاديات: الخيل المغيرة، وجماعة من القوم المستعدين لخوض القتال .
٥ مزية: أي يمزية، وضمير المخاطب في (فاهنأ) يعود على محمد بكداش الممدوح .

وما توجيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب

المحقق: محمد بن عبد الكريم

مصادر ومراجع

« التحفة المرضية »

أ - المصادر والمراجع العربية

- ابن الخطيب (لسان الدين)، الاحاطة في اخبار عرناطة (القاهرة: ١٣٢٩ هـ) ج: ١-٢ .
- ابن خلدون (عبد الرحمن)، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٨) ج : ٣ .
- ابن زاكور(محمد) نشر أزاهر البستان، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان ، الجزائر : مطبعة فونتانا ١٢١٩ هـ - ١٩٠٢ .
- ابن سودة (عبد السلام)، دليل مؤرخ المغرب الاقصى، (الدار البيضاء : مطبعة دار الكتاب ١٩٦٠ م) ج : ١-٢ .
- ابن عباد (الصاحب)، عنوان المعارف، وذكر الخلائف تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد: مطبعة دار التضامن ١٩٦٤ م) .
- ابن عمار (أحمد)، نحلت اللبيب، بأخبار الرحلة إلى الحبيب. الجزائر : مطبعة فونتانا ١٩٠٥ م .
- ابن قنفذ (أحمد القسنطيني)، الوفيات تحقيق هنري بيريس (القاهرة : بدون تاريخ) .
- ابن مريم (محمد)، البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. (الجزائر : المطبعة الثعالبية ١٩٠٨ م) .
- ابن منظور (محمد)، لسان العرب (القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركاه - مصورة عن طبعة بولاق القديمة المطبوعة سنة ٣٠٨ هـ) ج : ١-٢٠ .
- ابن ميمون (محمد)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية (الجزائر : المكتبة الوطنية، تحت رقم ١٦٢٥) .
- ابن ميمون (محمد)، التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر المحمية (مخطوط خاص) .

- أبو بكر (محمد الحزامي الهمداني)، عجالة المبتدىء، وفضالة المنتهى في النسب، تحقيق عبد الله كنون (القاهرة: المطبعة الاميرية ١٩٦٥ م) .
- أبو راس (محمد)، عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار (مخطوط خاص) .
- حسان حقي، الجزائر العربية (بيروت: المكتبة التجارية ١٩٦١ م) .
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (قسنطينة: مطبعة البعث ١٩٦٨ م) .
- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا (الجزائر: نشر المكتبة المصرية ١٣٥٦ هـ).
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر (القاهرة: مطبعة دار المعارف ١٩٦٣ م) .
- أحمد الجزائري، كيف دخل الفرنسيون الجزائر، تحقيق صلاح الدين المنجد (بيروت: مطبعة دار الكتاب الجديد ١٩٦٢ م) .
- أويس وفا، منهاج اليقين، شرح كتاب الدنيا والدين (مطبعة اسطنبول ١٣٢٨هـ).

- ب -

- البغدادي (عبد المؤمن)، مراصد الاطلاع، على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م) ج : ١-٢-٣ .

- ث -

- ثريا عبد الفتاح ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين. (بيروت مطابع دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠ م) .

- ج -

- الجامعي (عبد الرحمن الفاسي)، شرح أرجوزة الحلفاوي (مخطوط خاص) .
- الجيلاني (محيى الدين عبد القادر)، قلائد الجواهر، في مناقب الشيخ معبد القادر (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ١٣٣١ هـ) .

- ح -

- الحلفاوي (محمد بن أحمد)، أرجوزة في فتح وهران (مخطوط خاص) .
- الحفناوي (أبو القاسم محمد)، تعريف الخلف برجال السلف، (الجزائر : مطبعة فونتانا) ج : ١-٢ .

- الزركلي (خير الدين)، الاعلام (القاهرة: مطبعة كوستاتسوماس وشركاؤه بلا تاريخ) ج : ٢-٣-٧ .

- السلمى (أبو عبد الرحمن محمد)، طبقات الصوفية تحقيق نور الدين شريبة (القاهرة: مطبعة دار الكتاب العربي ١٩٥٣ م) .
- السيوطي (عبد الرحمن)، الدرر المنتثرة، في الاحاديث المشتهرة. (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ م) .

- الشقراني (أحمد)، القول الاوسط، في أخبار بعض من حل بالمغرب الاوسط (مخطوط خاص) .
- الشريشي (أحمد)، شرح مقامات الحريري، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة: مطبعة المنيرية ١٩٥٣ م) ج : ١ .

- ض -

- الضبى (أحمد بن يحيى)، بغية الملتمس، في تاريخ رجال الأندلس. (مدريد: مطبعة روخس ١٨٩٤ م) .

- عبد الرحمن الجلالي، تاريخ الجزائر العام (الجزائر : المطبعة العربية ١٩٥٤ م) ج : ١ - ٢ .
- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٤ م) .

- عبد الماجد منعم، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤م) .
- عنان (عبد الله)، الآثار الاندلسية الباقية (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١م) .
- العياشي (عبد الله)، ماء الموائد (فاس: مطبعة حجرية بلا تاريخ) ج : ١-٢ .
- القزويني (محمود)، عجائب المخلوقات (القاهرة: مطبعة الاستقامة ١٩٥٤م) ج : ١ - ٢ .

- م -

- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث (بيروت: مطبعة بدران ١٩٦٤م) ج : ٣ .
- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر، في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي (بيروت: مطبعة دار اليقظة العربية ١٩٦٤م) ج : ١ .
- محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: البخاري ومسلم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٤٩م). ج : ١-٢-٣ .
- محمد مصطفى، اعجام الأعلام (القاهرة: المطبعة الرحمانية ١٩٥٣م) .
- مخلوف (محمد)، شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية. (القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٥٢ هـ .
- المزري (بن عودة)، طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخزنها الأسود (مخطوط خاص) .
- المشرفي (عبد القادر)، بهجة الناضر، في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كبني عامر (مخطوط خاص) .
- المصري (عبد الرؤوف)، معجم القرآن (القاهرة: مطبعة حجازي ١٩٤٨م) ج : ١ - ٢ .

- المقري (أحمد)، نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محمد محيي الدين (القاهرة: مطبعة السعادة ١٩٤٩ م) ج : ١-٤-٧-٩ .
- المنجد (صلاح الدين)، قواعد تحقيق المخطوطات (بيروت: دار الكتاب الجديد، بلا تاريخ) .
- المنذري (عبد العظيم)، الترغيب والترهيب (القاهرة: مطبعة علي صبيح بلا تاريخ) ج : ٤ .
- المهدي البو عبدلي. الثقافة والتوجيه بالجزائر في العهد التركي. (محاضرة ألقيت أمام ملتقى التعريف بالفكر الإسلامي المنعقد بمدرسة ترشح المعلمين بمدينة الجزائر من ١٩٦٩/١٢/٢٦ إلى ١٩٧٠/١/٢ م) .
- نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر (قسنطينة: مطبعة البعث ١٩٦٥ م) .
- النووي (محيي الدين)، رياض الصالحين، تحقيق محمد رضوان، (القاهرة: مطبعة الاستقامة بلا تاريخ) .

- و -

- الورثلاني (الحسين)، نزهة الأنظار، في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورثلانية). بتحقيق محمد بن شنب. الجزائر: مطبعة فونتانا .

ب - المصادر والمراجع الأجنبية

A

— Auguste Cour, l'Etablissement des Dynasties des Chérifs au Maroc et leur Rivalités avec les Turcs de la Régence d'Alger 1509 1830 (ANGERS-Imprimerie A. Burdin et Cie, 1904).

B

— Ben Cheneb, Mohamed, Mots Turcs et persans conservés dans le parler Algerien (ALGER 1922).

— Berbrugger, Epitaphe d'OUZOUN Hassen le Conquérent d'Oran en 1708 (revue Africaine IX. P. 122-126).

— Brockelmann, Geschichte de rarabischen littérature (Welmer: 1902) V. 2P. 608.

E

— Extrait de l'Encyclopédie Turque, les Dirigeants de l'Algérie pendant la période Turque (1515-1830) Tome 10 P. 324.

F

— Fagnan Catalogue général de Manuscrits (PARIS: 1893) P. 452.

— FAURE Biguet, Histoire de l'Afrique Septentrionale (PARIS: Imprimerie. M.

G

— Gorguos, Notice sur le Bey d'Oran (Revue Africaine 1857) Volume 2P. 34.

J

— J.D. Kieffer et T.X. Binchi, Dictionnaire Turc-Français (PARIS Imprimerie Royale) T. 1-2.

L

— Léon Fey, Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination Espagnole Oran 1858.

— Léon Calibert, l'Algerie ancienne et moderne (PARIS 1884).

— L. Péchot, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830 (Im. Alger 1914) V. 3.

— Louis Rinn. Le Royaume d'Alger. (Alger, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire-Editeur, 1900).

— Maurice Lamartine, Comment Rédiger ou Conseils sur l'art d'écrire (Alger: Editions de l'école française par correspondance).

P

— Paul Gaffarel, l'Algerie. (PARIS: imprimerie de l'Institut 1883).

R

— R. Dozy Dictionnaire Arabe (PARIS: Leidé, 2éme Edition, 1927), Tome 1-2.

ملاحق

الملحق الأول

بعض الأشعار التي قيلت في مدينة « وهران »

لقد أحببنا أن نلحق بهذه المقامات بعض الأشعار الاستصراخية التي قيلت أثناء احتلال الاسبان لمدينة «وهران» عاصمة الغرب الجزائري، ومنها ما قيل إثر الفتح الأول وعقب طرد الإسبان من هذه المدينة.

وقد رتبنا تلك الأشعار حسب الحروف الهجائية لقوافيها .

---

١ الفتح الأول: هو فتح مدينة «وهران» عنوة على يد الداي محمد بكداش سنة ١١١٩ هـ (١٧٠٨ م) .

قال ابن مريم[١] : وهذه الأبيات الآتية نظمها (عبد الرحمن بن موسى[٢]) عند هدم الباشا حسين حصن المرسي الأعلى وهروب النصارى – دمرهم الله – للحصن الاسفل، وهي هذه :

هَنِيئاً لَكُمْ بَاشَا الْجَزَائـرِ وَالْغَـرْبِ
بِفَتْحِ أَسَاسِ الْكُفْرِ مَرْسَى قِرَى الْكَلْبِ
سَتَفْتَحُ وَهْرَاناً وَمَرْسَاتهـا الَّـتي
أَضَرَّتْ بِـذَا الإِقْلِيمِ طُرًّا بِلا رَيْبِ
فَثِقْ بِالإِلَهِ وَاسْتَعِنْ بِـهِ وَاصْبِرَنْ
يُنِلْكَ الْمُرَادَ يَا أَمِيري وَمَطْلَـبي
وَقَـدْ وَعَدَ الـرَّحْمَنُ جَلَّ جَـلالُهُ
«مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» قَدْ أَتَى ذَاكَ في الْكُتْبِ
وَقَـدْ قَـالَ فَارُوقٌ أَبُـو حَفْـصٍ الرَّضي
بِيُسْرِ يْنِ عُسْرٌ وَاحِـدٌ لَيْسَ ذَا غُلْبِ
وَحَاصِلُ أَمْـرٍ فَالْوُثُـوقُ بِـرَبِّنَـا
تَعَالى وَعَـزَّ عَـنْ شَرِيكٍ وَعَـنْ صَحْبِ

---

١ ابن مريم هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بـ «ابن مريم التلمساني». أخذ عن الشيخ سعيد المقري وغيره، وقد ذكر مشايخه ومؤلفاته في كتابه «البستان ...» وهي أحد عشر تأليفاً . توفي سنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م) بمسقط رأسه (تلمسان) .

٢ هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن موسى الوجديجي. أخذ عن الشيخ محمد ابن هبة الله بن شقرون الوجديجي، وعن والده وعن الشيخ علي ابن يحيى السلكسيني الجادري وغيرهم، ولد في حدود ٩٢٩ هـ (١٥٢٣ م) وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر شعبان سنة ١٠١١ هـ (١ فيفري ١٦٠٣ م). (ابن مريم محمد. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر مطبعة الثعالبية ١٩٠٨ م . ص ١٢٩) .

يُنِيلُكَ يُسْراً ثُمَّ عِـزًّا وَنُصْرَةً
وَصَلَّ عَلى خَيْرِ الأَنَامِ مَعَ الْعُرْبِ
بِيَومِ خَمِيسٍ خَمْسُمِائَـةِ مَـرَّةٍ
يُفَرِّجُ رَبِّي عَنْكَ غَمَّكَ وَالْكَرْبِ
... ...
... ...
فَأَبْقَاكَ رَبِّي فَاتِحـاً لِحُصُونِهِمْ
وَكَهْفـاً مَنِيعاً ذَا عُلُومٍ وَذَا صَوْبِ
وَنَـوَّرَ قَلْباً مِنْكَ بِالْعِلْمِ وَالتُّقَى
وَأَعْطَاكَ مَـا تَهْوَى مِـنَ النَّصْرِ وَالْحُبِّ
وَبالنَّجْلِ مَحْمُودٍ أَقَـرَّ عُيُونَنَـا
كَفَاهُ وَقَـاهُ السُّوءَ فِي الْبُعْـدِ وَالْقُـرْبِ
صَلاةً وَتَسْلِيماً عَـلى أَحْمَـدَ الَّـذِي
بِـهِ سَتَنَالُ الْفَتْحَ وَالآلَ وَالصَّحْـبِ
وَكَاتِبُـهُ نَجْلُ ابْنِ مُوسَى مُحَمَّـدٍ
مُقِرٌّ بِتَقْصِيرٍ فِي عِلْمِـهِ وَالْقَلْـبِ [1]

وقال ابن مريم – أيضاً – :

وكان دخول المسلمين هذا الحصن ليلة السبت خمسة عشر من رمضان عام سبعة وألف[2] تمت بحمد الله وحسن عونه، ونظم هذه الأبيات

---

١ ابن مريم محمد. المصدر السابق. ص ١٣٢ .

٢ الموافق لـ (١١ افريل ١٥٩٩ م) .

يوم حزن الباشا – أيده الله – على من مات من المسلمين يوم الجمعة الأول في فتح الحصن ولا قوة قبالته قبل. ورود المدافع من الجزائر المحفوظة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1] :

أَمَوْلايَ بِالْمُخْتَارِ مِنْ آلِ غَالِبِ
أَحَبَّتْهُ وَالأَصْحَابَ كُلُّ الأَقَارِبِ
تُحَيِّي بِنَصْرٍ مَعْ فُتُوحٍ تَوَاتَرَتْ
عَلى نَجْلِ خَيْرِ الدِّينِ خَيْرِ الْمَطَالِبِ
وَتُرْضِيهِ يَا مَوْلايَ في كُلِّ وِجْهَةٍ
وَتَمْنَحُهُ عِزًّا وَخَيْرَ الْعَوَاقِبِ
وَتَكْشِفُ ضُرَّهُ وَتَحْفَظُ سِرَّهُ
تُفَرِّجُ كَرْبَهُ بِإِعْطَا الْمَآرِبِ
وَتَرْعَاهُ في الدُّنْيَا وفي الأُخْرَى دَائِماً
مِنَ الْحِقْدِ والأَضْغَانِ كُلُّ الْمَصَائِبِ
وَتَجْعَلُهُ مِفْتَاحَ خَيْرٍ وَفَاتِحاً
لِذَا الْحِصْنِ يَا مَوْلاي مُعْطِي الْمَوَاهِبِ
ولا يَخْفَى عَنْكَ – زَادَكَ اللهُ نُصْرَةً –
سُؤَالُ هِرَقْلٍ لابْنِ حَرْبٍ وَصَاحِبِ

---

[1] على وزن البحر الطويل المقبوض العروض والضرب .
والناظم هو عبد الرحمن بن محمد بن موسى الوجديجي السابق الذكر .

بِقَوْلِـهِ: كَيْفَ كَـانَ إِيَّاهُ حَزْبُكُمْ ؟

سِجَالٌ جَوَابُهُ بِلا نُكْرٍ صَائِبِ

... ...

وَأَنْتَ لأَصْحَابِ النَّبِيِّ خَلِيفَةٌ

وَحِزْبُ الإِلَـهِ هُوَ أَفْضَلُ غَالِبِ

فَثِقْ بِالإِلَـهِ وَاصْبِرَنَّ تَنَلْ بِـهِ

مُرَادَكَ «وَهْرَاناً» وَمَرْسَى الْقَـوَارِبِ

وَقَدْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلالُهُ

«مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» لَسْتَ فِي ذَا بِغَائِبِ

عَلَى قَدْرِ تَقْوَى اللهِ تَـأْتِي الْمَوَاهِـبُ

وَتَأْتِي عَـلَى قَـدْرِ الذُّنُوبِ الْمَصَائِبُ[٥]

وقال عبد الرحمن الجامعي[٦] : «ووافق هذا الفتح مقدم وفود – وفيهم أديب عالم من سادة أهل مكة شرفها الله تعالى – على سيد الأمير[٣] – نصره الله – وكان إذ ذاك عنده في كرم الضيافـة، فقال – في تهنئته بهذا الفتح السعيد – أبياتاً لو كانت مـاء لاستعذب السقيم ارتشافها وهي هذه[٤] :

---

١ ابن مريم محمد. المصدر السابق. ص ١٣٣ .

٢ المصدر السابق. ص: ٦٦ .

٣ الأمير : هو الداي محمد بكداش .

٤ على وزن البحر البسيط . المخبون العروض والضرب .

— ر —

يَا أَمِيرُ عَلى عَلْيَاهُ قَـدْ عُقِدَتْ ... خَنَاصِرٌ فَهْوَ فَرْدُ الْمَجْدِ وَالْخَطَرِ[1]

جَرَتْ لِسَعْدِكَ أَفْلاكُ السَّمَاءِ بِمَا ... تَخْتَارُ فِي الأَمْرِ مِنْ نَفْعٍ وَمِنْ ضَرَرِ

أَتَتْ لِنَجْوَاكَ أَبْكَارُ الْفُتُوحِ وَكَمْ ... رَمَتْ سِوَاكَ بِشُؤْمِ الْعَجْزِ وَالْحَصَرِ

أَرْعَبْتَ - خَوْفاً - قُلُوبَ الْكَافِرِينَ فَهُمْ ... قَتْلَى وَصَرْعَى لَدَى الْعِقْبَانِ وَالنُّسُرِ

لا زَالَ جَيْشُكَ أَنَّى سَارَ يَقْدُمُهُ ... نَصْرٌ وَفَتْحٌ مُبِينٌ غَيْرُ مُنْحَصِرِ

دَانَتْ لَكَ الأَرْضُ دَانِيهَا وَشَاسِعُهَا ... وَقَدْ أَطَاعَكَ أَهْلُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

وَأَحْرُفُ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ عَلَى ... لِوَاكَ قَدْ رَقَمَتْهَا أَنْمُلُ الْقَدَرِ

أَنَا لَكَ اللهُ مَا تَهْوَى وَتَطْلُبُهُ ... مِنَ السَّعَادَةِ وَالإِقْبَالِ وَالظَّفَرِ

فَاللهُ يُبْقِيكَ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ ... مَا دَامَ فِينَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ[2]

ثمّ قال عبد الرحمن الجامعي - أيضاً - : وقد كنت أوان هـذا الفتح[3] بـ (تلمسان) اتذاكر مع بعض الاخوان في علمي النحو والبيان فصدر من أحدهم قول ينبىء بقصوره فاعملت الجهد في اصلاح خطئه، وجبر مكسوره، ثم أثبته هنا[4] كما أثبت قولي السقيم وان صوّح[5] النبت رعي الهشيم، وهو هذا[6] :

---

١ الخطر : القدر . يقال : شيء خطير . أي : نفيس ذو قدر .

٢ المصدر السابق. ص : ٨٨) .

٣ هذا الفتح : فتح وهران الأول سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م .

٤ هنا : في شرحه لارجوزة الحلفاوي .

٥ صوّح : جف، ويبس .

٦ على وزن البحر الطويل. المقبوض العروض. التام الضرب .

— ر —

سَلامٌ عَـلى الْجُنْدِ الْمُوايَـدِ بِالنَّصْرِ
ضَرَاغِمُ خَلْقِ اللهِ في الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ
جُيُوشٌ بِهَا الإِسْلامُ عَـزَّ مَنَالُهُ
فَأَصْبَحَ دِينُ اللهِ مُبْتَسِمَ الثَّغْرِ
فَمَـا شُغْلُهُمْ إِلّا الْجِهَادُ جَزَاهُمُ
إِلَـهُ الْوَرَى خَيراً يَفُـوقَ عَـلى الْحَصْرِ
هُمُ مَنَعُوا الإِسْلامَ مِـنْ كُلِّ صَائِـلٍ
هُمُ قَصَمُوا الأَعْـدَاءَ بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ
هُمُ خَرَّبُـوا دَارَ الصَّلِيـبِ وَمَزَّقُـوا
لُحُومَ الْعِـدَا لِلْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْقَفْـرِ
وَأَحْيَوْا رُسُومَ الـدِّينِ بَعْـدَ انْـدِرَاسِهَـا
وَغَـارُوا عَـلى الدِّينِ الْقَوِيمِ مِنَ الْكُفْرِ
فَفَكُّوا ثُغُوراً طَالَمَا لَعِبَتْ بِهَا
يَدُ الشِّرْكِ في الأَسْرَارِ قَصْداً وفي الْجَهْرِ
وَأَبْـدَلَ بَعْـدَ الْعُسْرِ يُسْراً وَأَصْبَحَتْ
دُمَى[1] الْكُفْرِ في حَصْرٍ وَعُسْرٍ وفي خُسْرِ
فَمَنْ مَاتَ مِنَّا بِالشَّهَادَةِ فَائِزٌ
وَمَنْ مَـاتَ مِنْهُمْ كُـبَّ في لَهَبِ الْجَمْرِ

---

١ دمى الكفر : صلبانهم، ومعابدهم .

رَعَى اللهُ أَيَّامَ الْبَشَائِرِ إِنَّهَـا
مَوَاسِمُ لِلإِسْلامِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
فَيَا سَعْدَ شَخْصٍ كَانَ لِلْفَتْحِ حَاضِراً
لَقَدْ حَـازَ حَظًّا فِي السَّعَادَةِ ذَا وَفْـرِ
وَنِعْمَ فَتىً مَا زَالَ فِيهِ مُرَابِطاً
يُنَزَّهُ عَـنْ زَيدٍ - هُنَاكَ - وَعَنْ عَمْرِ
فَتىً مُحْسِنٌ لِلْقَاصِدِينَ بِفَضْلِهِ
لِـذَا «حَسَناً»[٢] سَمَّاهُ ذُو الْمُلْكِ وَالأَمْرِ
بِـهِ بَلَغَ الإِسْلامُ غَايَةَ سُؤْلِـهِ
وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْكُفْرِ فِي الْحَشْرِ وَالْعُسْرِ
هُمَامٌ حَوَى الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ يَافِعاً
شُجَاعٌ كَمِيٌّ طَاعِنٌ الصَّدْرِ وَالنَّحْـرِ
رَحِيمٌ بِكُـلِّ الْمُؤْمِنِينَ مُلاطِـفٌ
رَؤُوفٌ عطُوفٌ فِي النَّوَائِـبِ ذُو صَبْرِ
رُحِمْنَا بِـهِ فَالأَرْضُ تَزْهُو بِذِكْرِهِ
كَمَا رُحِمَتْ فِي الْجَدْبِ مِنْ صَيِّبِ الْقَطْرِ
رَسَائِـلَ شَوْقٍ نَحْوَهُ قَـدْ بَعَثْتُهَا
تُهَنِّيهِ بِالْفَتْحِ الْعَزِيزِ وَبِالظَّفْرِ

---

٢ حسنا: هو الخليفة «أوزن حسن» المتقدم الذكر مراراً في تعاليقنا على المقامات التي نحن بصدد تحقيقها (التحفة المرضية).

رَكَائِبَ آمَـالٍ لَـدَيْهِ أَحُطُّهَـا
فَتَغْنَمُ مَطْلُوباً وَتَغْرِفُ مِنْ بَحْرِ
عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ مَا قَالَ قَائِلٌ
سَلامٌ عَلَى الْجُنْدِ الْمُؤَيَّدِ بِالنَّصْرِ[1]

وقال أبو عبد الله محمد حفيد المهدي الجزائري (وقد نظمها سنة ١١١٦ هـ (١٧٠٥ - ١٧٠٤ م)[2] :

- ل -

جِئْنَاكَ يَا شَيْخَ الْعُـلى نَتَوسَّلُ
وَنَرُومُ غَيْثاً مِنْ جَنَابِكَ يَهْطِـلُ
بِمُشَفـعٍ حَقًّا عَلَيْكَ قَبُولُـهُ
وَقَضَاءُ حَاجَـةِ مَنْ بِـهِ يُتَوَسَّلُ
هُوَ أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ أَفْضَلُ سَيِّدٍ
بِالْجَاهِ مِنْهُ إِلى الرِّضى يُتَوَصَّلُ
خَيْرُ الْبَرِيَّـةِ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَـ
ـلَيْنِ أَفْضَلُ مَنْ نَدَاهُ يُؤَمَّلُ
كَهْفُ الْخَلائِـقِ يَوْمَ يَفْزَعُ أَنْبِيَا
ءُ اللهِ فِيـهِ وَدَمْعُهُـمْ مُسْتَرْسِلُ

---

١ (الجامعي، عبد الرحمن، شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ١٣) .
٢ على وزن البحر الكامل، الصحيح العروض والضرب .

وَالرَّبُّ جَلَّ جَلالُـهُ بِاللَّطْفِ يَلْـ
ـحَظُهُ وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَيَقْبَلُ

وَبِحُرْمَـةِ الصِّدِّيقِ مَـنْ لِنَبِيِّنَا
أَبْدَى لِصُحْبَتِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

وَبِرُتْبَـةِ الْفَارُوقِ أَفْضَلِ مَنْ غَدَا
بِالْحَقِّ مِنْ شِبْهِ الضَّلالَةِ يَفْصِلُ

وَبِثَـالِـثِ الْخُلَفَـاءِ عُثْمَانَ الَّذِي
فِي دِينِـهِ وَحَيَائِهِ لا يُعْدَلُ

وَبِنَجْلِ عَمِّ الْمُصْطَفَى وَمَنِ انْتَضَا
هُ اللهُ سَيْفاً كَيْـفَ حَـارَبَ يَقْتُـلُ

وَبِسَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ يَا لَـهُ
أَسَداً لِصَوْلَتِـهِ الْقُلُوبُ تُزَلْزَلُ

وَبِصِنْوِهِ الْعَبَّاسِ مَنْ بِدُعَـائِهِ
يُسْقَى الأَنَامُ بِصَيِّبٍ يَتَسَلْسَلُ

وَإِذا امْرِءٌ وَافَى بِسِبْطِي أَحْمَـدٍ
حَتْماً يُنَفَّذُ مَا يَقُولُ وَيَسْـأَلُ

بِهِمَـا أَتَيْنَـا وَالْكَرِيمُ طِبَاعُـهُ
مَهْمَـا أَتَاهُ عَزِيزُ قَـوْمٍ يَفْضُلُ

أَحْرَى بِرَيْحَانِي رَسُـولِ اللهِ فَالأَزْوا
حُ إِنْ طُلِبَتْ لِذَيْنِكَ تُبْذَلُ

فِي رَدِّ دَارِكَ لِلَّذِينَ تَمَسَّكُوا
بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِـهِ وَتَوَكَّلُوا
رَحْمَاكَ يَا عَلَمَ الْهُدَى فَالصَّفْحُ مِنْ
أَهْلِ الْحَقِيقَةِ فِي الْجِنَايَةِ أَجْمَلُ
نَرْجُو رِضَاكَ فَرَبُّنَا سُبْحَانَهُ
مَهْمَا رَضِيتَ بِفَتْحِهِ يَتَفَضَّلُ
إِنَّا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِسَادَةٍ
أَقْدَامُهُمْ فَوْقَ الْحَيَاةِ تُبَجَّلُ
فَبِحَقِّهِمْ إِلَّا قَضَيْتَ حُقُوقَنَا
وَفَتَحْتَ مِنْ بَابِ الْعِدَا مَا يُقْفَلُ
وَرَجَعْتَ لِلإِسْلامِ رَجْعَةَ مُشْفِقٍ
لِلدِّينِ تَنْصُرُ وَالْكَوَافِرَ تَخْذُلُ
حَتَّى نَرَى (وَهْرَانَ) دَارَ إِقَامَةٍ
لِصَلاتِنَا بَعْدَ الأَذَانِ تُكَمَّلُ
وَنَرى بِهَا الْقُرْآنَ يَفْشُو دَرْسُهُ
وَالْعِلْمَ حَلَّ بِهَا وَنِعْمَ الْمَنْزِلُ
وَيَؤُوبُ عُبَّادُ الصَّلِيبِ بِحَسْرَةٍ
وَلِدَارِ كُفْرِهِمُ الشَّنِيعِ تَزَلْزُلُ
وَحِصَارُنَا إِيَّاهُمْ مُتَعَسِّفٌ
وَعَلَيْهِمْ مِنْهُ الْبَلاءُ مُوَكَّلُ

وَالْخَيْلُ تَمْرَحُ في جَوَانِبِ أَرْضِهِمْ
طَوْراً وَطَوْراً بِالأَسَارَى تُقْبِلُ
حَتَّى إذا طَالَ الْبَلاءُ عَلَيْهِمُ
وَلَدَيْهِمُ بِالْحَصْرِ داءٌ مُعْضِلُ
خَرَجُوا تَخَالُهُمُ السَّرَابَ إلى الْوَغَى
مُتَيَقِّنِينَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَفْشَلُوا
وَتَأَهَّبَتْ فُرْسَانُنَا لِقِتَالِهِمْ
وَالْخَيْلُ تَرْفُلُ بِالسُّرُوجِ وَتَصْهَلُ
ثُمَّ امْتَطَوْا لِظُهُورِهَا وَتَقَلَّدُوا
بِكَوَاكِبِ الأَسْيَافِ مِمَّا يُحْمَلُ
مِنْ كُلِّ هِنْدِيٍّ كَأَنَّ وُقُوعَهُ
نَجْمٌ أَغَارَ عَلَى الأَبَالِسِ مُشْعَلُ
أَوْ أَسْمَرٍ لِلْخِطِّ[1] يُنْسَبُ صُنْعُهُ
عَنْ نَحْرِهِمْ فِي الطَّعْنِ لا يَتَحَوَّلُ
بَاعُوا النُّفُوسَ بِجَنَّةٍ مِنْ رَبِّهِمْ
أَكْرِمْ بِهِ بَيْعاً وَرِبْحاً يَحْصُلُ
وَتَصَادَقَتْ حَمَلاتُهُمْ فَكَأَنَّهُمْ
عِقْبَانُ جَوٍّ بِالطَّرَائِدِ أَقْبَلُوا
مِنْ بَيْنِ ذِي قَتْلٍ يُشَحَّطُ فِي الدِّمَا
بَطْشاً وَذِي أَسْرٍ بِهِ يُتَعَجَّلُ

---

١ الخط - بكسر أوله - موضع باليمامة تصنع به الرماح وتنسب إليه .

وَتَعَلَّقَتْ أَبْطَالُنَا بِحُمَاتِهِمْ
تُبْدِي لَهُمْ حَرْباً أَمَرَّ وَأَهْوَلُ[١]
وَالْمَشْرَفِيَّةُ لِلرِّقَابِ قَوَاطِعٌ
وَمِنَ الْبَنَادِقِ فِي الصُّدُورِ تَوَغُّلُ
وَلأَهْلِ حِزْبِ اللهِ تَمَّتْ صَوْلَةٌ
وَبِعِزِّهِمْ رَبُّ السَّمَا مُتَكَفِّلُ
حَتَّى إِذا مَا نُفِّذَ الْمَقْدُورِ فِي
حِزْبِ الشَّقَاءِ عَلَى الْهَزِيمَةِ عَوَّلُوا
وَلَّوْا عَلَى الأَدْبَارِ يَحطِمُ بَعْضُهُمْ
بَعْضاً كَأَنَّهُمُ الْقَطِيعُ الْمُهْمَلُ
وَالسَّيْفُ يَأْخُذُهُمْ وَيَعْمَلُ فِيهِمُ
عَمَلاً لأَعْنَاقِ الأَخَابِثِ يَشْكُلُ[٢]
وَتَهَافَتَتْ أَبْطَالُنَا بِعَزِيمَةٍ
نَحْوَ الْمَدِينَةِ وَاسْتَبَانَ الْمَدْخَلُ
وَلَجُوا عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ نَجَابَةً
وَالْكَافِرُونَ بِكُفْرِهِمْ قَدْ أَبْسَلُوا[٣]

---

١ في الشطر الثاني إقواء .
٢ يشكل ... اما من شكلت الكلب إذا قيدته، وأما من اشكل ماء دجلة إذا امتزج واختلط بياضه بحمرته،
٣ وهو المراد هنا .
ابسلوا ... اسلموا أنفسهم للهلاك والعذاب .

فَتَمَلَّكُوهَا عَنْوَةً وَزَهَتْ بِهِمْ
فَرَحاً وَعَادَ لَهَا الزَّمَانُ الأَوَّلُ
هَذَا بِفَضْلِ اللهِ نَرْجُو عَاجِلاً
واللهُ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ
وَإِلَيْكَ يَا شَيْخَ الْعُلى وَجَّهْتُهَا[1]
عَذْرَاءَ في ثَوْبِ الْمَحَاسِنِ تَرْفُلُ
جَاءَتْ عَلى قَدَرٍ وإنَّ الْفِكْرَ أعْو
زَهَا عَلى نَهْجِ الإجَادَةِ مُشْغَلُ
وَأَجَلُّ مَقْصِدِهَا الْقَبُولُ فإنَّهُ
حُلْيٌ بِجَوْهَرِهِ النَّظِيمِ تَجَمُّلُ
ضَاهَتْ شَقِيقَتَهَا[2] وَمَطْلَعَ حُسْنِهَا
الْحَقُّ يَعْلُو وَالأَبَاطِلُ تَسْفُلُ

وقال أبو عبد الله محمد المعروف بابن علي بن أبي عبد الله سيدي المهدي الجزائري[3] :

— م —

عُيُونٌ دَهَتْنِي أَمْ سُيُوفٌ صَوَارِمُ
وَسُمْرٌ رَمَتْنِي أَمْ قُدُودٌ نَوَاعِمُ[4]

---

١ الضمير يعود على القصيدة .
٢ شقيقتها : اختها من القصائد التي سبقتها في هذا الغرض .
٣ توفي في حدود ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م ، (ر – تعريف الخلف، ج: ٢ ص: ٤٧١ . – شرح أرجوزة الحلفاوي، ص: ١٠٥) .
٤ على وزن البحر الطويل. العروض مقبوض والضرب .

وَتِلْكَ بُرُوقٌ فِي الْحَنَادِسِ[1] أَوْمَضَتْ
فَعَمَّ سَنَاهَا أَمْ ثُغُورٌ بَوَاسِمُ

فَكَمْ لَيْلَةٍ وَافَتْ فَمَزَّقَتِ الدُّجَى
شُمُوسٌ أَكَنَّتْهَا الْخُدُورُ الْعَوَاصِمُ

سَدَلْنَ ظلالاً فَوْقَ صُبْحٍ مَخَافَةً
فَنَمَّ شَذَا كَالْمِسْكِ فِيهِنَّ لازِمُ

وَأَوْدَعَ قَلْبِي - يَوْمَ وَدَّعَ - جَمْرَةً
كَلامٌ كَنَظْمِ الدُّرِّ فِيهِنَّ كَالِمُ

وَلِي نَزْعَةٌ قَيْسِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ
فَهَا أَنَا مِنْهَا الدَّهْرَ نَشْوَانُ نَاعِمُ

دَعَانِي لَهَا دَاعِي الصِّبَا فَتَكَلَّفَتْ
إِجَابَتَهُ مِنِّي الْقُوَى وَالْعَزَائِمُ

فَكَمْ رَشْقَةٍ عَنْ مِثْلِهَا السَّهْمُ قَاصِيٌ
وَطَعْنٌ بِقَلْبِي لَمْ تُفِذْهُ اللَّهَاذِمُ[2]

لِيَقْضِي عَلَيَّ الْحُسْنُ مَا كَانَ قَاضِياً
سَوَايَ عَلَى مَا جَرَّهُ الطَّرْفُ نَادِمُ

وَحَيٌّ عَلَى هَضْبِ اللِّوَاءِ مُنَظَّمٌ
أَنَافَ عَلَى الشَّطْرَنْجِ مِنْهُ التَّلاؤُمُ

---

١ الحنادس: جمع حندس - بكسر أوله - وهو الليل الشديد الظلمة .
٢ اللهاذم: جمع لهذم كجعفر ، وهو القاطع من الالسنة .

إذا هَبَّتِ الأَرْواحُ مِنْهُ تَزَوَّحَتْ
لَهَا الرُّوحُ أَوْ مَرَّتْ عَلَيْهَا النَّوَاسِمُ
كَأَنَّ بِهَا الْخِلْجَانَ شَكْلٌ سَجَنْجَلٌ[1]
تُرَصِّعُهَا زُهْرٌ إذا اللَّيْلُ عَايِمُ
وَرَاقَ بِهَا وَرْدُ الْغَزَالَةِ إِذْ حَكَى
سَبَائِكَ تِبْرٍ مَوْجُهَا الْمُتَلاطِمُ
تَذَكَّرْتُهُ وَاللَّيْلُ مَدَّ رِوَاقَهُ
فَأَصْلَى فُؤَادِي حِينَ ذِكْرَاهُ جَاحِمُ
فَأَيْقَظْتُ عَيْنَ الْحَزْمِ مِنْ سَنَةِ الْكَرَى
وَشُدَّتْ عَلَى نَحْرِي إِلَيْهِ الْحَيَازِمُ[2]
وَلَبَّيْتُ أَمْرَ الشَّوْقِ بِالسَّمْعِ رَاضِياً
كَمَا حَكَمَتْ تِلْكَ الشَّجَايَا اللَّوَازِمُ
تَخَيَّرْتُهُ مِنْ نَسْلِ أَعْوَجَ قَيِّماً
عَلَى الصَّلْدِ لا تَكْبُو لَدَيْهِ الصَّلادِمُ[3]
سَرَيْتُ بِهِ أَفْلَى الْفَلا مُتَبَخْتِراً
يُمَازِجُنَا مِنْهُ الصَّدِيقُ الْمُنَادِمُ
يَصُولُ بِحُسْنِ السَّيْرِ عَنْ كُلِّ مَهْمَهٍ[4]
مَجَاهِلُهُ تَعْنُو لَهُ وَالْمَعَالِمُ

---

١ السجنجل: المرآة .
٢ الحيازم: جمع حيزوم هو وسط الصدر وشد الحيازم كناية عن قوة الصبر .
٣ الصلادم: جمع صلدم - بكسر أوله - وهو الشيء الصلب، والشديد الحافر، والأسد .
٤ المهمه والمهمعة: المفازة والأرض القفراء، يجمع على معامه .

إلى أنْ هَدَتْني نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّـــةٌ
إلى الْحَيِّ حَيْثُ الْغَانِجَـاتُ الْكَرائِمُ
فَنَاجَيْتُ فِكْري هَـــلْ أُهَيْلُ مَـوَدَّتي
عَلى الْعَهْـدِ مَا شَابَ الْوِدَادُ مُـزَاحِمُ
وَهَلْ ذَلِـكَ الْحُسْنُ الْبَدِيـعُ مُحَجَّبٌ
مَصُونٌ بِأَنْـوَاعِ الْمَحَامِدِ قَائِمُ
فَأُنْبِتُ وَحَسْبي لَمْحَةُ الدَّارِ أَنَّهَا
تُحَافِظُ عَنْ رَسْمِ الْهَدَى وَتُسَالِمُ
وَقَـدْ نَصَبَ الصُّبْحُ الأَغَـرُّ خِبَاءَهُ
فَكَرَّتْ عَلى الظَّلْمَاءِ مِنْهُ هَزَائِمُ
كَمَا لاحَ صُبْحُ الْحَقِّ يَـوْماً بِـبَوْلَةٍ
تَلاشَتْ بِهَا لَمَّا رَأَتْهَا الْمَظَالِمُ
إِلَيْهِ تَنَاهَى الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ وَالْعُلى
وَعَنْهُ إلى الأَقْطَـارِ تُـرْوَى الْمَكَارِمُ
أَبَى اللهُ إِلّا أَنْ يُشِعَّ هِلالَـهُ
وَلَيْسَ لِمَا يُبْدِيهِ ذُو الْعَرْشِ كَـاتِـمُ
وَصَيَّرَهُ فِي الأَرْضِ حِصْناً مُشَيَّـــداً
أَعَارِبُهـا تَهْذِي بِـهِ وَالأَعَاجِمُ
لَـهُ قَدَمٌ فِي مَرْكَزِ الْعِزِّ ثَابِتٌ
وَرَأْيٌ سَدِيدٌ لَمْ تُرِعْهُ الْعَظَائِمُ

رَفِيعُ الْبِنَا فِي الْمَجْدِ شَهْمٌ مُحَنَّكٌ
خَبِيرٌ بِأَفْرَادِ السِّيَاسَةِ عَالِمُ
إِلَى الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ يَهْدِي وَيَهْتَدِي
وَيُصْفِحُ عَمَّنْ أَوْبَقَتْهُ الْجَرَائِمُ
تَزَوَّدَ تَقْوَى اللهِ جَلَّ جَلالُهُ
وَزَادُ التُّقَى كَنْزٌ لِمَنْ هُوَ عَادِمُ
فَيَا مَنْ رَمَتْهُ الْحَادِثَاتُ بِأَسْهُمٍ
وَصَالَ عَلَيْهِ الْمُشْتَفِي وَالْمُصَادِمُ
وَأَسْلَمَهُ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ وَذَنَّبَهُ
كَمَالُ الْحِجَى يَقْظَانُ أَوْفَى وَفَاهِمُ
عَلَيْكَ بِهَذَا الْمُجْتَبَى مِنْ سُلالَةٍ
نَمَاهَا[1] إِلَى دَوْحِ الْمَفَاخِرِ هَاشِمُ
لِتَعْلَمَ كَيْفَ الْجُودُ وَالْفَضْلُ لا الَّذِي
تَكَلَّفَهُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ حَاتِمُ
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْبَذْلِ كَهْلاً وَيَافِعاً
يُوَالِيهِ مُذْ شُدَّتْ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ
سَطَا سَيْفُهُ بِالْكُفْرِ أَفْظَعَ سَطْوَةٍ
لَقَدْ أَحْجَمَتْ عَنْهَا الأُسُودُ الضَّرَاغِمُ
غَدَا ذَلِكَ الْجَمْعُ الْخَبِيثُ مُكَسَّراً
وَجَمْعُ الْهُدَى فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ سَالِمُ

---

١ نماها : نسبها .

وَهَلْ طَاوَعَتْ (وَهْرَانُ) قَبْلُ مُمَلَّكاً
سِوَاهُ فَأَضْحَى أَنْفُهَا وَهْوَ رَاغِمُ
فَكَمْ سَامَهَا مَنْ لا يُنَاهِضُهَا وَكَمْ
حَوَالَيْ حِمَاهَا حَامَ بِالزُّورِ حَائِمُ
هِيَ الْبِكْرُ كَانَتْ لَمْ يُفَضَّ خِتَامُهَا
وَلَمْ يَعْلُهَا فَحْلُ لِذِي الْكُفْرِ قَاضِمُ
تَمَلَّكَهَا حِزْبُ الشَّقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
زَمَاناً لِحِزْبِ الْحَقِ عَنْهَا مُخَاصِمُ
بِهَا يُسْمَعُ النَّاقُوسُ مِنْ نَحْوِ فَرْسَخٍ
وَمِنَ لُغَةِ الْكُفَّارِ فِيهَا تَرَاجِمُ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ صَيْحَةٌ مِنْ خُيُولِهَا
يَنُوحُ لَهَا الإِسْلامُ وَالشِّرْكُ بَاسِمُ
زَهَا وَاعْتَلى التَّثْلِيثُ فِيهَا وَنُكِّسَتْ
لِمَا دَهَمَ التَّوْحِيدُ مِنْهُ الْعَمَائِمُ
وَكُلُّ رَئِيسٍ يُرْتَجَى لِخُطُوبِهَا
تَشَاغَلَ فِي لَذَّاتِهِ وَهْوَ نَائِمُ
وَرُبَّ أَمِيرٍ أَزْمَعَ السَّيْرَ نَحْوَهَا
فَيَرْجِعُ لَمَّا كَاثَرَتْهُ الدَّرَاهِمُ
رَضُوا بِالرُّشى فِي الدِّينِ حِينَ تَخَلَّفُوا
وَقَدْ رَسَخَتْ فِي الأَرْضِ تِلْكَ الأَرَاقِمُ

تُنَادِي الرَّعَايَا لَمْ يُجِيبُوا مُلُوكُهَـــا
وَتَصْرَخُ لَوْ لَبَّى لِـذَا الصَّوْتِ رَاحِـمُ
وَمَا أَمْهَلَ الرَّحْمَنُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ
لَهَا قَـلَمُ التَّصْرِيفِ فِي اللَّوْحِ رَاقِـمُ
فَقَيَّضَ لِلْفَتْحِ الْمُبِينِ مُهَنَّداً
رَقِيقَ الشَّبَا[1] صُلْبَ الصَّفِيحَـةِ صَارِمُ
إِمَامُ سَقَى الْكُفَّارَ كَأْسَ مَنِيَّـةٍ
لَهُمْ شُبَهٌ بِالنَّمْلِ وَالسَّيْفُ حَاطِمُ
لَقَدْ صَالَ فِيهِمْ صَوْلَةً هَاشِمِيَّةً
فَأَعْنَاهُمُ[2] فِي الْحَرْبِ حَيْرَانُ وَاجِـمُ
وَمَزَّقَهُمْ فِي الأَرْضِ كُلَّ مُمَزَّقٍ
فَرَبْعُهُمُ بَعْدَ الْعِمَارَةِ طَاسِمُ
وَعَـادَ لِوَهْرَانَ السَّنِيَّةِ فَخْرُهَـــا
وَآبَ إِلَيْهَا عَهْدُهَـا الْمُتَقَادِمُ
لِيَهْنَأْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِهَا
فَقَدْ سَجَعَتْ تَثْنِي عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ
هَدِيَّتُـهُ الْغَرَّاءُ نَحْوَكُمْ يَمَّمَتْ
تَفُوقُ عَـلَى مَـا قَدْ حَوَتْـهُ اللَّطَـائِمُ[3]

---

١ الشبا: قدر ما يقطع به من السيف .
٢ فاعناهم: جبارهم وعتيهم .
٣ اللطائم: جمع لطيمة، وهي أوعية المسك، وقد تطلق على المسك نفسه .

فَمَا جَادَ فِكْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ[١] بِمِثْلِهَا
وَمَا حَاكَهَا - فِيمَا عَلِمْتُ - كُشَاجِمْ[٢]
وَلَوْ حَازَ شِعْرُ الْبُحْتُرِيُّ[٣] انْسِجَامَهَا
لَجَادَ عَنِ الطَّائِيِّ[٤] وَهْوَ مُرَاغِمُ
فَدُونَكَهَا عَذْرَاءَ رَقَّ نَسِيمُهَا
وَفِي مَدْحِهَا عُلْيَاكَ ذُو الْعَقْلِ وَاهِمُ
كَأَنَّ مَعَانِيهَا الأَزَاهِرُ فُتِّحَتْ
وَأَلْفَاظُهَا تِلْكَ الْعِذَابُ كَمَائِمُ
لَهَا بِاسْمِكَ الْمَكْنُونِ عِنْدَكَ رُتْبَةٌ
وَمَا رَأْيِي بِالأَسْمَاءِ قَطُّ جَوَازِمُ
فَأَنْتَ الْهُمَامُ الْفَخْرُ وَالسَّيِّدُ الَّذِي
لِدَاءِ وُشَاةِ الزُّورِ وَالسَّعْيِ حَاسِمْ
وَإِنِّي وَإِنْ أَحْجَمْتُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
عَلَى خَوْضِ هَذَا الْبَحْرِ وَالْغَيْرُ عَائِمُ

---

١ ابن الحسن، هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي المعروف بـ «المتنبي» ولد سنة ٣٠٣ هـ - ٩١٦ م بالكوفة وتوفى قتيلاً سنة ٣٥٤ هـ - ٩٦٥ م .

٢ كشاجم: هو أبو الفتح محمد بن الحسين بن شاهق الملقب بـ «كشاجم» فالكاف تدل على كتاب والشين على شاعر والألف على أديب والجيم على جواد والميم على منجم. وهو هندي الأصل. توفي سنة ٣٥٠ هـ - ٩٦١ م .

٣ البحتري، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري نسبة إلى بحتري عبود بن عدي. كان البحتري من التلاميذ النجباء لأبي تمام الطائي، ولد سنة ٢٠٦ هـ - ٨١٨ م وتوفي سنة ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م .

٤ الطائي، هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام، ولد سنة ١٨٠ هـ - ٧٩٦ م، وتوفي سنة ٢٢٨ هـ - ٨٤٣ م . وليس هو حاتم الطائي الجواد كما يتبادر لبعض الاذهان .

فَمَا هِيَ إلّا هَيْفَةُ الْمُلْكِ قَلَّمَا
عَلى مِثْلِهَا في النَّاسِ يَقْدِمُ قَادِمُ
وَعَهْدِي قَوَافي الشِّعْرِ عَنّي أَذُودُهَا
زَمَاناً وَفِكْرِي مَوْجُهُ مُتَلاطِمُ
يُصُوغُ حُلى الأَوْصَافِ حُسْنَ صِيَاغَةٍ
لَهَا سِمَةٌ مِنْ حُسْنِهِ وَعَلائِمُ
وَمِنْكَ تَحَلَّى أَيُّهَا الْمَلِكُ الرَّضي
بَهَاءً فَزَانَتْهُ حِلاهُ الْوَسَائِمُ
فَدُمْ لِلنَّدَى وَالْبَأْسِ تُرْجَى وَتُتَّقَى[1]
وَسَيْفُ الْمَعَالي في يَمِينِكَ صَارِمُ
وَلَوْلاكَ مَا كَانَ الْتِفَاتٌ لِفَقْرَةٍ
وَلا سَامَ نَظْمُ الشِّعْرِ كَالدُّرِّ سَائِمُ
فَلا زِلْتَ مَحْفُوظَ الْجَنَابِ مُؤَيَّداً
وَلا بَرِحَتْ تَثْني عَلَيْكَ الْعَوَالِمُ
وَأَحْمَدُ مَنْ وَلّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ
لَهُ الْحَمْدُ إذْ وَلّاكَ وَالشُّكْرُ دَائِمُ
وَأَزْكَى صَلاةٍ بَعْدَهُ وَتَحِيَّةٍ
عَلى الْمُصْطَفَى مَنْ هُوَ لِلرُّسْلِ خَاتِمُ

---

١ ترجى وتتقى: هذان الفعلان ليسا جواباً لـ (دم) وإلا كانا محذوفي الأخير، وإنما هما جملة فعلية متعلقة بمحذوف خبر، وتقدير الكلام: فأنت ترجى وأنت بك يتقى.

قال أبو العباس أحمد بن عبد الله القاضي المعروف بـ (ابن أبي المحلى)[١] :

- م -

وَمَنْ مُبْلِغٌ - أيضاً - مُلُوكَ الأَقَالِمِ
وَكُلَّ رَئِيسٍ مِنْ رُؤُوسِ العَمَائِمِ
وَكُلَّ هُمَامٍ مَائِلٍ فِي حَمَائِلٍ
عَلَى مَتْنِ جَارٍ سَابِقٍ فِي الْعَزَائِمِ
وَكُلَّ زَعِيمٍ مُولَعٍ عَنْ جُدُودِهِ[٢]
بِصَيْدِ الضَّوَارِي مِنْ فُحُولِ الضَّرَاغِمِ
وَسُلْطَانَهَا التُّرْكِيَّ فِي دَارِ مُلْكِهِ
وَبَيْتٍ عَلاهُ فِي دُهَاةِ الطَّمَاطِمِ
وَجُنْدُ بَنِي عُثْمَانَ فِي كُلِّ قَائِدٍ
جُيُوشٌ كَمَوْجِ الْبَحْرِ عِنْدَ التَّلاطُمِ
يُرِيدُونَ مِنْ وَهْرَانَ مَا سَبَقَ الْقَضَا
بِتَنْفِيذِهِ لِلْوَقْتِ فِي جَفْرِ[٣] عَالِمِ
يَخُوضُونَ لُجًّا فِي سَفَائِنَ رَايِسٍ[٤]
مُرَادٍ لِدِينِ اللهِ عِزِّ الأَعَاجِمِ

---

١ عبد الرحمن الجامعي. المصدر السابق. ص: ٩ . والقصيدة من بحر الطويل، المقبوض العروض والضرب .
٢ أي وارث لصيد الضواري وفحول الضراغم عن جد وأب .
٣ الجفر : الكتاب الذي يتنبأ فيه بالمستقبل، ومنه جفر الشيعة المنسوب للامام جعفر الصادق .
٤ رايس: قائد البحّارة .

وَحِرْزِ بَنَـاتِ الْعُرْبِ مِـنْ كُلِّ فَاتِكٍ
بِأَبْكَارِهَـا كَالحُورِ فِي قَصْرِ ظَـالِمِ
فَمَا لِبَـنِي عُثْمَانَ فِي سِنَـةِ الْكَـرَى
وَوَهْرَانُ تَـزْهُو نَخْوَةً بِالْمَرَاغِـمِ
وَيَا مَعْشَرَ الأَتْـرَاكِ مَـا بَالُ سَعْيِكُمْ
وَكُلُّكُمُ أَعْمَالُـهُ بِالْخَوَاتِـمِ
أَلَسْتُمْ أَخَـذْتُمْ دَارَ مُلْكِكُمُ[1] الَّتِي
مِـنَ اشْرَاطِهَا وَهَـذِهِ فِي العَـلَائِمِ
وَقَدْ ظَفِرَ الْمَرْحُومُ جَـدُّكُمُ السَّمِي
قُرونَ[2] الثُّرَيَّا عَنْـوَةً وَالنَّعَـائِمِ
وَدَانَتْ لَـهُ الْبُلْدَانُ حَتَّى عِرَاقُهَا
إِلَى يَمَنٍ وَلَمْ يَخَفْ لَـوْمَ لَائِمِ
وَفِي مَغْرِبِ الْبَدْرَيْنِ نَشْرُ بُنُودِهِ
وَأَعْجَزَكُمْ وَهْرَانُ مِـنْ مُسْتَغَانِمِ
بَنِي الأَسَدِ الْهَصَّارِ مَـا الذُّلُّ شَأْنُكُمْ
وَلَا حَظُّكُمْ مِنْ دَاهِمٍ مُتَفَـاقِمِ
عَلَيْكُمْ سَلَامِي مَـا اسْتَنَارَتْ بِهَدْيِـهِ
قَـرَائِـحُ مُغْرٍ بِالْقَنَا وَالصَّوَارِمِ[3]

---

١ دار ملككم: يريد بها مدينة القسطنطينية التي أفتكتها الأتراك من أيدي الرومان .
٢ قرون: على حذف حرف الجر، أي بقرون الثريا .
٣ المزاري، بن عودة. طلوع سعد السعود. ص: ٢٠٤ . مخطوط خاص .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن[1] محرضاً الداي حسن[2] :

— هـ —

نَادَتْكَ وَهْرَانٌ فَلَبِّ نِدَاهَا
وَانْزِلْ بِهَا لا تَقْصِدَنَّ سِوَاهَا[3]
وَاحْلُلْ بِهَاتِيكَ الأُبَاطِحِ وَالرُّبَا
وَاسْتَصْرِخَنَّ دَفِينَهَا الأَوَّاهَا[4]
وَاسْتَدْعِ طَائِفَةَ الْعَسَاكِرِ نَحْوَهَا
يَغْزُونَهَا وَلْيَنْزِلُوا بِفِنَاهَا
مُسْتَصْحِبِينَ لِوَاءَكَ الْمَنْصُورَ إِذْ
يَلْقَاهُمُ الْفَتْحُ الْمُبِينُ وَجَاهَا
صَرَخَتْ بِدَعْوَتِكَ الْعَلِيَّةِ فَاسْتَجِبْ
لِنِدَائِهَا وَلْتُكْمِلَنَّ مُنَاهَا
حَاشَاكَ أَنْ تَفْنَى حَشَاشَتُهَا وَقَدْ
قَصَرَتْ عَلَيْكَ نِدَاءَهَا وَرَجَاهَا
قَدْ طَالَمَا عَبِثَتْ بِهَا أَيْدِي الْعِدَا
حَتَّى اسْتَبَاحُوا أَرْضَهَا وَحِمَاهَا

---

١ توفي سنة ١١٠١ هـ - ١٦٩٠ م ، (تعريف الخلف، ج: ٢ ص: ٤٧١) .

٢ أي: الداي بابا حسن ١٠٩٢ - ١٠٩٤ هـ - ١٦٨١ - ١٦٨٣ م
(الجامعي، عبد الرحمن. شرح أرجوزة الحلفاوي. ص: ١١) .

٣ على وزن البحر الكامل الصحيح العروض المقطوع الضرب .

٤ الاواها: كثير التأوه - خوفاً من الله - والمراد بالاواه هنا سيدي محمد بن عمر الهواري دفين وهران والمتوفى سنة ٨٤٣ هـ - ١٤٣٩ م .

وَتَصَرَّفُوا في الْمُسْلِمينَ بِمَا غَدَا
أُعْجُوبَـةً لِمَنِ اغْتَدَى يَرْعَـاهَـا
أَضْحَى الصَّلِيبُ مُـؤَيَّداً وَالدِّينُ قَـدْ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهُ فَلَسْتَ تَـرَاهَا
جَعَلُوا بِهَـا النَّاقُوسَ في أَوْقَـاتِهِـمْ
بَـدَلَ الأَذَانِ وَغَيَّرُوا مَعْنَاهَـا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ حَوْلَهَـا لا يُفْتَـدَى
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ حَلَّ في مَثْوَاهَا
كَمْ مِنْ نِسَا مَعْ صِبْيَةٍ أَسْرَى[1] بِهَا
أَسْرَى بِهِمْ مَنْ لَيْسَ يَدْرِي اللهَ
حَالَ الصَّبِيُّ لِدِينِهِمْ وَمِنَ النِّسَا
نَالُوا الْمُحَرَّمَ هَـلْ فَتًى يَغْشَاهَـا
وَمَنِ الَّذِي أَحْيَا مَعَالِمَ سُنَّةٍ
وَأَشَادَ أَرْكَانا لَهَا وَبَنَاهَـا ؟
ذَاكَ الأَمِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّضي
حَسَنٌ[2] بِـه قُطْرُ الْجَزَائِرِ تَـاهَـا
أَنْتَ الأَمِيرُ الْمُرْتَجَى لِكَرِيهَةٍ
يَوْمَ النِّزَالِ فَأَنْتَ قُطْبُ رَحَاهَا

---

١ أسرى: جمع أسير . وأسرى ... فعل رباعي من سرى بمعنى مشى ليلا .
٢ حسن: هو الحاج حسن (ميزومورط) تولى من سنة ١٠٩٤ هـ - ١٦٨٢ م إلى سنة ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م.

جَرِّدْ ظُبَاكَ لِمَحْوِ آثارِ الْعِدَا
حَتَّى تَرَى الإسْلامَ في مَغْنَاهَا
وَادْعُ الْغُزَاةَ لِغَزْوِهَا مُسْتَنْجِداً
وَانْهَضْ إلَيْهَا وَانْزِلَنْ مَرْسَاهَا
عَرِّجْ عَلى أَطْلالِهَا مَعْ فِتْيَةٍ
سَحَراً بِعَزْمٍ لا مُنِحْتَ نَوَاهَا
مِنْ بَعْدِ تَوْهِينٍ لِنَاصِرِ دِينِهِمْ
أَبْنَاءِ عَامِرٍ [1] سَاءَهُمْ مَرْآهَا
وَانْظُرْ بِرَأْيِكَ فِيهِمْ مُسْتَرْشِداً
أَهْلَ النُّهَى فَبِرَأْيِهِمْ تُعْطَاهَا
وَاسْتَأْصِلِ الآثَارَ حَتَّى لا يُرَى
مِنْ عَامِرٍ مَنْ يُرْتَجَى نَجْوَاهَا
إذ ذَاكَ تَظْفُرُ بِالْمُنَى وَتَنَالُ مَا
تَهْوَى وَتُصْبِحُ نَازِلاً بِذُرَاهَا
قُومُوا لَهَا يَا مَعْشَرَ الإسْلامِ قَدْ
آنَ الْقِيَامُ لَهَا وَحَانَ لِقَاهَا
خُوضُوا إلَيْهَا بَحْرَهَا يُصْبِحْ لَكُمْ
رَهْواً وَجُوبُوا نَحْوَهَا بَيْدَاهَا
فَالآنُ آنُ الْفَتْحِ إذْ ظَهَرَتْ بِهَا
آثَارُ تُنْبِي أَنَّهُ وَافَاهَا

---

١ تقدم الكلام عن بني عامر في تعاليقنا على المقامة التاسعة من (التحفة المرضية) .

فاسْلَمْ سَلِمْتَ مَـدَى الزَّمَانِ وَدُمْتَ في
أَوْجِ الْمَعَالي رَاقِيـاً أَعْـلاهَا
وَعَلَيْكَ يَا فَخْرَ الزَّمَانِ تَحِيَّةٌ
أَذْكَى مِـنَ الْمِسْكِ الْفَتِيقِ شَـذَاهَـا
وَعَلى رَفِيقِكَ صَهْرِنَـا شَعْبَانَ[٢] مَـنْ
يَهْوَاكَ طَبْعاً لَيْسَ يَطْلُبُ جَـاهَـا
وَعَلى أبي زَيَّانَ كَاتِبِكَ الَّذِي
حَاكَى الأَوَائِـلَ في الْقَرِيضِ وَضَاهَا
لا زِلْتَ مَنْصُورَ اللِّوَاءِ مُؤَيَّـداً
تَحْمِي - بِعَوْنِ اللهِ - سُنَّةَ طَـاهَـا
صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللهُ الَّـذِي
أحيى الْقُلُوبَ بِبَعْثِهِ وَشَفَاهَـا

انتهى

---

٢ شعبان: قتل شهيداً سنة ١٠٩٨ هـ - ١٦٨٧ م عندما غزا مدينة وهران وبعدما تكسر في يده سيفان قتله أحد من مرتزقة بني عامر، يقال له أبو نصايبة وقد قطع الاسبان رأس الباي شعبان ونصبوه على باب وهران ثم بعثوا به إلى الجزائر فدفن هناك. أما جثته فدفنت في مدينة وهران. (المزاري (بن عودة)، طلوع سعد السعود. ص: ١٠٦ . مخطوط خاص).

الملحق الثاني

« مدينة وهران وتأسسها »

مقدمة

ليست هذه الدراسة الوجيزة فريدة من نوعها، أو جاءت بما لم تأت به الأوائل. وإنما المهم فيها جمع ما تفرق في مختلف المظانّ والمصادر، وتنسيقه حسبما يقتضيه الترتيب المنطقي والنظام الجامعي. ولعل الشيء الذي تمتاز به هذه الدراسة كونها اتخذت سبيل التحليل العلمي، والتعليل المستنبط من آراء المتقدمين في ميدان التاريخ والجغرافية. وقد سلكت – أيضاً – مذهب الحياد الفكري في دراسة هذه الآراء وتقديم ما يستحق التقديم على البعض الآخر، دون أن أنزع إلى عاطفة حزبية، أو أنقاد إلى تقليد أعمى. وهذه الطريقة هي التي تقتضيها البحوث العلمية والدراسات التاريخية الحديثة، وتتطلبها نزاهة الانتقاد البناء من كل باحث يتصدى لدراسة التاريخ وعرض حوادثه. وقد ذفع بنا إلى اختيار هذه الدراسة المختصة بـ «تأسيس مدينة وهران» غرضان اثنان .

---

١ هو تحقيق مخطوط يتعلق بفتح مدينة وهران على يد محمد بكداش سنة ١١١٩ هـ - ١٧٠٨ م. واسم المخطوط: «التحفة المرضية، في الدولة البكداشية، في بلاد الجزائر الهمية» .

أولهما: اتصالها بموضوع رسالتنا التي قدمناها لنيل «شهادة الدراسات العليا» في التاريخ الحديث، تحت جناح كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر .

ثانيهما: حيوية موضوعها وطرافة منهاجها بالنسبة إلى ما كتب عن مدينة وهران بلغة الأم – زيادة على اكتشاف بعض الحقائق التي أغفلها مؤرخو الافرنج، ولم تكن لأبناء الملة في الحسبان. وقد حاولنا – بقدر الامكان – أن نكون موضوعيين في دراستنا هذه، فلا استطراد يعترض المقصود، ولا حشو يحول دون فهم المراد .

وقد أجملنا هذه الدراسة في العناصر التالية: أ – تحقيق اسم المدينة قبل ان يؤسسها المسلمون. ب – مدلول لفظة «وهران». ج – ضبط حروفها. د – أسباب تسمية المدينة بها. هـ – مؤسسها. و – أسباب تأسيسها. ز – ذكر أسماء الدول التي حكمتها منذ تأسيس المسلمين لها حتى الآن .

ولعلنا قد أرضينا ضميرنا بما حققناه في هذه الدراسة المتواضعة، وفتحنا باباً طالما كان موصداً وطالما طرقناه .

والله يهدي إلى سواء السبيل !

مدينة وهران

موقعها :

تتربع هذه المدينة على سفح الشاطىء الشمالي من غرب افريقيا الشمالية، عند مدخل مضيق جبل طارق، في نهاية خليج يقع بين رأس «أبوجا» (Cap Abuja) شرقاً، ورأس «فالكون» (Cap Falcon) غربا. وهي المدينة الوحيدة التي يوجد ميناها بين مينا «آرزيو» ومينا «المرسى الكبير»، وتبلغ مسافة هذا الخليج ثمانية آلاف وخمسين من المترات، أما عمقه فيقدر بأحد عشر ألفاً من المترات أيضاً[1] .

تاريخ تأسيسها

تضاربت آراء المؤرخين ومذاهب الجغرافيين في تحديد تاريخ تأسيس مدينة وهران وفي أول من أسسها من البشر. وفي استطاعتنا – بعد البحث العلمي والتنقيب الجدي – ان نستخرج من هذه المذاهب وتلك الآراء اتجاهين اثنين .

---

(1) Henri Léon Fey. Histoire d'Oran. P. 29-30.

أولهما: اتجاه جل المؤرخين والجغرافيين من علماء الافرنج، **وثانيهما**: اتجاه جميع المؤرخين والجغرافيين من علماء المسلمين .

أ - الاتجاه الأول

ذهب أصحاب هذا الاتجاه[1] إلى الجزم بأن مدينة وهران قد أسست منذ زمان قديم جداً. وربما يعود زمان تأسيسها إلى ما قبل بدء التاريخ. وقد سكنها أمم وأجيال متتابعة منذ أقدم العصور. ولعلها أقفرت زمانا ما. ثم ما لبثت أن عادت إلى ما كانت عليه، وهكذا دواليك. وقد دعموا اتجاههم هذا بدليلين اثنين: **أحدهما**: **عقلي مفترض والآخر**: **نقلي ملموس**.

الدليل العقلي: يتمخض هذا الدليل عن عدة أسباب طبيعية لموقع المدينة .

أولها: ان الرياح التي تهب على الناحية الغربية من القطر الجزائري - شمالا وجنوبا - يستغرق هبوبها مائتي يوم سنوياً، وهذه الرياح لا تنفك تتعاور كل شواطىء تلك الناحية، ما عدا شاطئين اثنين في الخليج الوهراني فان أكف الرياح لم تهيج أمواجهما، تلكما شاطىء المرسى الكبير وشاطىء وهران .

ثانيها: خلو هذين الشاطئين من الصخور والاجراف التي حف بها ما عداهما من شواطىء تلك الناحية .

---

١ هم المؤرخون والجغرافيون من علماء الافرنج .

ثالثها: ان شاطىء وهران يتصل بعدة سهول خصبة، وفيه من الماء العذب ما يكفي من يلتجيء إليه، لا سيما ينبوع «رأس العين» الذي يتسع لارواء خمسين ألفا نسمة[1] .

فبهذه الأسباب قد أصبح هذان الشاطئان صالحين لارساء السفن التجارية، لحمايتها من عواصف الأرياح، وخلوها من عوائق الصخور والاجراف، هنا وهناك. واختير شاطىء وهران – دون شاطىء المرسى الكبير – أن يكون مركز تجارة، ومحط تعمير، لسبب انفراده بالسهول الخصبة، والعيون العذبة .

الدليل النقلي: قام ثلاثة من المؤرخين الباحثين[1] – أوائل القرن العشرين للميلاد – بجولة في مدينة وهران وضواحيها، قصد البحث والتنقيب عن مخلفات الأجيال القديمة التي سكنت هذه الضواحي وتلك المدينة منذ أقدم العصور. وبعد ما قاموا بعمل جدّي تبين لهم أن وهران كانت مسكونة منذ أوائل العصر الحجري، واستدلوا على ذلك بما عثروا عليه من مخلفات ذلك العصر فما بعده :

أ – فتشوا في الطبقات الداخلية من مغارات وهران وكهوفها فعثروا على أدوات يعود صنعها إلى ذلك العصر، كما عثروا على بعض الهياكل العظامية للحيوانات المستأنسة يعود أصلها إلى ذلك العصر أيضاً. وتبين

---

(1) Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran. Sousse. Imprimerie Française, 1904. P. 2.

(1) DOUMERGUE, CARRIERE et TOMMASINI.

لهم – بعد الامعان في دراسة الآثار – أن صناعة الأواني الحجرية قد بلغت ذروتها لدى سكان كهوف وهران وضواحيها إبان العصر الحجري، كما تبيّن لهم – أيضاً – أن صناعة سكان الكهوف لهذه الأواني كانت بالغة في الدقة والاتقان، بينما أصبح صنعها عكس ذلك، عندما خرجوا من كهوفهم وسكنوا سطح الأرض .

ب – عثورهم على شقفة من اناء جميل يمت صنعه إلى اليونان .

ج – عثورهم على حجر الصوان الذي لا وجود له هناك. وهذا مما يدلنا على أن البحارة الأجانب كانت لهم علاقة تجارية مع أهل مدينة وهران وضواحيها .

ولم يعثر هؤلاء المؤرخون والباحثون على اثار القرطاجنيين هناك. وقد عثروا على شيء قليل من آثار الرومان كبعض العملة، وثلاثة خطوط فقط. والسبب في ذلك أن معظم آثار هؤلاء وجميع آثار أولئك قد اندثرت أنقاضها تحت بنيان العرب وأسوار الاسبان الضخمة ولعلّ غزو الفندال قد وصل إليها، فكان من أسباب خرابها .

ولم يخامر هؤلاء شك في استيطان القرطاجنيين والرومان مدينة وهران لأن الرومان لا يؤسسون مدنهم إلا فوق الأرض الزراعية، ووهران أرض زراعة. لذا أسسوها فوق أنقاض القرطاجنيين. أما البرابرة الذين كانوا يعايشون الرومان – هناك – وبقوا بعد ذهابهم، فان لهم بعض الصناعة الخزفية، بيد أنها يشوبها بعض التقليد لصناعة الرومان. وأعظم البرابرة يقطنون ضواحي مدينة وهران، بدليل وجود بعض الانقاض دون انقطاع

على مقربة من المدينة عند ملتقى نهري «شعبة الحران» و «شعبة الحمام». فهي ليست من آثار الرومان، وإنما من آثار البرابرة الذين عايشوا الرومان وبقوا بعد ذهابهم[1] .

د – انّ «بتوليمي» (Ptolemee) الجغرافي الاسكندري قد رسم لنا وصفاً دقيقاً لمكان يقع بين مينا ارزيو ، ومينا المرسى الكبير. وأسمى هذا المكان بـ «كويزا» (Qouiza) ، أو «كيزا» (Quiza) وهذا الوصف لا ينطبق إلا على مدينة وهران الحالية. ويستحيل أن ينطبق على ما سواها[1]. ولا يلتفت إلى رأي من جعل «كويزا» بمقاطعة «مادور» (Madaure) في الجنوب الشرقي من مدينة قالمة[2] وبعد سوق هذه الأدلة العقلية والنقلية، تبين لنا أن مدينة وهران ليست ابنة عصر معين من عصور التاريخ، أو مسكن جيل خاص من أجيال البشر. بل هي مكان صالح لاستقرار أي جيل كان منذ خلق الله الأرض ومن عليها. أما تحديد تاريخ أول عصر لتعميرها، وضبط أول جيل قد حل بأرضها، فهذا شيء من مخبآت التاريخ التي ما زالت تحت ستار أسرار الكون .

اسباب التعمير لمدينة وهران

يمكن لنا أن نختصر هذه الأسباب في سببين اثنين سبب طبيعي

---

١ Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran. P. 5-6.

٢ Henri Ben Fey. Histoire d'Oran. P. 30.

٣ م. س. ص: ٣١ .

بالنسبة إلى المكان، وسبب غريزي بالنسبة إلى ساكن المكان. فالسبب الطبيعي يعود إلى الموقع الجغرافي لهذا المكان، من حيث اعتدال طقسه، وعذب مائه، وخصب أرضه، وأمن حوضه من عواصف الرياح، وخلوّ شاطئه من الصخور والأجراف العائقة لارساء سفن التجارة والصيد، ووفر الأسماك الطريئة بهذا الحوض. قال أبو اسماعيل المزري - نقلا عن كتاب (دليل الحيران وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران) -: «اعلم أن وهران ... هي مدينة من مدن المغرب الأوسط، بساحل البحر الرومي عظيمة، ذات مساحة وفخامة جسيمة، وبساتين وأشجار، ومياه عذبة، وأطيار وحبوب عديدة وفواكه وخضر جديدة ...[1]».

وقال ابن حوقل: «ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر - سوى مرسى موسى - فقد كنفته الجبال، وله مدخل أمن، وعليها سور، وماؤها من خارجها جار عليها في واد عليه بساتين وأجنة كثيرة، فيها من جميع الفواكه، وفي حاضرتها دهقنة وحذق، وفيهم حمية مع الغريب، وهي فرضة الأندلس إليها ترد السلاع، ومنها يحملون الغلال ...[2]».

أما السبب الغريزي فهو ميل جميع الجنس البشري بالطبع إلى الاستقرار في كل مكان اتصف بمثل ما اتصفت به مدينة وهران، من توفر أسباب المعاش فيها وصلاح موقعها لتمركز التجار فيها مدى الأجيال. ولهذا نجد

---

١ كتاب سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. (مخطوط خاص).

٢ كتاب صورة الأرض. الطبعة الثانية. ليدن: مطبعة بريل، ١٩٣٨ م.

معظم شواطىء القطر الجزائري آهلة بالسكان منذ أقدم العصور. وسنزيد ذلك توضيحاً عند كلامنا عن الاتجاه الثاني لتأسيس مدينة وهران .

ب – الاتجاه الثاني

لا خلاف بين أصحاب هذا الاتجاه[1] في تأسيس مدينة وهران في القرن الثالث الهجري، على أيدي المسلمين. وإنما الخلاف بينهم في تحديد السنة التي أسست هذه المدينة خلالها، وفي الخليفة الذي أمر بتأسيسها وفيمن باشر تأسيسها وبناءها من الذين كانوا في المغرب الأوسط حلفاء للأمراء الأمويين بالأندلس .

تحديد تاريخ تأسيسها: اتفقت أقوال جميع المؤرخين الذين تمكنا من الاطلاع على مؤلفاتهم في هذا الموضوع، على أن مدينة وهران قد أسست سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) ما عدا قولين ذكرهما أبو راس المعسكري، ومفادهما أن مدينة وهران أسست سنة ٢٩١ هـ (٩٠٣ – ٩٠٤ م) أو سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٤ – ٩٠٥ م). ولم يذكر أبو راس صاحبي هذين القولين[2] .

ونحن نرجح ما ذهب إليه جلّ المؤرخين، لسببين اثنين: أحدهما كون قائل هذين القولين مجهولا، ثانيهما لم يحكهما أحد من المؤرخين

---

١ أصحاب هذا الاتجاه: هم المؤرخون والجغرافيون من علماء المسلمين. أمّا المؤرخون والجغرافيون من الافرنج فكلهم مقلدون لما جاء به المسلمون، في هذا التأسيس الأخير. فلم يأتوا بشيء جديد من عندهم .

٢ أبو راس، محمد. عجائب الاسفار، ولطائف الأخبار ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية. الجزائر (العاصمة) ورقة : ٥٦ . مخ .

– فيما علمنا – سوى أبي راس المعسكري، بعدما ذهب – هو أيضاً – مذهب جلّ المؤرخين .

الخليفة الذي أمر بتأسيسها: اضطربت أقوال أبي راس المعسكري في تعيين هذا الخليفة، فقال في كتابه «عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار» –: ان الخليفة الذي أمر ببنائها هو عبد الرحمن بن الحكم، ابن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وقال – في كتابه عجائب الأخبار، في لطائف الاسفار[1] –: «أنها أسست بأمر من محمد بن عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وحكى له المزري بن عودة – في كتابه: «طلوع سعد السعود ...» – قولا ثالثاً وجده في كتاب «الخبر المعرب» لأبي راس أيضاً، ومضمونه أن الذي أمر بتأسيسها وبنائها هو أبو محمد عبد الله، بن محمد بن عبد الرحمن، ابن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل، الأموي. وارتضى المزري بن عودة في كتابه «سعد السعود ...» ومحمد بن يوسف في كتابه «دليل الحيران وأنيس السهران ...» القول الثالث والأخير من أقوال أبي راس. ونحن – كذلك – ننضم إلى رأي المزري وابن يوسف، ونجزم بأن مدينة وهران قد أسست على عهد أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، بن هشام، بن عبد الرحمن الداخل الأموي. والدليل على ذلك أن هذا الخليفة كان جالساً على عرشه يوم أسست مدينة وهران، وقد ولي الخلافة بعد وفاة أخيه المنذر بن محمد سنة ٢٧٥ هـ

---

١ هو مختصر كتابه «عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار» المتقدم الذكر .

(٨٨٨ م). وتوفي سنة ٣٠٠ هـ (٩١٢ م)[1] ، أي: كانت وفاته بعد عشر سنوات منذ تأسيس هذه المدينة. أما عبد الرحمن بن الحكم فقد توفي آخر صفر من سنة ٢٣٨ هـ (٨٥٢ م)، وأما ابنه محمد بن عبد الرحمن فقد كانت وفاته آخر صفر - أيضاً - سنة ٢٧٣ هـ (٨٨٦ م) [2].

فلا يمكن - بحال - أن يأمر أحدهما بتأسيس مدينة وهران في سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م)[3]. إذ كل منهما كان في قبره أبان تأسيسها .

اسمها

قبل أن نشرع في تحقيق لفظة «وهران» ينبغي لنا أن نعود أدراجنا إلى بعض الأسماء التي اعتنقتها هذه المدينة قبل اعتناقها للاسم الحالي . وكل منّا يعلم أن أسماء الأماكن والبلدان متولدة عن لغات الأمم والشعوب التي حلّت بها وكانت السبب في تعميرها، وبما أن مدينة وهران قد تداولتها أمم مختلفة في جنسها ولسانها، فما من بد أن تعتنق عدة أسماء حسب لغات الشعوب التي أسّستها واتخذتها سكنا .

وقد تقدم لنا أن التاريخ امتنع أن يكشف لنا عن تحديد تاريخ الأجيال والأجناس التي مرت بهذه المدينة، وأن أقصى ما وصلنا إليه أن الرومان هم آخر جنس سكن هذه المدينة قبل أن يحلّ العرب بها ويعيدوا تأسيسها.

---

١ الضبي، أحمد. بغية الملتمس، في تاريخ رجال الأندلس. مجريط: مطبعة روخس ١٨٨٤ م . ص: ١٦ - ١٧ .

٢ - أبو الفداء، اسماعيل. كتاب المختصر، في أخبار البشر. بيروت: مطبعة صادر . ج: ٣ ص: ٣٧ . - الضبي، أحمد. بغية الملتمس، ... ص: ١٦ - ١٧ .

وقد وصلنا – أيضاً – إلى شيء ذي أهمية كبرى، وذلك أن هذه المدينة قد اعتنقت ثلاثة أسماء متتابعة على عهد الرومان .

الاسم الأول: « كويزا » (Kouiza) ، وذلك ما أنبأنا به « بوتوليمى » (Potolemee) الجغرافي الاسكندري الشهير[1] .

الاسم الثاني: « كيزا كسينيتانا » (Quiza Xenitana) وهذا ما أخبرنا به « قدّيس هيبّون » (l'Evêque d'Hippon) في رسالته إلى البابا « سيليستين » (Le pape Celestin) [2] .

الاسم الثالث: « كيدا » (Quida) ، وهو الذي كان يسميها به القديس « هونوراتيس » (l'Evêque Honoratus) [3] .

الاسم الرابع: وبعد ذهاب الرومان بقيت مدينة وهران يرتادها قبائل البربر ، وهي – لا شك – أنقاض وأطلال ، وكان البربر يسميها « افريى » أي الكهوف .

لفظة « وهران »

ضبط حروفها: اتفق أغلب المؤرخين والرحالين – من العرب والمسلمين – على أنّ « وهران » بفتح الواو ، وسكون الهاء ، وفتح الراء بعدها ألف ساكنة ،

---

(1) Henri Léon Fey. Histoire d'Oran. Oran, Typographie Adolphe Perrier. Editeur, 1858. P. 30-31.

٢ م. س. ص: ٣٢ .

٣ م. س. ص: ٣٣ .

ثم نون في الأخير، وقد نبه بعضهم أن كسر الواو من أولها غلط[١] .
والظاهر أنهم اعتمدوا في ضبط حروفها على نطق سكانها آنذاك .

مدلولها وأسباب تسمية المدينة بها

رأي بعض الافرنج

ذهب بعض المؤرخين من الافرنج[٢] إلى أن لفظة «وهران» معناها: المكان الصعب المنال (Lieu d'accés difficile) ، ولهذا السبب سميت المدينة بـ «وهران». وقالوا: ان لفظة «وهران» عربية صميمة، وهي مشتقة من لفظة «وعر». وقال آخر[٣] منهم: ان لفظة «وهران» مأخوذة من لفظة «هوّارة» التي كانت تسكن مدينة «وهران». وهذان القولان – في نظرنا – كلاهما باطل، فدليل بطلان القول الاول بعد اشتقاق لفظة «وهران» من لفظة «وعر» لفظاً ومعنى، فاللفظ ظاهر. والمعنى أن كلمة «الوهران» تدل – في اللغة العربية – على الرجل الخائف[٤]، وكلمة «وعر» عكس ذلك. وأما دليل بطلان القول الثاني – زيادة على بعد الاشتقاق

---

١ – الزياني، محمد بن يوسف. دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي (مفتي سيدي بلعباس). ج: ١ ، مخ .
– المزري، بن عودة. طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. خاص. مخ .

٢ A- Henri-Léon Fey. Histoire d'Oran, avant, pendant et aprés la domination espagnole Page 37.
B- Léepes. Oran, ville et port avant l'Occupation française (1831) P. 2.

٣ نقل هذا القول بكاره، بلهاشمي عن أحد المستشرقين ولم يذكر اسمه. انظر كتابه: تاريخ الجزائر القديم والحاضر ... ج: ١ ، ص: ١٧٠ . مكتبة المؤلف . مخ .

٤ البستاني، الشيخ عبد الله . البستان في اللغة . بيروت: المطبعة الاميركانية، ١٩٣٠ م، ص: ١٦٦٩ .

بين اللفظتين – فإن مدينة «وهران» بنيت وسميت بهذا الاسم قبل أن تسكنها «هوارة» بأمد بعيد .

رأي بعض المسلمين

اختلف بعض المؤرخين من علماء المسلمين – في مدلول لفظة «وهران» وأسباب تسمية المدينة بها – على سبعة أقوال، حسب الروايات والأخبار .

القول الأول: ان لفظة «وهران» – في لغة زناتة – تدل على الحيوان المشهور بالتحيل والروغان، وهو الثعلب. وسبب تسمية المدينة به أن رجال مغراوة[1] لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا غاراً فيه ثعلب، فقالوا: هذه مدينة «وهران»، وبقى هذا الاسم عنواناً لهذه المدينة منذ ذلك الحين حتى الآن. وهذا القول هو أشهر الأقوال السبعة الآتي ذكرها .

القول الثاني: ان خزر المغراوي الذي اختط المدينة كان يلقب بـ «وهران»، فسميت به .

القول الثالث: ان الرجل الذي كان يبنى فيها اسمه «وهران»، فسميت به[2] .

---

١ هذا القول يؤيّد مذهب من قال بتأسيس مدينة وهران على أيدي رجال مغراوة . وسيأتي تفصيل ذلك في صلب صفحات البحث، عند الكلام عن مؤسس المدينة .

٢ هذا القول والذي قبله قد يكون لهما نصيب من الصحة، لأن كلمة «وهران» في اللغة العربية قد تكون علما للاشخاص. قال ابن منظور: «وهران اسم رجل وهو أبو بطن» (لسان العرب القاهرة: طبعة مصورة عن طبعة بولاق . ج: ٧ ، ص: ١٥٦ .

القول الرابع: ان لفظة «وهران» مأخوذة من التوهر، وهو التعب والهلاك ومغراوة الذين كانوا هناك في تعب وهلاك من جراء الحروب التي كانت بينهم وبين بني يفرن وعمال الشيعة، من صنهاجة وغيرهم وكذا مع ازديجة وعجيسة، فسميت المدينة بما كانوا يقاسونه من تعب وهلاك .

القول الخامس: ان لفظة «وهران» مركبة تركيباً مزجياً من كلمتين اثنتين أولاهما «وه»، ومعناها الضعف، وثانيتهما «ران»، ومعناها الغلق فمدينة «وهران» ضعيفة الران أي: الغلق الذي يكون على قلوب الناس لأن خزر الذي اختطها كان سُنِّياً، وكانت عقيدته سليمة متينة، فلذلك ضعف رانه، وسميت المدينة بمقتضى هذا المعنى .

القول السادس: ان لفظة «وهران» مأخوذة من كلمتين مركبتين تركيباً مزجياً، لغتها عامية. فالكلمة الأولى «واه» بمعنى: نعم. والكلمة الثانية «رانا» بمعنى: ها نحن. فحذفت الألف التي بعد الواو من «واه» والألف التي بعد النون من «رانا»، فأصبحت الكلمتان – بعد الحذف والمزج – «وهران» ثم سميت بها المدينة. وسبب هذه التسمية أن بني يفرن غزوا هذه المدينة أثر بنائها فلم يهتدوا إلى موقعها، لكونها كانت محفوفة بالأشجار الكثيفة، والاغياض الملتفة، وبينما هم كذلك إذ وجدوا رجلا بقربها خرج منها لقضاء بعض مآربه، فقبضوا عليه، وطلبوا منه أن يدلهم عليها فأبى وامتنع، فشددوا عليه، فجعل عصاه صوبها، فقالوا له: أهي صوب عصاك ؟ فقال: «واه» أي: نعم. ثم سمعوا آخر هناك ينادي «رانا» أي: ها نحن. فقصدوا المدينة على أثر هذا الصوت، فعثروا عليها

وأخذوها بعدما سبوا أهلها ثم قالوا: هذه غنيمة «واه رانا»، فسميت بهذا اللفظ المدينة بعدما أجرى عليه الحذف والمزج المذكور أعلاه .

القول السابع: ان لفظة «وهران» مقلوبة عن كلمتي «نار هو» وهما كلمتان مركبتان مزجياً، كل كلمة منهما تدل على معنى مستقل. فالكلمة الأولى «نار» بمعنى: ظهر. والكلمة الثانية «هو» بمعنى: الضمير المنفصل الذي يعد على خزر المغراوي. ومعناهما معاً: ظهر أمر خزر. وقد سميت هذه المدينة بهذا الاسم مراعة للمعنى الأول قبل القلب[1] .

وفي نظرنا أن الأقوال الأربعة الأخيرة ما هي إلا فلسفة لفظية لا طائل تحتها. أما الأقوال الثلاثة الأولى فلها نصيب من الصحة، ولا سيما القول الأول منها كما قدمنا[2]. ورغم ذلك كله، فانّ ما ذهب إليه المؤرخون المسلمون في تعليل تسمية هذه المدينة بـ «وهران» أقرب إلى الصحة مما ذهب إليه بعض المؤرخين من الافرنج. والسبب في ذلك أن الافرنج قد اعتمدوا على التخمين والحدس، بخلاف المسلمين الذين كان أكثر اعتمادهم على النقل المتواتر. وان كان يشوبه شيء من الغرابة في بعض الأحيان .

---

١ ابن زرفة، مصطفى بن عبد الله. الرحلة القمرية، في الأخبار المحمدية. مكتبة المهدي البو عبدلي. بطيوة (عمالة وهران) . ج: ١ ، مخ .

– الزياني، محمد بن يوسف. دليل الحيران، وأنيس السهران، في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي (مفتي بسيدي بلعباس). ج: ١ . مخ .

– بكاره، بلهاشمي. تاريخ الجزائر القديم والحاضر. وكفاح ثورته الكبرى على الاستعمار الفرنسي في أخبار أواخر القرن الرابع عشر. مكتبة بكاره، بلهاشمي. معسكر (عمالة وهران). القسم الأول من الجزء الأول. ص: ١٧٠ . مخ .

٢ قد أشرنا إلى شهرة القول الأول في صلب صفحة هذا البحث وأما الثاني والثالث فقد نبهنا عن امكان صحتهما في حاشية الصفحة أيضاً .

مؤسسها

انقسم المؤرخون المسلمون – فيمن أسس مدينة وهران – إلى قسمين اثنين :

القسم الأول :

قد عزا أصحاب هذا القسم تأسيسها إلى محمد بن أبي عون ومحمد ابن عبدون[1] ، وجماعة من بحارة الأندلس الذين كانوا ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع قبيلتي «نفزة» و «مسقن»[2]. وقد بنوا هذه المدينة سنة ٢٩٠ هـ – ٩٠٣ م – كما تقدم لنا تاريخ التاسيس والبناء. ونذكر من أصحاب هذا القسم: ياقوت الحموي[3] ، عبد الله البكري[4] ، محمد ابن خلكان[5] ، محمد فريد وجدي[6] ، عبد الرحمن بن خلدون[7] . صاحب كتاب الاستبصار[8] . محمد بن يوسف القيرواني[9] . الرشاطي[10] ،

---

١ قد كان هذان الرجلان يرأسان الجماعة .

٢ ويقال لها – أيضاً – «مسرفين» وهم قبيلة من ازديجة أو ازداجة .

٣ معجم البلدان. ج: ٤ ، ص: ٩٤٣ .

٤ المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. ص: ٧٠ .

٥ وفيات الأعيان. ج: ٤ ، ص: ١٩ .

٦ دائرة المعارف. ج: ١٠ ، ص: ٨٧٧ .

٧ كتاب العبر. ج: ٦ ، ص: ٢٩٣ .

٨ الاستبصار، في عجائب الامصار. المكتبة الوطنية. الجزائر. ص: ٧٥ . مخ .

٩ عن طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود. خاص . مخ .

١٠ م. س.

والصفدي[1] وغيرهم. وقد انضم لأصحاب هذا القسم - أيضاً - جلّ المؤرخين من الافرنج، ان لم نقل كلهم .

القسم الثاني :

ان أصحاب هذا القسم قد عزوا تأسيسها إلى خزر بن حفص بن صولات، بن وزمار، بن صقلاب، بن مغراو المغراوي. نزولا عند رغبة أمراء الأمويين الذين كانوا بالأندلس، وقد كانت قبيلة مغراوة حليفة لهم بالمغرب الأوسط. ونذكر من أصحاب هذا القسم: محمد أبا راس[2] . أحمد الشقراني[3] ، محمد بن يوسف الزياني[4] ، المزري بن عودة[5] ، مصطفي بن زرفة[6] ، وعبد القادر المشرفي[7] ، وغيرهم .

سبب ولاء مغراوة لبني امية

ان هذا الولاء سببه إسلام وزمار بن صقلاب، بن مغراو المغراوي على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح عندما غزا افريقية الشمالية. ثم ذهب وزمار هذا إلى المدينة المنورة، ليجدد إسلامه على يد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فجدد إسلامه، وعقد له

---

١ عن طلوع سعد السعود. ص: ١١ .

٢ عجائب الاسمار . ولطائف الأخبار . ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية. الجزائر. ص: ٢٥ . مخ .

٣ القول الأوسط، في أخبار من حل بالمغرب الأوسط خاص. مخ.

٤ دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي. سيدي بلعباس ج: ١ . مخ

٥ طلوع سعد السعود، في أخبار وهران ومخزنها الأسود . خاص . مخ .

٦ الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية . مكتبة المهدي البو عبدلي . ج: ١ . مخ .

٧ بهجة الناظر، في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب بني عامر. خاص مخ

البيعة على قومه مغراوة. ثم عاد أدراجه ليخبر قبيلته. ومنذ ذلك الحين أصبحت مغراوة حليفة لبني أمية، بيد أن ابن خلدون قد قال: «لا أدري سبب هذا الولاء»[1]. وعندنا جواز رواية الولاء، لأن قول الحافظ حجة على من ليس بحافظ .

أسباب تأسيسها

يمكن لنا أن نجمل أسباب هذا التأسيس في ثلاثة أغراض رئيسية: غرض أوحت به الطبيعة، بالنسبة إلى موقعها، غرض اقتصادي بالنسبة إلى من يريد أن يسكنها وغرض سياسي بالنسبة إلى من أمر بتأسيسها .

أ - **الغرض الذي أوحت به الطبيعة**: ان الطبيعة وضعت الشاطىء الوهراني في مامن من عواصف الرياح الذاهبة بالسفن التجارية، وجردته - أيضاً - من الصخور والاجراف التي تعوق تلك السفن عن الارساء، كما وصلته بعدة سهول واسعة خصبة وزودته بماء عذب نمير. قال البكري: «ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء، وبساتين ...»[2]. وقال صاحب الاستبصار: «... وهذه المدينة كثيرة البساتين والثمار، ولها ماء سائح، وأنهار كثيرة، وأرحاء وعيون، وهي من غرر البلاد ...»[3]. وقال ابن حوقل: «... ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من

---

١ البكري، عبد الله . المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. الجزائر: مطبعة الحكومة، ١٨٥٧ م . ص: ٧٠ .

٢ م. س. ن. ص .

٣ م. س. ص .

كل ريع. وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر – سوى مرسى موسى – فقد اكتنفته الجبال وله مدخل أمن ...»[1]. وقال الادريسي: «... وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات، وبها فواكه ممكنة، وأهلها في خصب، والعسل بها موجود ...»[2]. ولعل هذه الميزات التي حظي بها هذا الشاطىء الجميل هي التي دفعت بمن أسّس مدينة وهران أن يؤسسها هناك. سواء كان هذا التأسيس قبل الإسلام أو بعده.

ب – الغرض الاقتصادي :

لا ارتياب في أن الغرض الرئيسي لتأسيس هذه المدينة في موقعها الحالي هو غرض تجاري بالدرجة الأولى، فقد أصبحت هذه المدينة – منذ يوم تأسيسها – مركزاً هاماً بالنسبة إلى السلع الواردة عليها من خارج القطر الجزائري، لتوزيعها على مدنه وقراه وصحرائه، كما أصبحت – أيضاً – نقطة انطلاق للسلع الصادرة من هناك إلى خارج القطر. قال ابن حوقل: «... وهي (وهران) فرضة[3] الأندلس، إليها ترد السلع، ومنها يحملون الغلال ...»[4]. وقال أبو الفداء: «... وذكر من رآها (أي: وهران) أن عندها فرضة تلمسان ...»[5]. وقال الادريسي:

---

١ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي. صورة الأرض. ليدن: مطبعة بريل ١٩٣٨ م. القسم الأول. ص: ٧٧

٢ الادريسي، الشريف. وصف افريقية الشمالية والصحراوية (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق، في اختراق الآفاق). تحقيق وتصحيح هنري بيريس. الجزائر: مطبعة دار الكتب. ١٩٥٧ م. ص: ٥٧.

٣ فرضة: محط السفن.

٤ م. س. ن. ص.

٥ أبو الفداء، اسماعيل. تقويم البلدان. باريز: مطبعة دار الطباعة، ١٨٤٠ ل. ص: ١٢٤.

«... وبها (أي: وهران) أسواق مقدرة وصنائع كثيرة، وتجارة نافقة، وهي تقابل مدينة «المرية» من ساحل بر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها أكثر ميرة ساحل الأندلس ... ومراكب الأندلس إليها مختلفة ...»[1]. وهكذا استمرت هذه المدينة – إلى الآن – محط تجارة رائجة، ومستودعاً لمختلف السلع والبضائع ومرفأً للسفن البحرية، ومقصداً للقوافل البرية. وفي استطاعتنا أن نفوه – بدون تحفظ – بأن مدينة وهران كانت ولا زالت عاصمة الاقتصاد بالقطر الجزائري. وهذا هو الغرض الأساسي في تأسيسها قبل الإسلام وبعده .

ج – الغرض السياسي :

كانت – قبيل تأسيس مدينة وهران – ثلاثة مذاهب سياسية تتعاور شعوب المغرب الأوسط (القطر الجزائري) بواسطة عمال هناك لأصحاب هذه المذاهب، الذين يبتغي كل منهم أن يبث سياسته في هذه الشعوب، ليضمهم إلى امارته، وكانت قبائل مغراوة البربرية تمت إلى الأمويين بالولاء والحلف – كما تقدم لنا تفصيل ذلك – فاستعان بهم أمراء بني أمية في الأندلس على تأسيس هذه المدينة كي تكون لهم بمثابة حجر عثرة في طريق من عداهم من أمراء الشيعة بافريقية، والادارسة بالمغرب الأقصى، وتقطع نياط اتصال كل منهما بشعوب المغرب الاوسط، فلبت رجال مغراوة طلب حلفائها الأمويين واستعانت ببعض القبائل التي كانت مجاورة لها بضواحي الساحل الوهراني. وما عتّم أن تم بناء مدينة وهران – لهذا

---

١ م. س. ن. ص .

الغرض السياسي – على أيدي رجال مغراوة وبعض القبائل المجاورين لهم، وقد شاركهم في هذا البناء جماعة من بحارة الأندلس الذين يرأسهم رجلان منهم وهما: محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدون .

واستوطن الجميع المدينة مدة سبع سنوات وفي سنة ٢٩٧ هـ – ٩١٠ م– تمكنت دعوة الشيعة من بعض قبائل البربر فأوعز إليهم دواس بن صولات اللهيصي عامل «تاهرت» بحصار مدينة وهران، فحاصروها مطالبين بثأر كان بينهم وبين بني مسقن، فامتنع من كان فيها من الأندلسيين وقبائل ازديجة أن يسلموا بني مسقن لخصومهم، فجرّ ذلك إلى اشتعال نار الحرب بين الفريقين وفرّ محمد بن أبي عون الأندلسي وانضم للدواس، وهرب بنو مسقن ليلا من وهران، مخذولين، وتم النصر لأعوان الشيعة فدخلوا البلاد وأعملوا السيف في رقاب من تبقى من أنصار بني أمية. ثم حطموا المدينة وأضرموها ناراً. وذلك في ذي الحجة من سنة ٢٩٨ هـ – ٩١١ م–. ثم عاد أهل وهران إليها في شهر شعبان من نفس السنة، وجددوا بناءها تحت امارة دواس الذي أمّر عليهم محمد بن أبي عون الأندلسي المتشيع، وعادت المدينة أحسن مما كانت عليه[1] .

---

١ – البكري، عبد الله. م. س. ن..ص . – أبو راس، محمد. م. س. ن. ص .
– المزري، بن عودة. م. س. د – صاحب الاستبصار. م. س. ن. ص .

الدول التي حكمت وهران

حكم مدينة وهران – منذ أن أسسها المسلمون حتى الآن – عشرة دول: دولة الأمويين بالأندلس، دولة الشيعيين[١]، دولة المرابطين[٢]، دولة الموحدين، دولة الزيانيين[٣]، دولة المرينيين[٤]، دولة الزيانيين للمرة الثانية، دولة الاسبانيين، دولة الأتراك، دولة الفرنسيين، ودولة الجزائريين. ولم تباشر من هذه الدول الحكم في هذه المدينة بنفسها سوى الدول الأربع الأخيرة. وأما الدول الست الأولى، فقد كانت تحكمها بواسطة عمالها وحلفائها، الذين راحوا يمثلونها في المغرب الأوسط عن طواعية منهم، وانقياد لأمرائهم.

محمد بن عبد الكريم

---

١ ويقال لهم – أيضاً – العبيديون.
٢ ويقال لهم – أيضاً – الملثمون.
٣ ويقال لهم – أيضاً – بنو عبد الواد.
٤ ويقال لهم – أيضاً – بنو حمامة.

فهرس المصادر والمراجع

أ - باللغة العربية

ابن بكار، بلهاشمي - تاريخ الجزائر القديم والحاضر، وكفاح ثورته الكبرى على الاستعمار الفرنسي في أواخر القرن الرابع عشر. مكتبة ابن بكار الهاشمي. معسكر (عمالة وهران) . ج : ١ . مخ .

ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي - كتاب صورة الأرض. ليدن: مطبعة بريل ١٩٣٨ م القسم الأول .

ابن خلدون، عبد الرحمن - كتاب العبر - بيروت: دار الكتاب ١٩٥٩ م.ج:١ .

ابن خلكان، محمد - وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السعادة. ج : ٤ .

أبو راس، محمد - عجائب الأخبار، في لطائف الاسفار. خاص . مخ .

أبو راس، محمد - عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار. ١٢٢٠ . المكتبة الوطنية. الجزائر . مخ .

أبو الفداء، اسماعيل - تقويم البلدان. باريز: دار الطباعة ١٨٤٠ م .

أبو الفداء، اسماعيل - كتاب المختصر في أخبار السير. بيروت ج : ٣ .

الادريسي، الشريف - نزهة المشتاق، في اختراق الآفاق (وصف افريقية الشمالية والصحراوية). تصحيح هنري بيراس. الجزائر: مطبعة دار الكتب ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

البستاني، عبد الله - البستان. بيروت: المطبعة الاميركانية ١٩٣٠ م. ج : ٢ .

البستاني، عبد الله - فاكهة البستان. بيروت: المطبعة الميركانية ١٩٣٠ م .

البكري، عبد الله أبو عبيد - كتاب المغرب. في ذكر بلاد افريقية والمغرب . الجزائر : مطبعة الحكومة ١٨٧٥ م .

البوعبدلي. المهدي - رحلة ابن زرفة. مكتبة البو عبدلي المهدي. بطيوة (عمالة وهران) ج : ١ . مخ .

الزياني، محمد بن يوسف - دليل الحيران، وانيس السهران في اخبار مدينة وهران. مكتبة الشيخ البدوي. سيدي بلعباس (عمالة وهران) مخ .

الشقراني، أحمد - القول الاوسط، في أخبار بعض من حل بالمغرب الاوسط . خاص . مخ .

المزري. بن عودة - طلوع سعد السعود. في أخبار وهران ومخزنها الأسود . خاص. مخ

مجهول المؤلف - الاستبصار في عجائب الأمصار. ١٥٦٠ المكتبة الوطنية الجزائر - العاصمة - مخ .

الورثلاني، الحسين - نزهة الانظار، في فضل علم التاريخ والأخبار. تحقيق محمد بن شنب - الجزائر : مطبعة بيير فونتانا الشرقية، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

ياقوت الحموي - معجم البلدان. بيروت: مطبعة دار صادر، ٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م . ج : ٤ .

ب - باللغة الأجنبية

Général G. Faure — Biguet. Histoire de l'Afrique Septentrionale Sous la Domination Musulmane. Paris-Imprimerie Militaire

Henri-Léon Fey. Histoire d'Oran, avant, pendant et aprés la Domination Espagnole. Oran Typographie Adolphe Perrier, Editeur, Boulevard Oudinot, 9 - 1858

Jean-Léon L'Africain. Description de l'Afrique traduite de l'Italien par A. Epaulard (1er volume) Paris (VIe) - Librairie d'Amérique et d'Orient 1956

LESPES. Oran, ville et Port avant l'Occupation Française - Alger.-Imp. la Typo-Litho et Jules Carbonel réunies

LEON Galibert. L'Algerie Ancienne et Moderne Paris - Librairie Furne Jouvet et Cie, Editeurs - 1884

M.T.H. Houtsma, A.J. Wensinck E. Lévi - Provençal, H.A.R. Gibb et W. Heffening Encyclopédie Islamique. Leiden E.J. Brill 1936 Tome III

Paul Pallary. Les Origines de la ville d'Oran (Bulletin de la Société Archéologique de Sousse) Sousse-Imprimerie Française, Boulevard Pichon - 1904

René Basset. Fastes chronologiques de la ville d'Oran pendant la période Arabe Oran - Paul Perrier, Imprimeur - 1892

الملحق الثالث

«عبد الرحمن الثعالبي وضريحه»

مقدمة

هذه دراسة موجزة قصدنا بها القاء بعض الضوء على شخصيّة الثعالبي – أيام أن كان في قيد الحياة – وأيضاً على ضريحه المزار بعد الممات .

وقد تصدى – قبلنا – كثير من العلماء والمؤرخين لترجمة هذه الشخصية العلمية، بيد أنهم لم يوفوها حقّها، فقد أفرطوا في الايجاز المخلّ، ولم يراعوا الترتيب المنطقي، من حيث الزمان والمكان لمراحل حياة الثعالبي التي قطعها تدريجياً أيام أن كان حياً .

ولعل ذلك راجع إلى سببين اثنين – حسبما نظن – !

أولهما: كون الرجل لم تخصّص له دراسة تحليل وتعليل. يُستقصى فيها جميع الجوانب الضرورية من حياته المباركة. وإنما ذكر بايجاز مفرط ضمن بعض مؤلفات التاريخ الخاصة بالقطر الجزائري، أو كتب التراجم العـامة .

ثانيهما: الاعتماد على شهرته التي اغنت سواد الناس عن طلب المزيد من معرفة شخصيته، ولا سيما في الأوساط المغربية التي نال لديها سمعة طيبة أفضت بهم أن يضيفوا مدينة الجزائر إلى اسمه، فقد قالوا: «جزائر سيدي عبد الرحمن»، وربما أطلقوا هذا التركيب المزجي على القطر الجزائري

بأجمعه. ولعل ذلك عائد – أيضاً – إلى اعتماد الناس على ما قيده الثعالبي عن حياته ضمن بعض مؤلفاته، بل قد أفرد كتاباً خاصاً يتعلق بمراحل حياته العلمية. من حيث الافادة والاستفادة، والأخذ والعطاء .

أما ضريحه: فقد أهمل جميع علماء المسلمين الكلام عنه، ما عدا بعض المتأخرين منهم. إذ أشاروا إليه في سطور قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع. ولولا بعض المؤرخين من الافرنج الذين اهتموا ببنيان هذا الضريح، ولولا – أيضاً – بعض النقوش والخطوط التي ما زالت رهن جدران هذا المزار والتي أعانتنا على هذه الدراسة، ما عرفنا عنه شيئاً .

وهذا ما دفع بنا إلى الحديث عن هذا الضريح المبارك وصاحبه المرحوم. أما صاحبه فقد تناولنا الحديث عنه من حيث تحديد النسب والمولد والنشأة – بما في ذلك رحلته التي استغرقت زهاء عشرين سنة قضّاها كلها في اغتراف العلوم واكتساب المعارف. ثم عاد إلى الجزائر العاصمة حيث اشتغل بالفتوى والتدريس إلى أن لقي ربه وهو عنه راض. ثم ذكرنا معظم شيوخه الذين تلقى عنهم دروسه في كل بلدة قد حلّ بها أثناء رحلته التي خصصها لتعلمه وتثقيف نفسه. ولم نغفل ذكر بعض التلامذة الذين تتلمذوا له في الجزائر عند أوبته من رحلته العلمية. واستطعنا أن نسرد بعض مؤلفاته في شتى الفنون وقد نبهنا إلى ما هو مطبوع منها. ثم ختمنا ترجمته بذكر بنيه وبناته من صلبه وعمّه وابن عمه . وأما ضريحه فقد حصرنا الكلام عنه في نقطتين :

أولاهما: طراز بنيانه وتاريخ تشييده .

ثانيتهما: بيان أنواع الكتابة الموجودة ضمن زخرفة ذلك البنيان، وتحديد أشكال خطوطها. وقد انطلقنا من هاتين النقطتين إلى سرد بعض الأدلة العقلية والنقلية لتاريخ بنيان الضريح وطرازه الفني، ثم قسمنا خطوط هذه الكتابة إلى خمسة أنواع، خط كوفي، خط فارسي، خط شرقي، خط أندلسي، وخط مغربي .

ولم نتلكأ عن تفهم مضمون كل خط، ووصف مكانه الذي نقش فيه. ثم كتبناه حرفياً على صفحات دراستنا، ونبهنا إلى شكله الذي أخذناه بواسطة التصوير الفوتوغرافي .

ولعلنا قد وفقنا – في هذه الدراسة المستعجلة – إلى ابراز بعض الحقائق التاريخية، التي تكون لنا بمثابة نقطة انطلاق إلى دراسات أخرى، رائدها النزاهة العلمية والانصاف النزيه. والله ولي التوفيق فيما كان وسيكون !

ترجمة

عبد الرحمن الثعالبي[1]

نسبه: هو أبو زيد عبد الرحمن، بن محمد، بن مخلوف بن طلحة ابن عمر، بن نوفل، بن عامر[2]، بن منصور، بن محمد، بن سباع، ابن مكي بن ثعلبة، بن موسى، بن سعيد، بن مفضل[3] بن عبد البر، ابن قيس بن هلال، بن عامر، بن حسان[4]، بن محمد، بن جعفر، ابن أبي طالب[5].

مولده ونشأته: ولد الثعالبي سنة ٧٨٥ هـ (١٣٨٤ م)[6] بواد «يسّر» على بعد ٨٦ كلم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر. ونشأ – هناك بين

---

١ الثعالبي: نسبه إلى الثعالبة رؤساء منيجة. وقد اندثر ملكهم على يد السلطان أبي حمّو الثاني سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م). انظر كتاب العبر، ج ٨، ص ٦٥، القاهرة، مطبعة بولاق ١٣٨ هـ.

٢ في اللوحة التي بجنب قبر صاحب الترجمة: «عمار».

٣ في اللوحة: «معضل».

٤ في اللوحة: «حسن».

٥ أبو راس، أحمد. عجائب الاسفار، ولطائف الأخبار، ١٢٢٠. المكتبة الوطنية. ورقة ٢٥، مخ.

٦ ذكر الثعالبي – عن نفسه – أنه في عام ٨٤١ كان ابن ٥٥ أو ٥٦ سنة. (الحفناوي، محمد. تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر مطبعة بيير فونتانة الشرقية. ١٣٢٤ هـ – ١٩٠٦ م. ج: ١، ص: ٦٦).

أحضان أبويه – نشأة علم وصلاح وأخلاق مرضية، وقد تلقى مبادىء قراءته وتعلمه بالجزائر العاصمة وضواحيها. وقد كان حاضراً يوم غزا الاسبان «تدلّس»، في دولة بني عبد الواد، وأخوتهم من بني مرين. ودخلها بعسكره ضحوة يوم الاثنين ١٢ من ذي الحجة سنة ٨٠٠ هـ – ١٣٩٨ م – وكان عمره حوالي خمس عشرة سنة[1].

رحلته لطلب العلم: نزح الثعالبي من مسقط رأسه صحبة والده محمد ابن مخلوف في أواخر القرن الثامن الهجري وأواخر القرن الرابع عشر الميلادي، طالباً المزيد من العلوم والعرفان باحثاً عن مظانها في مناكب الأرض ، وقصد تلمسان ، حيث اجتمع ببعض علمائـــه الفطاحـــل وأخذ عنهم ما تيسر له أخذه، وقد سمع وروى هناك عن عالم الدنيا محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، المعروف بالحفيد. وكان الثعالبي – إذ ذاك – يناهز البلوغ ثم يمّم شطر بجاية،

---

١ – الجيلالي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. الطبعة الثانية. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م . ج: ٢ ، ص: ٢٨٠ .

– نور الدين، عبد القادر. صفحات من تاريخ مدينة الجزائر. قسنطينة: مطبعة البعث. ١٩٦٥ م . ص: ٦٧ .

– الحفناوي، محمد. م. س. ن. ص .

– الثعالبي، عبد الرحمن. العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة. القاهرة: المطبعة الحامدية، ١٣١٧ هـ ، ج: ١ ، ص: ١ – ٢ .

Georges MARCAIS. Melong d'Histoire et d'Archéologie de l'occident Musulman. Alger. Imp. Offiaiell. 1957. T. 1. P. 196.

و – علي بن الحاج موسى. أنباء أبناء الزمان، في النضح برشفة من يم ترجمة الشيخ سيدي عبد الرحمن. مكتبة عبد الرحمن الجلالي. الجزائر. ص: ١ . مخ .

فدخلها – صحبة والده أيضاً – سنة ٨٠٢ هـ – ١٣٩٩ م، فمكث بها زهاء سنة، ثم توفي والده، ودفن هناك، وعلى أثر وفاة الوالد عاد إلى الجزائر قصد الزيارة لأقاربه. ثم رجع إلى بجاية – أيضاً – حيث قضى ما يقرب من سبع سنوات تلقى خلالها دروساً شتى في مختلف الفنون عن زمرة من فطاحل العلماء[1]. وفي سنة ٨٠٩ هـ – ١٤٠٦ م – انتقل إلى تونس حيث مكث حوالي ثمان سنوات انتفع خلالها بمعظم علمائها وأجازوه فيما هو هو أهل أن يجاز فيه. وفي سنة ٨١٧ هـ – ١٤١٤ م – توجه إلى القاهرة، حيث أفاد واستفاد وأجازه بعض علمائها[2] ولم يلبث هناك طويلا، بل يمّم شطر «برصة» حيث استقبل استقبالاً كريماً. ومن هناك توجه صوب الحرمين الشريفين حيث أدى فريضة الحجّ، واغتنم الفرصة، فأخذ عن بعض علماء الحجاز وأجازوه في فنون شتى. ثم عاد إلى مصر، وفي سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) رجع إلى تونس، فوجد بعض شيوخه قد توفي، ومكث هناك حوالي سنة ملازماً خلالها حلقات جامع الزيتونة. وفي أواخر سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) عاد أدراجه إلى بلده المحبوب بعدما غاب عنه حوالي عشرين سنة قضّاها كلها في اكتناز المعارف واغتراف العلوم، أنى كانت وحيث بانت .

---

١ الثعالبي، عبد الرحمن. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج: ٤ ، ص: ١١٩ .
ب – علي بن الحاج ماسي. أنباء أبناء الزمان. ص: ٣ .
٢ قد عقدنا – في هذا البحث – عنواناً خاصاً لمشائخه .

وهكذا استقر بمدينة الجزائر، حيث راح يشتغل بعبادة ربّه، وبث العلوم الشريفة بين أبناء ملته، وتحبير المؤلفات المفيدة، والمصنفات العديدة في شتى الفنون إلى أن ناداه أجله المحتوم صبيحة يوم الجمعة ٢٣ من شهر رمضان المعظم سنة ٨٧٥ هـ (١٥ مارس ١٤٧٩ م)[1] بعد أن قضّى تسعين خريفاً كانت كلها طوعاً لمرضاة الله، ووقفاً على مصالح العباد.

ثم نقلت جثته الكريمة من منزله[2] إلى مكان يقع على ربوة خارج «باب الواد» يعرف - آنذاك - بـ «جبّانة الطلبة». ودفن هناك، ومنذ ذلك الحين أصبح ضريحه مزاراً يتبرّك به، ولم يزل الزائرون يقصدونه ذكرانا وإناثا يومياً وطوال السنة إلى وقت غير معلوم.

وقد رثاه تلميذه المخلص الأديب، الشيخ احمد بن عبد الله الجزائري. ثم الزواوي. بقصيدة من بحر الطويل، فقال في مطلعها :

«لقد بان أهل العلم عنا وأقفرت ... منازلهم انا إلى الله نرجع
كما بان عنا شهمنا العالم الذي ... سناه بأنوار الحقيقة يستطع
أبو زيد المشهور بالعلم والتقى ... له الفضل فينا والمقام المرفع
هو العالم الموصوف بالنفع للورى ... به عنهم خطب الحوادث يرفع

---

١ كادت جميع المصادر التي ترجمت للثعالبي ان تتفق على هذا التاريخ، ولا يلتفت إلى ما وجد منقوشاً في لوحة بجنب قبر الثعالبي: أنه توفي سنة ٨٧٣ هـ وقد حذا حذو هذه اللوحة بعض المؤرخين الأجانب، منهم «البيرت دوفولكس» (Albert de VOULX) في كتابه: (Edifices religieux)

٢ يوجد هذا المنزل بنهج قريب من المسجد الأعظم. ولما احتلّت فرنسا الجزائر أخذ هذا النهج اسم «نهج الشارت» (Rue de la Charte) رقم (٢) وذلك سنة ١٨٥٤ م بعدما كان يحمل رقمي: (٥٤) و (٦٠). وقد هدم هذا المنزل وادخلت مساحته ضمن فندق الكتابة العامة للحكومة: «دار العمالة» القديمة.

لقد جزعت نفسي لفقدي أحبتي وحق لهـا من مثل ذلـك تجزع
ألم بنـا مـا لا نطيق دفـاعه وليس لأمر قـدر الله مرجـع

إلى أن يقول :

أعزّى أبـا عبد الإلـه محمداً[1] ومن بجميل الصبر نرجو سيجمع
ونحن وان كنـا جميعاً نحبـه فقلبك أشجى للفـراق وأوجع
أصبنا بـه فالله يعظـم أجرنـا ويلهمنا الصبر الجميـل ويوسع

رحم الله الثعالبي وصبّ شآبيب الرضوان على مثواه !

شيوخه

قبل أن نشرع في سرد شيوخه النصحاء، ينبغي لنا أن نقسّمهم إلى فيئات حسب الأماكن والبلدان التي حلّ بها الثعالبي وتتلمذ فيها لعلمائها، حتى يتسنّى للقراء أن يميزوا بين هؤلاء العلماء، من حيث المكان والزمان .

شيوخه ببجاية :

١ - أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاتي الزواوي[2] . أخذ عنه بمسجد عين البربر .
٢ - أبو الربيع سليمان بن الحسن[3] .
٣ - أبو الحسن علي بن محمد البليلتي .

---

١ هو نجل سيدي عبد الرحمن المعروف بمحمد الكبير .
٢ قال الثعالبي: وعليه كانت عمدة قراءتي (نور الدين، عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ص: ١٦٧ ، نقلا عن كتاب الجامع للثعالبي) .
٣ قال الثعالبي: وعليه كانت عمدة تجويدي (م. س. ص: ١٦٨) .

٤ – علي بن موسى .
٥ – أبو العبّاس أحمد النقاوسي .
٦ – أبو القاسم محمد المشدالي وغيرهم ...

شيوخه بتونس :

١ – أبو مهدي عيسى الغبريني .
٢ – أبو القاسم بن أحمد البرزلي القيرواني[١] .
٣ – أبو عبد الله محمد بن خلف الأُبي الوشتاني[٢] .
٤ – أبو يوسف يعقوب الزغبي .
٥ – أبو عبد الله القلشاني .
٦ – ابن مرزوق الحفيد[٣] . وهذان الأخيران أخذ عنهما بعد عودته إلى تونس من المشرق للمرة الثانية .

شيوخه بمصر :

١ – البلالي[٤] .
٢ – أبو عبد الله البساطي .

---

١ قال الثعالبي: وأخذت البخاري الا يسيراً عن البرزلي. (م. س. ص: ١٦٨) .
٢ قال الثعالبي: وأكثر عمدتي على الابي. (م. س. ١٦٨) .
٣ قال الثعالبي: ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام ٨١٩ هـ، فأقام بها نحو سنة، فأخذت عنه كثيراً، وسمعت عليه الموطأ. (م. س. ن. ص.) .
٤ قال الثعالبي: ثم رحلت إلى المشرق ودخلت مصر، فسمعت البخاري على البلالي وكثيراً من اختصار «الاحياء» له (م. س. ن. ص) .

٣ – ولي الدين العراقي(*) .
٤ – المعمر أبو عبد الواحد بن اسماعيل الغرياني .
٥ – أبو القسم الحافظ العبدوسي .
٦ – ابو محمد عبد الله بن مسعود بن علي القرشي الشهير بـ «ابن القرشية» .

تلامذته

لقد كان للثعالبي تلامذة كثيرون، نذكر منهم بعض من عثرنا عليه في كتب التراجم الموثوق بها :

١ – عيسى بن سلامة البسكري .
٢ – محمد بن مرزوق الكفيف .
٣ – محمد السنوسي الإمام .
٤ – علي بن محمد التالوتي أخو الإمام السنوسي لأمه .
٥ – محمد بن عبد الكريم المغيلي .
٦ – أحمد زروق الفاسي .
٧ – أحمد بن عبد الله الجزائر الزواوي .

مؤلفاته

يعدّ الثعالبي أخصب نتاجاً من علماء قطره ومتصوفيه. وذلك راجع

• قال الثعالبي: وحضرت كثيراً عند شيخ المحدثين بها (بمصر) ولي الدين العراقي ، وأخذت عنه علوماً جمة، معظمها علم الحديث (م. س. ن. ص) .

- فيما نظن - إلى اعتزاله عن سواد الناس، وملازمته لمهنة التدريس في شتى الفنون المتداولة بين علماء ذلك العصر. وقد نيفت مؤلفاته على التسعين، أكثرها ما تزال مخطوطة، وجلّها يوجد بأرض السودان[1] ، نذكر منا ما يلي:

١ - الجواهر الحسان، في تفسير القرآن[1] .
٢ - تحفة الاخوان، في اعراب آي القرآن .
٣ - الذهب الابريز، في غريب القرآن العزيز .
٤ - العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة[2] .
٥ - كتاب المرائي[3] .
٦ - روضة الأنوار، ونزهة الاخيار .
٦ - رياض الصالحين .
٨ - الأنوار، في معجزات المختار .
٩ - الجامع الفرعي .
١٠ - شرح على مختصر خليل بن اسحاق المالكي .
١١ - شرح على ابن هرون .
١٢ - شرح على غرر ابن عرفة .
١٣ - شرح عيون مسائل المدونة .

---

١ ١ - مقدمة «العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة» ص: ١ .
- الجيلالي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. ج: ٢ . ص ٢٨٢ .
٢ طبع بمطبعة الثعالبية بالجزائر العاصمة سنة ١٣٢٧ هـ في أربعة أجزاء .
٣ طبع بالمطبعة الحامدية المصرية سنة ١٣١٧ هـ ، في جزأين .
٤ طبع عدة طبعات بالمطبعة الثعالبية بعاصمة الجزائر .

١٤ – جامع الأمهات، في أحكام العبادات .

١٥ – الجامع الكبير .

١٦ – ارشاد السالك . .

١٧ – الأربعون حديثا في الوعظ والرقائق .

١٨ – الدرّ الفائق .

١٩ – شرح المختار من الجوامع، في محاذات الدرر اللوامع[1] .

٢٠ – الفهرسة . .

٢١ – مختصر الفهرسة .

٢٢ – الرحلة .

٢٣ – جامع الفوائد .

٢٤ – كتاب النصائح .

٢٥ – العقد النفيس .

٢٦ – كتاب الارشاد، في صالح العباد .

٢٧ – جامع الخيرات .

٢٨ – التقاط الدرر .

٢٩ – المختار من الجوامع .

٣٠ – جامع الهمم، في أخبار الأمم .

٣١ – نور الأنوار، ومصباح الظلام .

٣٢ – الأنوار المضيئة، في الجمع بين الشريعة والحقيقة .

٣٣ – كتاب النصائح. وغير ذلك .

---

١ طبع بالمطبعة الثعالبية سنة ١٣٢٤ هـ بالجزائر العاصمة .

وللثعالبي قصائد وقطع من الشعر متفرقة هنا وهناك، فمنها قوله – يحذّر من الدار الفانية، ويدعو إلى الدار الباقية – :

وإن امرؤ أدنى بسبعين حجّـة جدير بأن يسعى معدًا جهـازه
وأن لا تهز القلـب منـه حوادث ولكن يرى للباقيـات اهتزازه
وأن يسمع المصغي إليـه لصدره أزيزاً كصوت القدر يبدي ابتزازه
فما بعد هذا العمر ينتظر الـذي يعمره في الـدهر إلا اغـتـراره
وليس بدار الذل يرضى أخو حجى ولكن يرى أن بالعزيز اعتزازه

أولاده

أنجب الثعالبي ثمانية أولاد، كلهم من بطن أم واحدة اسمها «مريم»[1]، واسم قابلتها – عند وضع جميع أولادها – «تلاتيماش» ولا نشك في بربرية هذا الاسم، بيد أننا نجهل – حتى الآن – تاريخ وفاة كل منهما. وهؤلاء الأولاد فمنهم الذكور، ومنهم الاناث فالذكور أربعة، وهم:

١ – محمد الصغير، وقد توفي شهيداً بالطاعون في أوائل سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢ م).

٢ – محمد الملقب بـ «ابن الصالحيت»، وقد توفي سنة ٨٥١ هـ (١٤٤٧ م).

---

١ قال علي بن الحاج موسى: «ولم أقف على اسم أبيها صهر الشيخ (سيدي عبد الرحمن) وإنما وقفت على تاريخ وفاته بالجزائر من غير وجود تصريح باسمه بأوائل ربيع الثاني عام ٨٤١ هـ، وأنه دفن بمقبرة آل صهر الشيخ المذكور الآتي ذكرها (مقبرة الطلبة).
(انباه أبناء الزمان، في النصح برشفة من يمّ ترجمة الشيخ سيدي عبدالرحمن. مكتبة عبدالرحمن الجيلالي. الجزائر. ص: ٢. مخ).

٣ – محمد الكبير ، وقد كان في قيد الحياة يوم وفاة أبيه الشيخ عبد الرحمن، بدليل أن أبا العباس أحمد بن عبد الله الزواوي قد أشار إليه وصرّح باسمه في مرثيته لأبيه، إذ يقول :

اعزى ابا عبد الاله محمدا ومن بجميل الصبر نرجو سيرجع
فإنّا وان كنا جميعاً نحبّه فقلبك أشجى للفراق وأوجع

٤ – يحيى وبه كان يكنى الشيخ عبد الرحمن تكنية رسمية، بيد أنه اشتهرت تكنيته بـ «أبي زيد»، وهي تكنية اصطلاحية عند علماء النسب الذين تقرر لديهم بأن كل من اسمه عبد الرحمن يكنى بـ «أبي زيد». وكان الثعالبي يكنى – أيضاً – بأبي محمد، تكنية بأحد أولاده الثلاثة المتقدمي الذكر. ولم نعلم تاريخ وفاة يحيى هذا، أهي قبل وفاة أبيه، أم بعدها ؟ وكلهم دفنوا بـ «مقبرة الطلبة» حيث دفن أبوهم وأجدادهم. ولم يترك أحدهم وارثاً، ما عدا أبا عبد الله محمداً الكبير ، فقد ترك بنتاً اسمها «كلّا» (بفتح الكاف واللام المشددة) وبموتها انقطع نسل الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من صلبه .

أما الاناث فهن أربع أيضاً، وهن :

١ – فاطمة، ٢ – رقية، ٣ – محجوبة. وقد توفين كلهن في سنة واحدة وهي سنة ٨٤١ هـ (١٤٣٧ م)، وفي نفس السنة توفي جدهن لأمهن مريم، وكلهن توفين صغيرات. ٤ – السيدة عائشة، وتاريخ وفاتها مجهول وقد حقق الشيخ علي بن الحاج موسى بأنها كانت في قيد الحياة سنة ٨٥١ هـ

(١٤٤٧ م)، وهي السنة التي توفي فيها أخوها محمد الملقب بـ «ابن الصالحيت». وكلهن دفنّ بـ «مقبرة الطلبة» حيث مدفن أبيهن وأخوتهن وأجدادهن، وكان للشيخ الثعالبي عمّ اسمه عمر بن مخلوف الذي خلف ابناً اسمه عامر بن عمر بن مخلوف[1]. وإلى هنا تنتهي ترجمة الثعالبي بايجاز غير مخل، على أمل العودة إليه في دراسة ضافية التحليل والتعليل «ولكل أجل كتاب».

---

١ علي بن الحاج موسى. م. س. ص: ٣ .

ضريح
عبد الرحمن الثعالبي

لقد أمسى ضريح الثعالبي يتمتع باحترام تام لدى الخاص والعام من سواد الناس، مثلما كان يتمتع به صاحبه ابّان حياته المباركة .

وقد دفع بهم هذا الاحترام إلى الاعتناء بهذا الضريح اعتناء أدى بهم إلى تشييد بنيان حوله، وزخرفة جدرانه، حتى يصبح حجا يومياً، ومزاراً مباركاً يتوسل به عند نزول الملمات .

وقد أوجب علينا عملنا أن نتحدث عن هذا البنيان وهذه الزخرفة من حيث نقطتان اثنتان تقتضيهما دراستنا المتمّمة لرسالتنا . **أولاهما**: تاريخ البنيان وطراز هندسته . **ثانيتهما**: أنواع الكتابة الموجودة ضمن الزخرفة، وشكل حروفها .

وقد أهمل جميع المسلمين الذين اشتغلوا بترجمتهم للثعالبي هاتين النقطتين، ولم يشيروا إليهما بأدنى اشارة. والسبب في ذلك واضح جداً. ذلك أن علماءنا لم يتخصصوا في الفن المعماري وهندسته، حتى يعتنوا بأشكاله ويتذوقوا طرازه، فيدسرهم ذلك إلى الكتابة فيه. أما الافرنج فانهم

- بعد بحثهم الدقيق - لم يتوصلوا إلى ضبط تاريخ البنيان الأول الذي أقيم حول هذا الضريح المزار. والسبب في ذلك «كنار على علم»، ذلك أن المؤرخين من الافرنج يعتمدون - غالباً - في تدوين تاريخ المسلمين على الوثائق الإسلامية التي جاء بها علماء الإسلام، لأن «أهل مكة أدرى بشعابها»، فاذا لم يجدوا الوثائق خمنوا أشياء واستنبطوها من مقارنتهم إياها بما يماثلها في الشكل والنوع، وان كانت تخالفه في الزمان والمكان .

وهذه الطريقة بالذات هي التي سار عليها بعض علماء التاريخ من الفرنسيين عندما تصدوا في دراساتهم لبنيان ضريح الشيخ الثعالبي، فقد توصل «جورج مارسي» (Georges Marçais) إلى نتيجة مضمونها أن بنيان هذا الضريح مغربيّ في هندسته، وأنه من طراز أبنية السّعديّين؛ من حيث شكل السقف ولون القرميد الأخضر، وهندسة اسطواناته واستدل على ذلك بدراسة قد قام بها لأبنية مساجد السّعيديّين بالمغرب الأقصى وقصورهم هناك، مثل قصر «البديع» بمراكش الذي زينه مولاي زيدان السعدي بقاعة تحتوي على اثنتي عشرة سارية، جاءت هندستها على طراز هندسة ساريات ضريح الشيخ الثعالبي. كما أنه قد قارن بين قبب تلك القصور والمساجد وبين قبة الثعالبي فوجد وجه الشبه بَيِّناً للغاية ، فحكم بما حكم[1] . وهذا كله ما قبل تاريخ سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦١١ م. أما بعد هذا التاريخ فان بنيان الضريح قد تغيرت هندسته وأصبح تركي النزعة. كما سيأتي تفصيل ذلك قريباً .

---

(1) Georges MARCAIS. Melonges d'Histoire et d'Archéolohie de l'Occident Musulman. T. 1, P. 196-201.

١ - تاريخ البنيان :

بعد البحث الدقيق في المظان التي تتعلق بموضوعنا، لم نتوصل إلى تحديد زمان البنيان الذي أقيم حول ضريح الثعالبي - رحمه الله - ونحن لا نرتاب في ان تاريخ هذا البنيان كان مرافقا لزمان وفاة صاحبه، او بعد أيام قلائل منذ سكونه في ضريحه على الأكثر. والسبب في ذلك أن صاحب هذا الضريح قد كان - لدى جميع الناس، لا سيما وجهاؤهم - محترماً، معظماً، مبجلاً، يلتمسون منه الدعاء الصالح، ويقتدون به في دينهم ودنياهم .

وقد بنوا له مسجداً قرب منزله زمان حياته وأسموه باسمه، فعرف منذ ذلك الحين إلى ما بعد الاحتلال، بـ « مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي »[1]. فأحرى بهم - بعد موت عالمهم النصوح، ووليهم الصالح - أن يبنوا حول ضريحه المبارك مقاماً يكون لهم بمثابة تعبير صادق عن شعورهم الخالص واحساسهم الروحي نحو طاعة شيخهم الموقر حياً وميتاً .

ويبدو أن الضريح كان - في السنين الأولى - يتوسط المقام، وبعد تجديد بنيان المقام على عهد الأتراك زيد في مساحته من ناحية الشرق، فأصبح الضريح جانباً كما هو الآن في الوقت الحاضر. يجده الزائر عن يمينه عند دخوله المقام. وغموض تاريخ بنيان مقام الثعالبي قبل زمان الأتراك بالجزائر لا يشمل تاريخ تجديد هذا المقام على عهدهم هناك؛ بل توجد

---

1) Albert Devoulx. Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger. Alger. Alger. Typographie Bastide 1870. P. 36-39.

لدينا أدلة قاطعة تثبت لنا تحديد زمان التجديد لهذا البنيان حسب السنوات. فمنها أدلة نقلتها لنا الكتب الموثوق بها، ومنها أدلة شاهدناها وعثرنا عليها بواسطة النقوش التي ما زالت عالقة بجدران بنيان المقام .

أدلة نقلتها لنا الكتب :

يحدثنا بعض المؤرخين الفرنسيين[1] أن أول تجديد لبنيان هذا المقام وقع سنة ١٠٢٠ هـ - ١٦١١ م. على عهد مصطفى باشا، أي: بعد ١٤٥ سنة من وفاة صاحب المقام، ثم وقع تجديد ثان على يد الوكيل عبد القادر سنة ١٠٣٧ هـ - ١٦٢٧ م. أي على عهد حسين باشا. ثم تجديد ثالث على يد الداي الحاج أحمد سنة ١١٠٨ هـ - ١٦٩٦ م. ثم تجديد رابع على يد الوكيل محمد بن الواضح سنة ١٣٤٢ هـ - ١٧٣٠ م. على عهد عبدي باشا ويبدو أنّ هذا التجديد خاص بداخل المقام، أو زيد في مساحته بعض الشيء، لأن التجديد الذي قبل هذا - وهو الأساسي - ما زالت كتابة تاريخه منقوشة فوق الباب الخارجي للمقام .

أدلة شاهدناها :

يوجد فوق الباب الخارجي للمقام نقش خطه كوفي يضم أربعة أبيات من منظوم الرجز، جاء في الشطر الأخير من البيت الأخير تاريخ تجديد بناء المقام على طريق حساب الجمل. ونص البيت الأخير ما يلي :

---

(1) A-Georges Marçais. Melanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman, T. 1, P. 196-201.
B- Klein Henri. Feuillets d'El-Djazair, Alger, choix, 1937. P. 157-158.

تاريخـه يا سائـلا بصـدق في النظم قد جعلته «بشوق»

فكلمة «بشوق» تحتوي على تاريخ اتمام البناء. فالباء تعد بـ (٢) والشين بـ (١٠٠٠) والواو بـ (٦) والقاف بـ (١٠٠) فمجموع هذه الأرقام ١١٠٨ هـ ثم ختمت هذه الأبيات الأربعة بفقرة باللغة الدارجة كتابة ونطقاً، وهذا نصها: «عام ثمني وميا وألف».

وفي جوف المقام يوجد بالجدار الأيمن بجانب الساعة نقش خطه شرقي خالص، يحتوي – بعد الحمدلة والصلاة والتسليم – على ستة أبيات. نذكر منها الأربعة الأولى، لتعلقها بذكر تاريخ بناء المقام حسب الشهر والسنة، وذكر اسم الوكيل محمد بن الواضح الذي سعى في تجديد هذا البناء، وذكر حاكم وقته عبدي باشا. ونص الأبيات كما يلي:

كمل البنا [ء] بحمـد رب فاتح بمحرم يسمو بحسن واضـح
سنة اثنتين وأربعين تعقبـت مائة وألفا أسرعت كالجـامـح
في مدة الاحظى الأمين المرتضى عبدي وقـاه الله كـل طوالـح
ولقد سعى فيـه الوكيل محمد الفاضل المشهور بابـن الواضـح

ويبدو لنا أن تجديد هذا البناء يعد الأخير من نوعه على عهد حكام الأتراك، الذين كانوا يهتمون كثيراً بأضرحة العلماء العاملين ومزارات الأولياء والصالحين من أبناء ملة الإسلام. والسبب في ذلك أنهم يميلون إلى الدين ورجاله بالقلب والقالب، لا سيما مذهب التصوف الذي أصبح راسخا في قلوب جل سلاطين الأتراك وولاتهم. ولا يعتد برأي جل الكتاب الأجانب وبعض كتاب المسلمين المتأخرين، من أن الدافع الأساسي على احترام

أضرحة الأولياء والصالحين والعلماء العاملين هو هدف سياسي بحت، يراد به ارضاء الجمهور المحكوم فيه. واطفاء جذوة ثورات الشعب على الأوضاع السياسية آنذاك .

وقبل أن ننهي الكلام عن النقطة الأولى لتاريخ بنيان الضريح، نود أن نذكر القراء بأن هندسة البنيان الحالي هندسة قد جاء بها الأتراك إلى الجزائر، ولم تكن قبل مجيئهم موجودة هناك. ويظهر ذلك جلياً في شكل القبة التي تخيم على قاعة الضريح، فهي تتألف من ثمان زوايا متحدة المسافة وفي داخل القاعة نلاحظ محرابا مزخرفاً بين ساريتين رخاميتين، كما نلاحظ أيضاً جدرانا مزينة بأرقى أنواع الزلّيج الملون المجلوب من آسيا الصغرى تتخلله عدة خطوط كتابية عربية الشكل بنوعيه الشرقي والفارسي. وسنبين أنواعه – إن شاء الله – في النقطة الثانية عند كلامنا عن زخرفة الكتابة الموجودة ضمن هذا البنيان .

وبناء القبة والمحراب وزخرفة القاعة على الطراز الشرقي يعد من عمل الداي الحاج أحمد بن الحاج مصلى وإلى زمانه يعود. أما ما قبل ذلك فلا قبة ولا محراب ولا زخرفة شرقية .

وتضم هذه القاعة ضريح سيدي عبد الرحمن المغطى بتابوت خشبي وعند قدميه يوجد قبر سيدي أبي جمعة بن حسين المكناسي، وعند شمال المحراب يوجد قبر السيدة روزة بنت محمد الخزناجي زوجة يحيى آغة. وعند منتهى الشمال الشرقي يوجد قبر الشيخ علي بن الحفاف. وتوجد قبور أخرى هناك، منها قبر لحسن باشا، وقبر لمصطفى باشا، وقبر لعمر باشا،

وقبر للحاج أحمد داي. وقد نقلنا بعضا من كتابة مشاهد هذه القبور بواسطة التصوير الفوتوغرافي، وسيجد القارىء عبارات هذه الكتابة عندما نتناول كلامنا عن النقطة الثانية من نوع الكتابة الموجودة ضمن زخرفة البنيان.

٢ - أنواع الكتابة :

يمكن لنا أن نحصر أنواع الكتابة التي جاءت ضمن زخرفة هذا البنيان في خمسة خطوط عربية رئيسية: خط كوفي، خط فارسي، خط شرقي، خط أندلسي، وخط مغربي .

١ - **الخط الكوفي**: يوجد نقش من هذا النوع - من منظوم الرجز - فوق الباب الخارجي لبنيان حرم سيدي عبد الرحمن، وهذا نصه : (شكل - ١ -) :

تمّ البنـا حقًّا بعـون الله ... على يـد أميرنـا ذي الجاه
من فاق أرباب السخا والفضل ... الحاج أحمد بن الحاج مصلى
أرشده الله إلى التوفيق ... بحرمة الفاروق والصديق
تاريخه يا . سائلا بصدق ... في النظم قد جعلته «بشوق»
«عام ثمني وميا وألف» .

٢ - **الخط الفارسي**: توجد كتابة من نوع هذا الخط في عدة أماكن ضمن زخرفة الجدران الأربعة لقاعة الضريح .

أ - خطوط على الجدار الجنوبي، وهذا نصها (شكل - ٢ -):

«الدنيا كلها غرور، كل نعيم دون الجنة فان» .

(شكل – ٣ –): «لا زاد خير من التقوى، لا شرف أعلى من الإسلام»

ب – خطوط على الجدار الشرقي وهذا نصها (شكل – ٤ –):

«لا تحزن على كل مفقود، وذاكر المعبود موجود. من يكن في خدمة الله يجعل الله الاشياء في خدمته» .

(شكل – ٥ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى». (أربع مرات عن يسار المحراب) .

(شكل – ٥ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى». (ثلاث مرات عن يمين المحراب) .

(شكل – ٦ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى، الفرج ... منازل البركة، الصبر سلامة، الفرج ان ... العجلة ندامة الصبر سلامة، العج... ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى يا فتى» .

(شكل – ٧ –): «ابشر يا فتى ان الفرج قد أتى ، الصبر سلامة، العجلة ندامة، منازل البركة، منازل البركة» .

٣ – **الخط الشرقي**: يكاد لا يخلو جدار من الجدران الأربعة لقاعة الضريح من هذا الخط، وكذلك معظم مشاهد القبور قد جاءت مكتوبة به .

أ – على الجدار الغربي للقاعة بعد بابها الأول عن يمين الزائر ، وقبالة الباب الثاني لها يوجد هناك خط شرقي متكون من سطرين اثنين،

نص السطر الأول (شكل - ٨ -):

«لا إله إلا الله الملك المبين» .

ونصّ السطر الثاني (شكل - ٨ -):

«محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين» .

ب - وجاء على الجدار الجنوبي، تحت الخط الفارسي البيت الأول والثامن من بردة الشيخ محمد البوصيري ونصهما (شكل - ٢ -):

«أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحب يعترض اللذات بالالم»

ثم تحت هذين البيتين أربع كلمات مكررة مرتين ونصها (شكل - ٢ -)

«الله . محمد . أبو بكر . عمر . الله . محمد . أبو بكر . عمر» .

ثم يليه على نفس الجدار فوق الخط الفارسي نقش في سبعة سطور، السطر الأول يتضمن الحمدلة والصلاة والتسليم، والباقي نظم من بحر الكامل الصحيح العروض والضرب، والبيت الأخير مطموس لم نتمكن من قراءته أما الأبيات الخمسة، فهذا نصها (شكل - ٩ -):

كمل البناء بحمد رب فاتح بمحرم يسمو بحسن واضح
«سنة اثنتين وأربعين تعقّبت مائة وألفا أسرعت كالجامح
في مدة الاحظى الأمين المرتضى عبدي وقاه الله كل طوالح
ولقد سعى فيه الوكيل محمد الفاضل المشهور بابن الواضح
الله يعطينا وأياه الرضى ويقيلنا من كل ذنب فاضح»

وتحت هذه الأبيات خط فارسي – وقد تقدم الكلام عنه – ثم تحت الخطّ الفارسي البيت الثالث عشر من قصيدة البردة، وهذا نصه (شكل – ٣ –) :

فان أمّارتي بالسوء ما اتعظـت من جهلها بنذير الشيب والهرم

جـ – وجاء على الجدار الشرقي – فوق الخط الفارسي – ما نصه (شكل – ١٠ –) :

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» .

ثم تحته البيتان: الرابع والخامس من قصيدة البردة، هذا نصهما (شكل – ١٠ –) :

«ايحسب الصب أن الحب منكتم ما بين منسجم منـه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ولا أرقت لذكر البان والعلم[1]»

ثم يلي هذين البيتين – عن يمين المحراب – نصف البيت الثالث من قصيدة البردة أيضاً، وهذا نصه (شكل – ١١ –) :

وما لقلبك ان قلت استفق يهم

وتحته نقش على رخام، هذا نصّه (شكل – ١١ –) :

«ومما ينسب للخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر وعمر، وعثمان، وعلي – رضي الله عنهم ! – :

---

١ في الجدار تقديم البيت الثاني على الأول وقد تصرفنا فيه نزولا عند رغبة أصل النص .

الموت بـاب وكل الناس داخله　　يا ليت شعري بعد الباب ما الدار
الدار دار نعيم ان عملت بمـا　　يرضي الإله وان خالفت فالنـار
هما محلان مـا للمرء منزلـة　　سواهما فاختر لنفسك الدار تختار
ما للعبيد سوى الفردوس منزلـة　　وان هفوا هفوة فالـرب غفّار[1]

كتب بتاريخ ٣٥ في قعدة سنة ١٢٨٢ وافق ١١ في ابريل سنة ١٨٦٦ » .

ثم يأتي – في نهاية يسار المحراب – البيتان: السادس والسابع من قصيدة البردة، وهذا نصهما (شكل – ٦ –) :

« فكيف تنكر حبا بعد مـا شهدت　　به عليك عدول الدمـع والسقم
وأثبت الوجد خطي عبرة وضنى　　مثل البهار على خديك والعنم »

وفي أسفل يسار المحراب يوجد نقش على رخام. هذا نصه (شكل – ١٣ –) :

« سبحان الحي الذي لا يموت ! هذا قبر المرحومة الولية روزة بنت محمد بن الخزناجي، زوجة المرحوم المنعّم يحيى آغة، توفيت ليلة الخميس الذي هو في قعدة سنة ١٢٨٢ . الموافق لليوم الحادي عشر من أبريل سنة ١٨٦٦ » .

د – وفي أسفل الجدار اليساري يوجد نقش على رخام هذا نصه (شكل – ١٤ –) :

---

١ لعلّ الأبيات تنسب للامام علي وحده ؟.

«ما شاء الله كان ! الله حي، باق، أزلي» .

لا إله إلا الله ! من علامة سعادة الإنسان، اقباره في ضريح سيدي عبد الرحمن، يا خير بني عدنان، أنا في حماك وحمى القرآن .

من يتشفع بك يا خير الورى شرف فالله حافظه من كـل منتقم[1]

قد توفي وسار[2] إلى رحمة خفي الالطاف، عبده الراجي منه الأمن مما يخاف. العلامة الشيخ علي ابن الخطيب الفقيه السيد عبد الرحمن ابن العلامة الكبير الشيخ محمد بن الحفاف، مفتي المالكية هو وكذا جد المذكور بالجزائر رحمهم الله بتاريخ اليوم ٢١ من صفر الخير سنة ١٣٠٧ ».

٤ - **الخط الأندلسي**: بجنب التابوت قبالة الجدار الشرقي، يوجد نقش في ثمانية سطور بخط أندلسي، كتبه علي بن محمد بن جعدون الجزائري. وهذا نصه (شكل - ١٥ -) :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم هذا قبر الولي الصالح الأستاذ أبي جمعة بن حسين المكناسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به، آمين ! ومما وجد مكتوب بخط يده المباركة على ظهر كتاب الجواهر الحسان، في تفسير القرآن، هذا النسب المذكور. وهذا الكتاب هو لتلميذه الشيخ الرباني أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، رحمه الله تعالى ورضي عنه، ونفعنا ببركاته، آمين ! » .

---

١ هذا بيت من قصيدة البردة للبوصيري، وفي رواية :

ولـن يضيق رسول الله جـاهـك بي إذا الكريم تجـلّى باسم منتـقـم

٢ في الأصل: «وصار» بالصاد المهملة .

٥ - **الخط المغربي**: بجنب التابوت تجاه المحراب يوجد نقش على رخام في عشرة سطور محفوظة في واجهة زجاجية، هذا نصه (شكل - ١٦ -) :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

الحمد لله ! ومما وجد بخط الشيخ الإمام الولي الصالح أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه، ما نصه: الثعالبي عبد الرحمن، بن محمد، بن مخلوف، بن طلحة، بن عمر، بن نوفل، بن عمار، بن منصور، بن محمد، بن سباع، بن مكي، بن ثعلب، بن موسى، بن سعيد، بن معضل[1]، بن عبد البر، بن قيس، بن هلال، بن عامر، بن حسن، بن محمد، بن جعفر، بن ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذريته عبد العزيز، بن محمد، بن مخلوف الثعالبي، توفي الشيخ - رضي الله عنه - سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة[1] » .

وبهذا النص تنتهي النصوص بأنواع خطوطها الخمسة، كما نقلناها بواسطة التصوير الفوتوغرافي. وقد اقتصرنا على ما هو مكتوب ومنقوش بقاعة الضريح وبأعلى بابها الخارجي، ولم نتعرض لما دون ذلك من بنيان

---

١ لعله « مفضل » .

١ هذا التاريخ يخالف ما ذهبنا إليه: من أن الثعالبي توفي سنة ٨٧٥ هـ - ١٤٧٩ م . وهو الصحيح عند جلّ من ترجم للثعالبي من العلماء الثقات، كما تقدم لنا في ترجمة حياته .

حرم سيدي عبد الرحمن، سواء بالدرس، أو بالتصوير خوفاً من الاطالة المؤدية إلى الخروج عن الموضوع، الذي رسمناه لهذا البحث الصغير المتمم لرسالتنا. ولعل الله يتيح لنا الفرصة في المستقبل، فنتناول – بالدرس والتصوير – ما لم نتناوله في الوقت الحاضر .

محمد بن عبد الكريم

فهرس المصادر والمراجع

أ - باللغة العربية

أبو راس، محمد.عجائب الاسفار، ولطائف الاخبار، ١٢٢٠ المكتبة الوطنية. الجزائر (العاصمة). مخ .

البغدادي، اسماعيل باشا. هدية العارفين اسماء المؤلفين، وآثار المصنفين. اسطنبول: مطبعة البهية ١٩٥١ م. ج:١ .

الثعالبي، عبد الرحمن. جواهر الحسان، في تفسير القرآن. الجزائر : المطبعة الثعالبية ١٣٢٧ هـ . ج:٤ .

الثعالبي، عبد الرحمن. العلوم الفاخرة، في النظر في أمور الآخرة. القاهرة: المطبعة الحامدية المصرية ١٣١٧ هـ . ج: ١-٢ .

الجلالي، عبد الرحمن. تاريخ الجزائر العام. بيروت: مطابع بيبلوس الحديثة. ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٥ م . ج:٢ .

الحفناوي، محمد. تعريف الخلف برجال السلف. الجزائر : مطبعة بيير فونتانة. ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م . ج:١ .

الزركلي، خير الدين. الاعلام. طبعة ثانية. القاهرة: مطبعة كوستاتوماس، بدون تاريخ . ج:٤ .

السخاوي، عبد الرحمن. الضوء اللامع لاهل القرن التاسع. بيروت: منشورات مكتبة الحياة . ج:٤ .

علي بن الحاج موسى. أنباء أبناء الزمان، في النضح برشفة من يمّ ، ترجمة الشيخ سيدي عبد الرحمن. مكتبة عبد الرحمن الجلالي. الجزائر. مخ .

الكتاني. محمد الحسني الادريسي. فهرس الفهارس والاثبات. ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. فاس: المطبعة الجديدة ١٣٤٧ هـ. ج:٢ .

مخلوف، محمد. شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية. القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٥٢ هـ .

نور الدين، عبد القادر. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر. الجزائر - قسنطينة مطبعة البعث ١٩٦٥ م .

ب - باللغة الأجنبية

Albert Devoulx. Les Edifices Religieux de l'Ancien Alger. ALGER: Typographie Bastide 1870

Georges Marçais. Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman (Tom 1) Alger - Imprimerie officielle du gouvernement Général de l'Algérie 1957

Hyacinthe Béraud. La Mosquée de Sidi Abder-Rahman - ALGER. J. GERVAIS-Courtelemont et Cie Editeurs - 1892

KLEIN Henri. Feuillets d'El Djazair ALGER, chaix, 1937

الفهارس الخاصة بكتاب
التحفة المرضية

١ - الاعلام والكنى

٢ - الالقاب

٣ - الانساب

٤ - القوافي

٥ - آي الذكر الحكيم

٦ - الاحاديث النبوية

٧ - الامكنة والبلدان

١ - فهرس الأعلام والكنى

الاسم	الصفحة	السطر
- أ -		
ابراهيم بن سنان	١١٨	٥
ابراهيم القنيلي	١٦١	٣
ابن آقليل (احمد)	١٤٦	٧
ابن آقوجيل (محمد)	١٤٨ - ٢٠٤	١٦-١٦
ابن أبي الخصال (محمد)	١٥٠	١١
ابن عبد الله محمد = ابن آقوجيل		
أبو الحسن نور الدين علي	١١٤	١١
أبو حفص عمر التونسي	١٤٩	٤
أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي	٢٣٥	١٢
أبو زيد عبد الرحمن الجامعي	١٨٤	١٥
أبو زيد عبد الرحمن الشريف	١٤٨	٤
أبو زيد أبو عبد الله محمد القرومي	٢٢٩	٧
أبو العباس أحمد بن ساسي البوني	١٢٧ - ١٧٤	٨
أبو عبد الله محمد البونصي	١٥٤	١٠
أبوعبد الله محمد البوني	١٧٤	٦
أبو عبد الله التونسي	١٤٩	٥
أبو عبد الله محمد الثغيري	٢٣٣	٣
أبو عبد الله محمد الحلفاوي	٢٤٩	٥

الاسم	الصفحة	السطر
أبو عبد الله محمد القالي	١٧٠ - ١٧٣	١-١٥
أبو عبد الله محمد المستغانمي	١٨٠	٩
أبو عبد الله محمد المغربي	١٥٢ - ٢٥٩	١٠-١٤
أبو عبد الله محمد بن علي بكداش	١٩٧ - ١٩٩	٢-١
أبو عبد الله محمد بن يوسف (الجزائري)	١٧٧	٦-٧
أبو علي حسين	١٤٦	٨
أبو الفتوح الأمير حسن	١٤٠ - ١٤٤	٥-٩
أبو الوفاء مصطفى البوني	١٤٥	١١
أحمد = ابن آقليل		
أحمد = أبو العباس البوني		
أحمد البدوي	١١٥	١٠
- ب -		
بوران	٢٣٣	١
- ج -		
	٢٠٩	١١
- ح -		
حاتم (الطائي)	١٨١	١
حسن الأمير = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن كفيلة = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن أوزن = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن خليفتك = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسن صهره = أبو الفتوح الأمير حسن		
حسين = أبو علي (حسين)		
- ش -		
شعبان (باي)	٢٥٦	٢

الاسم	الصفحة	السطر
- ع -		
عبد الرحمن = أبو زيد ...		
علي = نور الدين أبو الحسن		
عمر = أبو حفص عمر التونسي		
- ف -		
الفرزدق	٢٠٧	١١
- م -		
المجنون (مجنون ليلى)	١١٤	٣
محمد بكداش = أبو عبد الله بن علي ...		
محمد بن سعيد	١٣٧	٤
محمد بن علي = أبو عبد الله ، بكداش ،		
محمد خوجة = محمد بكداش		
محمد عبد الرحمن = أبو زيد الجامعي		
محمد الغالي	١٧٦	٥
محمود (الحاج)	١٤٠	١٢
مسعود (سيدي)	١٥٢	٧
مصطفى (باي)	٢٥٣	١
- ن -		
نور الدين علي أبو الحسن	١١٤	١١
- و -		
والي دادا	١٤١	١٠
- ي -		
يحيى بن احمد بن أبي راشد	١٥٢	٤
يزد شير	٢٣٣	١

٢ - فهرس الالقاب[1]
حسب الحروف الهجائية

- أ -

أوزن ٢١٢ - ٢٥٢ .

- ب -

باي ١٢٨ - ٢٥٣ .

بكداش ١١٢ - ١٢٤ - ١٣٣ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٩٩ - ٢١٠ - ٢٣٧ .

- ت -

تفتر دار ١٢٧ .

- ح -

الحاج ١٤٠ .

- خ -

خوجة ١٧١ .

- د -

الداي ١٩٧ - ٢٢٩ .

الدوتلي ١٧١ .

- س -

سانجاق دار ١١٩ .

- ش -

الشريف ١٢٤ - ١٤١ - ١٤٣

الشواش ١٢٤ .

- ض -

ضاي ١٩٧ .

- ف -

فايق ٢٥٣ .

الواثق بالله ١٤٦ .

- ي -

يزدشير ٢٣٣ .

يومشق ٢٠١ .

٣ - فهرس الانساب
حسب الحروف الهجائية

- ب -

البدوي ١١٥ .

البكداشي ١١٣ .

البكداشية ١١٣

البونصي ١٥٤ .

البوني ١٢٧ - ١٧٤ .

- ت -

التونسي ١٤٩ .

- ث -

الثعالبي ٢٣٥ .

الثغبري ٢٣٣ .

- ج -

الجامعي ١٨٤ .

الجزائري ١١١ - ١٧٧ - ١٨٤ .

الجيلاني ١٧٦ .

- ح -

الحسني ١٤٣ .

الحلفاوي ٢٤٩ - ٢٥٩ .

- ز -

الزمخشري ١٤٦ .

- غ -

المغربي ١٥٢ - ٢٥٩ .

- ف -

الفاسي ١٨٤ .

- ق -

القالي ١٧٠ - ١٧٣ .

القرومي ١٤٩ .

القرشي ١١٤ .

القنيلي ١٦١ .

- ك -

الكرخي ١٧٦ .

- م -

المستغانيمي ١٨٠ .

- ن -

النكداني ١١٤ - ١٤٣ .

- هـ -

الهاشمي ٢٣٧ .

٧ – فهرس الامكنة والبلدان
حسب الحروف الهجائية

اسم البلد أو المكان: الصفحة:

– أ –

اطرابلس ١٣٧ .
أعرض ١٣٧ .
أم القرى ٢٣٦ .

– ب –

باب الجديد ١٣٨ .
برج الأحمر ٢٣٨ – ٢٥٦ .
برج الجديد ٢٣٨ – ٢٥٦ .
برج العيون ٢٥٥ .
برج اليهودي ٢٢٢ .
بونة ١١٦ .

– ت –

تونس ١٣٧ .

– ج –

الجزائري ١١١ – ١١٣ – ١١٦ – ١٢٤ – ١٢٩ – ١٣٣ – ١٤٥ – ١٤٦ – ١٩٩ – ٢١٠ – ٢٣٧ – ٢٦١ .

– ح –

حصن (برج) ابن زهوه ٢٢١ – ٢٥٥ .
حصن الجبل ٢١٦ .
حصن العيون ٢١٢ .
حصن المرسى ٢٤٥ .

اسم البلد أو المكان: الصفحة:

– د –

دلس ١٤٢ .

– ش –

الشام ٢٥٨ .
شنيل ١٩١ .

– ع –

العراق ٢٥٨ .

– ق –

القليعة ١٢٦ .

– غ –

غرناطة ١٩١ .

– ك –

كندة ١٣٥ .

– م –

مرسي ٢٥٧ .
المنشية ١٣٧ .

– و –

وهران ١٩٥ – ١٧٩ – ٢٠٢ – ٢٠٧ – ٢١٩ – ٢٢٥ – ٢٣٤ – ٢٤٩ – ٢٥٦ – ٢٦٠ – ٢٦٢ .
وادي الخميس ١٢٤ .

المحتوى

المحتوى

الموضوع:	ص:
توطئة	٧
مقدمة	١١
أ – نسبُ المؤلف	١١
ب – ثقافته	١٣
عصره السياسي:	١٤
أ – هجومان فرنسيان على الجزائر	١٦
ب – اضطرابات داخلية وهجومان انجليزيان على الجزائر وبجاية	١٧
ج – هجومان فرنسيان على الجزائر	١٩
د – محاربة الجزائريين لمدينة تونس	٢٠
هـ – غزو الجزائريين لمدينة تونس	٢١
و – هجوم فرنسا على الجزائر	٢٢
ز – محاربة بين الجزائريين والمغاربة	٢٣
ح – استيلاء الجزائريين على تونس وبعدها اضطرابات داخلية	٢٤
ط – محاربة بين الجزائريين مع التونسيين والمغاربة	٢٦
ي – ابرام صلح بين الجزائريين وانجلترا وتونس	٢٧
ك – اضطرابات داخلية وتجدد الحرب مع تونس	٢٨

الموضوع:	ص:
ل – فتح مدينة وهران عنوة	٣٠
التنظيم الاداري في الجزائر على عهد الأتراك:	٣٣
أ – الادارة المركزية	٣٣
ب – تقسيم الادارة	٣٥
ج – نظام الجيش	٣٦
د – ميزانية الدولة	٣٩
هـ – كيفية جمع الضرائب	٤١
و – طائفة الرياس	٤٢
ز – حكام أتراك الجزائر ابان عصر المؤلف	٤٣
عصره الثقافي:	٤٥
أ – مدلول الثقافة	٤٦
ب – مراكز الثقافة	٥٨
ج – النّتاج الثقافي	٦١
د – رجال الثقافة	٦٨
دراسات تحليلية للكتاب:	٨١
أ – مؤلفه	٨١
ب – عنوانه	٨٣
ج – موضوعه	٨٣
د – هدفه	٨٤
هـ – منهج التأليف	٨٤
و – أسلوبه	٨٤
ز – قيمته التاريخية	٨٥
ح – قيمته الادبية	٨٥

الموضوع:	ص:
ط – محتواه	٨٦
مزايا الكتاب	٩٢
خاتمة المطاف	٩٧
الباعث والمنهاج	٩٩
مقدمة النشر	١٠٥
النسخ المعتمدة في تحقيق الكتاب	١٠٧
التحفة المرضية	١٠٩
مقدمة المؤلف	١١١
المقامة الأولى	١١٤
» الثانية	١١٩
» الثالثة	١٢٣
» الرابعة . . .	١٢٧
» الخامسة	١٣٦
» السادسة	١٣٩
» السابعة	١٤٣
» الثامنة	١٥٢
» التاسعة	٢٠٣
» العاشرة	٢١٢
» الحادية عشر	٢١٦
» الثانية عشر	٢٢١
» الثالثة عشر	٢٢٥
» الرابعة عشر	٢٣٨
» الخامسة عشر	٢٤٥
» السادسة عشر	٢٦٢

الموضوع: ص:

مصادر ومراجع «التحفة المرضية» ٢٦٥
أ – المصادر والمراجع العربية ٢٦٧
ب – المصادر والمراجع الأجنبية ٢٧٢
ملاحق: ٢٧٥
الملحق الأول: بعض الأشعار التي قيلت في مدينة وهران . . . ٢٧٧
الملحق الثاني: مدينة وهران وتأسيسها ٣٠٥
أ – مقدمة ٣٠٥
ب – موقعها: تاريخ تأسيسها ٣٠٧
ج – اسمها ٣١٥
د – راي بعض الافرنج فيها ٣١٧
هـ – رأي بعض المسلمين فيها ٣١٨
و – مؤسسها ٣٢١
ز – سبب ولاء مغراوة لبني أمية ٣٢٢
ح – أسباب تأسيسها ٣٢٣
ط – الدول التي حكمت وهران ٣٢٧
مصادر ومراجع «الملحق الثاني»
أ – باللغة العربية ٣٢٨
ب – باللغة الأجنبية ٣٣٠
الملحق الثالث: عبد الرحمن الثعالبي وضريحه ٣٣١
أ – مقدمة ٣٣١
ب – ترجمة عبد الرحمن الثعالبي ٣٣٤

الموضوع: ص:

ج - رحلته لطلب العلم ٣٣٥
د - شيوخه ٣٣٨
هـ - تلامذته ٣٤٠
و - مؤلفاته ٣٤٠
ز - أولاده ٣٤٤
ج - ضريح عبد الرحمن الثعالبي ٣٤٦
ط - تاريخ البنيان ٣٤٨
ي - أنواع الكتابة (الموجودة على جدران الضريح) ٣٥٢
مصادر ومراجع «الملحق الثالث»
أ - باللغة العربية ٣٦٠
ب - باللغة الأجنبية ٣٦٢
المحتوى ٤٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

حسبي وكفاني للصفية الصلاة
الزاكية الوضاءة الأديب البارع السيد
محمد مهدي المرادي رحمه الله

يا من جعل تمدح زيادة
الشمس وفلق البلعاء فلك بدر العيان في الشهر
والنجم وشكره على ما أولى من الخير
وعلى ما كان منها جانبه وأسئلها تتم
عون عيني العلماء وتسهل على عيني العلماء
وتجعلني منبعا لنفع العلماء الزين المشرف
كواكبهم لانتزاع الجلماء وسلم

الصفحة الأولى من نسخة «ب»

وحمد يعجز عنه وصف واصف ويقصر عن نعته لسان مادح

ثم وقعت الحاجة مهمة مشهورة تقتضي العزائم بذكرها والشاغل

هو موضع مهمة لا مندوحة والفضل يعوز وتمنع الجدة بالحرمان

والصنع قد يصنع النصل كالنا ينشو عن عزم الشفيق تمام

فاهتبلت فرصة تحامل تشايد وجعت بضعة شانه لا فلان

والبدوي واختطاف سانح يحلو من ذكر الكلال نكاء

اني وان خلفت جسمي بمنزل عن البلد نية وسلاح

BIBLIOTHEQUE ROYALE

بسم الله الرحمن الرحيم

وكمل الجزء من نسخة مرسومة بخط مؤلفه ؟ وراجع جاهدا على

احرز عنية وسلامة واجب ربه الشبوبة على طالب الخلاء

11214

الصفحة الأخيرة من نسخة «ب»

MOUHAMED BEN MAYMOUNI

AL - JAZAÏRI

ATTOUHFA EL'MARDIYA

FI EL'DAOULA EL'BAKDACHIYA

FI BILAD EL'DJAZAÏR

EL'MAHMIYA

http://albordj.blogspot.com

السعر في الجزائر : 46,50 د.ج